



جامعة 08 ماي 1945 - قالمة -

كلية الحقوق و العلوم السياسية

قسم العلوم السياسية



## العولمة وتأثيرها على الأمن الثقافي -الثقافة العربية نموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر نظام جديد LMD علوم سياسية

تخصص: علاقات دولية ودراسات أمنية

إشراف الأستاذ الدكتور  
- عبد النور ناجي

إعداد الطالبان:  
- نصر الدين أحمودة

- حمزة موي

الأساتذة المناقشون

رئيسا	جامعة باجي مختار - عنابة	د/ سلوى بن جديد
مشرفا ومقررا	جامعة باجي مختار - عنابة	أ.د/ عبد النور ناجي
عضوا مناقشا	جامعة منتوري - قسنطينة	د/عبد اللطيف بوروي

السنة الجامعية : 2012 - 2013

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

"(12) يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم

إن الله عليم خبير (13)"

صدق الله العظيم

قرآن كريم سورة الحجرات الآية 12-13

# \*\* الشكر \*\*

الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أهدانا الإرادة

والصبر والمثابرة لإتمام هذا العمل المتواضع

الشكر الجزيل إلى:

الأستاذ الذي رفع قدر نفسه بتواضعه

إلى الأستاذ الذي كان حافظنا ومنبعنا لجهدنا

إلى الأستاذ: ناجي عبد النور

إلى الأساتذة الذين شرفونا بقبولهم مناقشة هذه المذكرة

إلى كل الأساتذة الذين لم يخلو علينا بالنصح والتوجيه...

إلى كل من بسط لنا يد العون من قريب أو من بعيد

# الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لو لا فضل الله علينا أما بعد

فمن باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله أود أن أتقدم بأحر تشكراتي إلى كل من تلقى به منه علما حالما أو عملا مفيدا لمواصلة مشواري  
أما بعد : فإلى من نزلت في حقهم الآيتين الكريمتين في قوله تعالى  
بسم الله الرحمن الرحيم

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عنك الكبر أحداهما  
أو كلاهما فلا تقلنهما أفه ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما" (الاسراء 22-23)  
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " (الاسراء 22-23)  
أهدي هذا العمل المتواضع إلى أغلى ما أملك في الوجود  
أبي وأمي العزيزين حفظهما الله لي ...

اللذان سهرتا وتعبتا علي تعليمي في إتمام هذا العمل من قريب أو من بعيد ...  
وإلى كافة أفراد أسرتي "اخوتي واخواتي"  
وإلى كافة "الأصدقاء" خاصة "نور الدين" و إلى من قاسمني هذا العمل "حمزة"  
"بارك الله لكم و جعلها في ميزان حسناتكم و جعل الجنة مثواكم"  
"أمين"

## نصر الدين



## \*\* الإهداء \*\*

إلى من أرشداني إلى طريق الإيمان والعلم، وزرعا في نفسي بذور  
الأمن

والإطمئنان النفسي، والديّ الكريمين، أمدّ الله في عمرهما،  
ومتعهما

بأسماعهما وأبصارهما، وقوتهما ما أحياهما، وجعل ما قدما لي في  
ميزان

حسناتهما، وجعلني عملاً صالحاً ينالان به رضوان الله، حباً لهما  
وبراً بهما.

إلى من كانوا لي سنداً وعوناً منذ أن إستقبلتني الدنيا، إلى إخوتي و  
أخواتي أبقاهم الله شموعاً ضاوية وأيدي موحدة وإخوة كرام.  
إلى جميع أفراد عائلتي.

إلى جميع أصدقائي وزملائي في الدراسة وأخص بالذكر،  
نور الدين، إلى من قاسمني إنجاز هذا العمل المتواضع زميلي نصر  
الدين.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد.

## حمزة

## خطة البحث

### المقدمة.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري لدراسة تأثير العولمة على الأمن الثقافي.

المبحث الأول: التطور الحاصل في مفهوم الأمن.

- المطلب الأول: الطرح التقليدي للأمن.
- المطلب الثاني: المقاربة الهادفة للتوسيع في مفهوم الأمن.
- المطلب الثالث: مفهوم الأمن الإنساني.

المبحث الثاني: الأمن الثقافي: مقارنة معرفية.

- المطلب الأول: مفهوم الثقافة.
- المطلب الثاني: مفهوم الأمن الثقافي.
- المطلب الثالث: الأمن الثقافي و المفاهيم ذات الصلة.

المبحث الثالث: العولمة ( دراسة الظاهرة والمفهوم ).

- المطلب الأول: مفهوم العولمة.
- المطلب الثاني: أبعاد العولمة ومظاهرها.
- المطلب الثالث: مؤسسات العولمة.

الفصل الثاني: التغيرات العولمة وانعكاساتها على الأمن الثقافي.

المبحث الأول: العولمة الثقافية وتأثيراتها.

- المطلب الأول: تعريف العولمة الثقافية.
- المطلب الثاني: وسائل العولمة الثقافية.
- المطلب الثالث: الأهداف الحقيقية للعولمة الثقافية.
- المطلب الرابع: آثار العولمة الثقافية على الهوية الثقافية.

## المبحث الثاني: التحديات الثقافية للعولمة

- المطلب الأول: تحدي السيادة الثقافية للدولة القومية.
- المطلب الثاني: تحدي المحافظة على التنوع الثقافي.
- المطلب الثالث: تحدي التقارب بين الثقافات في ظل العولمة.
- المطلب الرابع: الإستجابة للتحديات الثقافية للعولمة.

## المبحث الثالث: إعلام العولمة وتأثيره على الأمن الثقافي.

- المطلب الأول: ماهية إعلام العولمة.
- المطلب الثاني: تقنيات إعلام العولمة الثقافية.
- المطلب الثالث: تأثيرات إعلام العولمة على المتلقي

## الفصل الثالث: تداعيات ظاهرة العولمة على الأمن الثقافي العربي.

### المبحث الأول: الواقع الثقافي العربي.

- المطلب الأول: سمات الواقع الثقافي العربي.
- المطلب الثاني: الثقافة العربية في إطار العولمة.
- المطلب الثالث: أزمة الثقافة العربية.

### المبحث الثاني: ثنائية العولمة والهوية في الوطن العربي.

- المطلب الأول: واقع الهوية في الوطن العربي.
- المطلب الثاني: تحديات العولمة للهوية العربية.
- المطلب الثالث: الهوية العربية والتطورات الدولية الراهنة.

### المبحث الثالث: آثار العولمة الثقافية على الوطن العربي.

- المطلب الأول: الوسائل المؤثرة على الثقافة العربية.
- المطلب الثاني: تأثير الإعلام في الثقافة العربية.
- المطلب الثالث: إكراهات العولمة الثقافية على الأمن الثقافي العربي.



المبحث الرابع: نحو مشروع للأمن الثقافي العربي.

- المطلب الأول: وسائل المحافظة على الثقافة العربية.
- المطلب الثاني: بوادر حول المشروع العربي للأمن الثقافي.
- المطلب الثالث: الخطة الشاملة للثقافة العربية

الخاتمة.

# المقدمة

## المقدمة

يزدحم العالم اليوم في مجمل أجزائه و في مختلف مجالاته بالعديد من المستجدات و المتغيرات التي لم يسبق للعالم أن شهدها بصورتها الحالية. ولعل أبرز تلك المستجدات و أهمها اليوم على الساحة الدولية هي ظاهرة العولمة التي أصبحت محط أنظار الجميع لما أخذت تشكله في حياة الشعوب من تحديات إقتصادية وسياسية و ثقافية و فكرية، و التي بدأنا نلمس أثرها في مختلف جوانب الحياة، وعليه أصبحت هذه الظاهرة منذ تسعينيات القرن العشرين، محور الأنشطة السياسية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية لدى صناع القرار في الكثير من دول العالم، ناهيك عن أن الأفراد قد أخذوا بالتعامل معها بصورة متزايدة، وهي أصبحت جزءا من حياة العديد من الناس وخاصة من جيل الشباب.

والعولمة مخرج من مخرجات النظام الرأسمالي، وتعتبر ظاهرة معقدة طوقت العالم كله، فهي ذات أبعاد إقتصادية وسياسية وإجتماعية وحضارية وثقافية وتقنية وبيئية، شملت مرافق الحياة كلها، لذلك فهي حظيت باهتمام جميع المفكرين والباحثين والأكاديميين والدارسين في مختلف أنحاء العالم، محاولين التعرف على ماهية العولمة وأشكالها وأدواتها وأهدافها وتأثيراتها على حياة الأفراد والمجتمعات.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن فصل أو عزل أي بعد من أبعاد العولمة عن الآخر، فهي مكتملة ومتممة بعضها لبعض، والحديث بمفهوم العولمة بشكل واسع يحتاج لحقل من الدراسات والبحوث، حيث أنه لم يتم الإجماع على تعريف واحد جامع لمفهوم العولمة، ويختلف تعريفها بحسب المفكر الذي يحاول تعريفها، فهناك عدة أشكال للعولمة منها: السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، هذا البعد الأخير يعتبر مفهوما غير محدد يتداخل ويتشابك مع بقية الأبعاد ويأخذ حيزا كبيرا من كتابات العديد من المفكرين فالبعض منهم يرون في هذا البعد أي العولمة الثقافية أنها ظاهرة الأمركة، وتعني نشر الثقافة والفكر الأمريكيين محل الثقافة العالمية المتنوعة بحيث تغلب عليها وتعمل على إذابتها، بشتى الوسائل سواء أكانت إقتصادية أم سياسية أم ثقافية تقنية، بينما يرى فريق آخر أنها تسعى نحو التجانس والتشابه الثقافي وتكوين الشخصية العالمية ذات الطابع الإنفتاحي على ما حولها من مجتمعات وثقافات مختلفة، وأصحاب هذا الإتجاه يفضلون أن تكون هناك ثقافة عالمية مع الإحتفاظ بالثقافة المحلية الخاصة

والعولمة الثقافية تمس كافة مجتمعات دول العالم من مختلف الإتجاهات ولكن بدرجات متفاوتة، فبعض الدول والشعوب تتحفظ على مسألة العولمة وتتخوف منها، على اعتبار أنها تعمل على إذابة الثقافة المحلية الوطنية لتحل مكانها الثقافة والفكر الأمريكيين، ومن بين تلك الدول والشعوب الدول العربية التي تأثرت بالعولمة بكافة أبعادها وخاصة العولمة الثقافية، هذه الأخيرة تعتمد بشكل رئيسي على تقنية متطورة

و حديثة، تتكون من شبكة إتصالات هائلة، وعدد كبير من الفضائيات و شبكة المعلومات، هذه المنظومة المتناسقة استطاعت أن تحدث عدة تغيرات داخل مجتمعاتنا العربية خاصة داخل المؤسسات المسؤولة عن إنتاج القيم والرموز داخل الوطن العربي ( الأسرة والمدرسة )، و هذا ما يستهدف بالأساس الهوية الثقافية العربية ومحاولة منها لطمس الثقافة العربية و نشر الثقافة الغربية محلها. ويحدث كل هذا في ظل غياب نوايا و جهود واضحة داخل مجتمعاتنا العربية من أجل مواجهة مخاطر وتهديدات العولمة الثقافية، والحفاظ على الثقافة العربية. هذا مما يعجل ضرورة البحث عن آليات فعالة لمواجهة هذه التهديدات الخطيرة داخل الوطن العربي، وضرورة تحرك جميع الجهات لحماية الأمن الثقافي العربي من تهديدات ظاهرة العولمة.

### طرح الموضوع

نتناول في دراستنا هذه أحد أهم الموضوعات الفكرية التي يجري الحديث عنها في وقتنا الحالي ألا وهي ظاهرة العولمة، ومن ثم ستكون دراستنا بمثابة محاولة لمواكبة ما يجري الآن على المستوى الفكري بشأن هذه الظاهرة والوقوف على أبرز الإنعكاسات التي خلفتها العولمة في العديد من مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والتقنية والمعرفية والثقافية.

كما نركز على موضوع العولمة الثقافية التي يكرسها المنظور الغربي بزعماء الولايات المتحدة الأمريكية وإبراز تقنياتها المتعددة كالإعلام والسلع الثقافية في محاولة منها لتكريس ما يعرف بثقافة العولمة.

هذه الإستراتيجية الغربية التي تسعى لفرض نمط ثقافي معين أوجدت العديد من التهديدات والمخاطر على الأمن الثقافي والهوياتي لدول العالم الثالث وبالأخص الدول العربية التي عنيها بالدراسة في بحثنا هذا من خلال التطرق إلى واقع الثقافة العربية مع إبراز التهديدات التي تواجهها جراء العولمة الثقافية التي تسعى إلى طمس الهوية الثقافية العربية.

بالإضافة إلى إبراز الجهود العربية لمواجهة التهديدات التي أوجدتها ظاهرة العولمة خاصة في المجال الثقافي.

## أهمية الدراسة

تنبثق أهمية هذا البحث من أهمية موضوعه حيث أصبحت العولمة ظاهرة تثير الإهتمام والعناية لما تمثله من تأثير ضخم على حياة الناس الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية وما أحدثته من تغيرات وتطورات علمية وتقنية في عالم الإتصالات والإعلام حيث أصبحت الكرة الأرضية أشبه ما تكون بالقرية الكونية الصغيرة.

ومن ناحية أخرى ما تمثله العولمة من تهديدات وتأثيرات خطيرة في الميدان الثقافي بحيث تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على أبرز تهديدات العولمة الثقافية على المجتمع العربي، مع إبراز أهم الجهود العربية لمواجهة تهديدات العولمة الثقافية.

## أسباب إختيار الموضوع

تتخصر أسباب إختيار الموضوع في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية وسنوضح هذه الأسباب كالاتي:

## الأسباب الذاتية

إن إهتمامنا بالمستجدات والتحولت الدولية المتسارعة وبروز مفاهيم جديدة و إدراكنا لطبيعة الصراع الذي لا خيار أمام الدول الضعيفة ، كالدول العربية مثلا سوى الاستعداد له و التأهب لمواجهته، أدى بنا إلى دراسة أحد تلك المستجدات و هو ظاهرة العولمة و ما تحمله من خلفيات و أبعاد و تأثير على ثقافة الدول و خصوصياتهم. وذلك من أجل الإطلاع و الوقوف على حقيقة هذه الظاهرة خاصة في بعدها الثقافي و مدى تأثيرها في الثقافة العربية.

## الأسباب الموضوعية

أما فيما يخص الأسباب الموضوعية فنتمثل في أن هذا الموضوع يدخل في صميم الدراسات التي يتعين الخوض فيها، والتي تثار بشأنها الكثير من التساؤلات و الإشكالات التي تقتضي التصدي لها ومحاولة الإجابة عنها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يتعين تحديد و بدقة حدود التأثير الذي خلفته

ظاهرة العولمة على الثقافة العربية، كذلك التعرف على ملامح الثقافة ومكوناتها التي لطالما عرفت لدى علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا و غيبت لدى علماء السياسة و العلاقات الدولية.

وكذلك الوقوف على حقيقة مفهوم العولمة وعلاقتها بالثقافة و الإسهام في التعريف بأبعادها و مضامينها المختلفة، بالإضافة على معرفة الآثار و الإنعكاسات التي سترتبها ظاهرة العولمة على الأمن الثقافي بالخصوص الأمن الثقافي العربي، ومحاولة الإسهام في إثراء الدراسات الجامعية في هذا المجال.

### إشكالية الدراسة

- إلى أي مدى يمكن أن تؤثر ظاهرة العولمة على الأمن الثقافي للشعوب ؟

وفي ضوء هذه الإشكالية سيتم التعامل مع الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ماهي حدود هذا التأثير ؟
2. هل العولمة وسيلة للهيمنة على العالم ؟
3. ما هي الآثار التي خلفتها العولمة الثقافية؟
4. ما أبرز تهديدات العولمة الثقافية للعالم العربي؟
5. كيف يمكن لدول العالم الثالث والدول العربية بالخصوص مواجهة ظاهرة العولمة المستهدفة بالأساس جانبها الثقافي ؟

### فرضيات الدراسة

إنطلاقا من الإشكالية التي سبق طرحها تهدف الدراسة الى إختبار الفرضيات الآتية:

- 1- إن بروز مرحلة جديدة للنظام الدولي المصحوبة بولوج ظاهرة العولمة أدت الى إعادة صياغة مفهوم جديد للأمن وبلورة منظومة مفاهيمية جديدة له .

2- إن ظهور العولمة كنتيجة للعديد من المتغيرات في مختلف مجالات الحياة أسهمت في بروز العديد من التهديدات الثقافية التي تستدعي من الشعوب والثقافات تقديم الإستجابة الفاعلة لمواجهتها.

3- إن توظيف النظام العالمي الجديد للإعلام ووسائله لخدمة منطق العولمة من شأنه أن يساهم في عملية إختراق الهوية والسيادة القومية للدول المستقلة و إرباك مرتكز الثقافات القومية لدول العالم الثالث.

4- إن طبيعة التهديدات الخطيرة التي تفرضها العولمة الثقافية من شأنه أن يضع الثقافة العربية أمام حتمية المواجهة أو الذوبان داخل الثقافة الغربية.

5- يشكل غياب مشاريع حقيقية لحماية الأمن الثقافي العربي عائقا أما الحفاظ على مكونات الثقافة العربية من مخاطر العولمة الثقافية.

### منهج الدراسة

بالرغم من تنوع المناهج التي يمكن إستخدامها في دراسة ظاهرة العولمة وتأثيراته على الأمن الثقافي، إلا أن الدراسة ارتأت أن يطغى في التحليل الجمع بين المناهج لأن طبيعة الظاهرة تتطلب القيام بتحليل العولمة عن طريق وصفها والتعريف بها وتحديد أبعادها و مؤسساتها ومدى تأثيرها على الأمن الثقافي. ولذلك تم توظيف المنهج التاريخي من خلال تتبع التطور التاريخي لبعض المفاهيم كمفهوم الأمن ومفهوم العولمة ومفهوم الثقافة.

كما إعتمدت الدراسة على منهج تحليل المضمون من خلال تحليل الوثائق و المعلومات الخاصة بظاهرة العولمة، والوقوف على حقيقتها وتهديداتها على الأمن الثقافي، وكذلك في تحليل واقع الثقافة في العالم العربي.

كما فرضت الدراسة إستخدام منهج التحليل الثقافي للتركيز على الجانب الثقافي وتأثيرات ظاهرة العولمة على الأمن الثقافي للشعوب بالخصوص العالم العربي، كذلك تركيز هذا المنهج على المستوى الثقافي في تحليل العلاقات بين الأمم والشعوب.

بالإضافة إلى الإعتماد على منهج تحليل الإحصاء و ذلك من خلال إعطاء قراءة رقمية كافية تترجم لنا حقيقة ظاهرة العولمة وأبعادها خاصة في بعدها الثقافي و مدى تأثيرها على الثقافة العربية.

وأخيرا تم الإعتماد على منهج دراسة الحالة، والذي يعد الهدف من استخدامه الوقوف على واقع الثقافة العربية الراهن وتأثيرات ظاهرة العولمة عليه.

### الإطار المكاني والزمني للدراسة

موضوع الدراسة في إطاره النظري يتمحور حول ظاهرة العولمة و تأثيرها على الأمن الثقافي، أما الإطار المكاني فيرتبط بالوطن العربي، أما الإطار الزمني فهو يختص بالفترة الزمنية الممتدة منذ نهاية الحرب الباردة إلى يومنا هذا.

### أدبيات الدراسة

**أولاً:** يرى حسن حنفي<sup>1</sup> أن العولمة ليست ظاهرة جديدة، بل قديمة قدم الإستعمار الذي بلغ ذروته في القرن التاسع عشر والذي انحسر في القرن العشرين. ولكن عاد الإستعمار الإقتصادي والسياسي والثقافي والإجتماعي من جديد في صور العولمة بالإقتصاد الحر والمنافسة والريح والعالم قرية واحدة، والتبعية السياسية وتجاوز الدولة القومية، ونشر القيم الإستهلاكية وثقافة العنف. ويرجع حسن حنفي سبب ظهور العولمة إلى عدة حوادث متسارعة، كانهيار الإتحاد السوفييتي والنظم الإشتراكية في أوروبا الشرقية، وانفراد النظام الرأسمالي بالعالم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. فالعولمة بأبعادها المختلفة ما هي إلا شكلا من أشكال الهيمنة، تؤدي في النهاية إلى التركيز في الدول الصناعية الكبرى، والفقير والتهميش والتبعية للأطراف أي الدول النامية.

**ثانياً:** يرى محمد عابد الجابري<sup>2</sup> أن العولمة تعني تعميم النمط الحضاري الأمريكي على بلدان العالم أجمع وتعتبر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم و أمركتته، كما يرى أنه ليس هناك ثقافة عالمية واحدة بل هناك ثقافات متعددة ومتنوعة، منها ما يميل إلى الإنغلاق والإنكماش، ومنها ما يسعى إلى الإنتشار

<sup>1</sup> حنفي حسن وصادق جلال العظم، ما العولمة، دمشق، دار الفكر، 1999.

<sup>2</sup> الجابري محمد عابدي وآخرون، العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009.



والتوسع، ومنها ما ينعزل حيناً وينتشر حيناً آخر، ووصف الجابري الثقافة والنمط الحضاري التي تحاول أمريكا نشره وتعميمه على العالم بأنها "ثقافة الإختراق" التي تهدف إلى التطبيع وتكريس الإستتباع الحضاري.

**ثالثاً:** يرى صادق جلال العظم<sup>1</sup> أن العولمة هي تسليع كل شيء بصورة أو بأخرى، وفي كل مكان، فالعولمة كما يقول هي: "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ". وهو بذلك يرى أن العولمة تحقق الانتصار لنمط معين من إنتاج الثروة وتوزيعها وتداولها وتبادلها في كل مكان على سطح الكرة الأرضية.

**رابعاً:** أما يوسف المراشدة<sup>2</sup> فيرى أن العولمة ليست سوى شكل معاصر للرأسمالية القديمة والليبرالية الغربية والتي تعرف النيوليبرالية أو "الليبرالية الجديدة". لذلك فهي جوهر الليبرالية والرأسمالية الغربية التي تنادي بالتححرر وفق فرض نموذج سياسي وفكري غربي رأسمالي واحد على كامل دول العالم بخاصة الدول العربية والإسلامية.

لذلك فإن العولمة باتجاهاتها المتعددة تهدف إلى أمركة العالم عبر إلغاء الهوية الثقافية الوطنية واستبدالها بالثقافة الأمريكية التي تنادي بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وتعزيز مكانة المرأة في المجتمع وغيرها من القيم والمفاهيم التي تتماشى مع الفكر الرأسمالي الليبرالي الغربي.

**خامساً:** يرى عبد الإله بلقزيز<sup>3</sup> أن العولمة هي الدرجة العليا من درجات الهيمنة والتبعية الإمبريالية، وتشكل المرحلة النهائية لانتصار النظام الرأسمالي العالمي كونياً. أما العولمة الثقافية لديه فهي ليست الانتقال من ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، بل هي: "فعل إغتصاب ثقافي عدوان رمزي على سائر الثقافات"، كما أنها تعتبر الإسم الحركي للأمركة من خلال سعي الولايات المتحدة الأمريكية لنشر الثقافة والفكر الأمريكيين على جميع دول العالم . ويصف عبد الإله بلقزيز ثقافة العولمة بثقافة ما بعد المكتوب وهي ثقافة الصورة التي تحطم الحاجز اللغوي وتخترق وعي الفرد وتعبر عنه.

<sup>1</sup> العظم صادق جلال وحسن حنفي، مرجع سابق.

<sup>2</sup> المراشدة يوسف، العولمة وأثرها على الوطن العربي: مشروع الشرق الأوسط الكبير، أربد، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2007.

<sup>3</sup> بلقزيز عبد الإله، العولمة و الهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، ط 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.

ويختتم عبد الإله بلقزيز دراسته في القول أن مقاومة العولمة الثقافية ليست قطع سبل التفاعل الثقافي مع العالم الخارجي، بل هي طريقة الوصول إلى الثقافة العالمية الحقيقية وهي ثقافة سائر المجتمعات من دون استثناء .

**سادسا:** كتاب العولمة وتداعيتها على الوطن العربي، لأحمد ثابت وكتاب آخرون<sup>1</sup> كالسيد أحمد مصطفى عمر، وأحمد جاعد الدليمي، وهو عبارة عن محاولة من أقلام متعددة لفهم ظاهرة العولمة وتحديد مفهوماها، ورصد آليات إشتغالها و زحفها على الفضاء الكوني، وتحليل نتائجها الإقتصادية والسياسية السلبية على الوطن العربي و كياناته السياسية، ثم تحليل خطابها كما يعبر عن نفسه في الواجهتين الإعلامية و الثقافية.

**سابعا:** خليل نوري مسيهر العاني<sup>2</sup>، حيث ناقش موضوع الهوية الإسلامية في عصر العولمة الثقافية، وركز على ظاهرة العولمة كحلقة أخرى من سلسلة حلقات التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، تتميز عن سابقتها من حيث الكم و النوع والقوة والقدرة والخطورة، وخاصة في بعدها الثقافي وما تحمله العولمة الثقافية من مخاطرة على الهوية الإسلامية.

**ثامنا:** محمود محمود النجيري<sup>3</sup> حيث ناقش موضوع الأمن الثقافي العربي بإسهاب ويرى فيه على أنه ضرورة إستراتيجية ملحة لضمان بقاء الأمة العربية، خاصة في ظل الأزمة الثقافية التي تتخبط فيها الأمة العربية وكذلك فرص بقاء الثقافة العربية في ظل العولمة الثقافية.

## تقسيم الدراسة

جاءت الدراسة موزعة على ثلاث فصول حيث ركز الفصل الأول على الإطار المفاهيمي و النظري لدراسة ظاهرة العولمة و تأثيرها على الأمن الثقافي، وذلك من خلال ثلاث مباحث، تتبع المبحث الأول تطور مفهوم الأمن من الطرح التقليدي الى التطرق للمقاربات الهادفة لتوسيع في مفهوم الأمن، وصولا لمفهوم الأمن الإنساني ورصد مفهومه وأبعاده كالأمن الثقافي، في حين عالج المبحث الثاني

<sup>1</sup> أحمد ثابت وآخرون، العولمة و تداعياتها على الوطن العربي ، 24،سلسلة المستقبل العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004 .

<sup>2</sup> مسيهر العاني خليل نوري، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، العراق، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، 2009.

<sup>3</sup> محمود محمود النجيري ، الأمن الثقافي العربي التحديات و آفاق المستقبل، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب(بدون سنة نشر).

مفهوم الأمن الثقافي و المفاهيم ذات الصلة به كمفهوم الثقافة، الغزو الثقافي، الإختراق الثقافي وغيرها من المفاهيم، أما المبحث الثالث اهتم بدراسة مفهوم العولمة وتحديد أبعادها و مظاهرها وأهم مؤسساتها.

أما الفصل الثاني فركز على إبراز التأثيرات التي خلفتها ظاهرة العولمة على ثقافات الشعوب، وذلك من خلال ثلاث مباحث، حيث تطرق المبحث الأول لبعد أساسي من أبعاد العولمة ألا وهي العولمة الثقافية مع إبراز مفهومها ووسائلها و تحديد أهدافها الحقيقية، أما المبحث الثاني فتطرق إلى التحديات التي تواجه الثقافة في ظل المرحلة العولمية كتحدّي المحافظة على التنوع الثقافي، وتحدي التقارب بين الثقافات في ظل العولمة، أما المبحث الثالث فاهتم بتحديد مفهوم إعلام العولمة وإبراز أهم تقنياته التي يعتمد عليها للتأثير على ثقافات الشعوب.

الفصل الثالث كان عبارة عن دراسة حالة لتأثير ظاهرة العولمة على الثقافة العربية من خلال أربع مباحث ركز المبحث الأول حول توضيح حالة الثقافة العربية في عصر العولمة مع إبراز الأزمة التي تتخبط فيها الثقافة العربية، بينما رصد المبحث الثاني واقع الهوية العربية في عصر العولمة وتحديد أهم التهديدات التي تواجهها خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. في حين ركز المبحث الثالث على إبراز التأثيرات التي خلفتها ظاهرة العولمة في بعدها الثقافي على الثقافة العربية. أما المبحث الرابع كان عبارة عن محاولة لوضع تصور للمشروع أو الخطة الشاملة الواجبة إتباعها لحماية الثقافة العربية من مخاطر العولمة الثقافية.

# الفصل الأول

الإطار المفاهيمي و النظري لدراسة

تأثير العولمة على الأمن الثقافي

## تمهيد:

اكتست ظاهرة العولمة أهمية كبيرة بعد نهاية الحرب الباردة والتي عملت على تقليص المسافات بين الأفراد والشعوب، حتى أصبح العالم شبيها بقرية عالمية صغيرة، خاصة بإعتماد هذه الظاهرة على التقنيات والتكنولوجيات العالية في عدة مجالات من الحياة سواء السياسية والإقتصادية، والتقنية، والمعرفية، و الثقافية.

لهذا فموضوع الثقافة يعد بمثابة جزء من مكونات الدول و مكون أساسي لخصوصياتها، ولكن مع التطور الحاصل في الجانب التقني خاصة مجال الإتصالات مع إرتفاع القدرة على نقل المعلومات بسرعة فائقة في جميع المجالات، مما وضع العديد من الثقافات أمام واقع جديد لم يكن موجود من قبل بهذا الشكل خاصة مع سعي الولايات الأمريكية المتحدة والحضارة الغربية لخلق ثقافة جديدة لمرحلة جديدة هي ثقافة العولمة، هذا أيضا مع وضع باقي الشعوب أمام حتمية مواجهة هذه التهديدات سعيا منها للحفاظ على ثقافتها وأمنها الثقافي.

وبناء على هذا الأساس سيركز الفصل الأول من هذه الدراسة على التعريف بظاهرة الأمن و تطوره في ظل التحولات الدولية التي شهدتها العالم في فترة الحرب الباردة، كذلك التركيز على التعريف بالأمن الثقافي كنتاج لتطور مفهوم الأمن و أخيرا التركيز على ظاهرة العولمة وأبعادها.

**المبحث الأول : التطور الحاصل في مفهوم الأمن**

بدأ مفهوم الأمن يتبلور منذ زمن الحضارات القديمة، خاصة الحضارة الصينية حيث إنحصر مفهوم الأمن في أمن الدولة و بقائها، وعمر هذا المفهوم طويلا و لايزال على الرغم من المحاولات التجديدية والنقدية التي خصت مفهوم الأمن و الدراسات الأمنية.

فقد سيطرت و حتى وقت قريب مقاربة تقليدية واقعية التصور على قضية الأمن بإختزاله في المجال العسكري، إلا أنه توجب إنتظار نهاية الحرب الباردة لمراجعة مضمون الأمن وخلق نوع من التشقق والتصدع في الدراسات التقليدية للأمن، حيث شكلت هذه المرحلة الجديدة نقلة جديدة في إدراك مفهوم الأمن تنظيرا و ممارسة حيث تولى عدد معتبر من الدارسين مهمة إخراج الأمن من المفهوم الضيق الذي لازمه إلى أبعاد أخرى لم تكن مدرجة في الفترة السابقة خاصة مع بروز مسائل مهمة في الشؤون الدولية مثل ظاهرة العولمة، و عليه سنتناول في هذا المبحث كيفية تطور مفهوم الأمن بحسب أهم النظريات التي تناولت تطور مفهوم الأمن.

**المطلب الأول : الطرح التقليدي للأمن**

إن مفهوم الأمن من أصعب المفاهيم التي يتناولها التحليل العلمي، لأنه مفهوم نسبي ومتغير ومركب، وذو أبعاد عدة و مستويات متنوعة، يتعرض لتحديات وتهديدات مباشرة وغير مباشرة من مصادر مختلفة تختلف درجتها وأنواعها وأبعادها وتوقيتها، سواء تعلق ذلك بأمن الفرد أو الدولة أو النظام الإقليمي أو الدولي. فهو أحد المفاهيم المركزية في حقل العلاقات الدولية الذي اتسم بالغموض الشديد منذ ظهور العلاقات الدولية عقب الحرب العالمية الأولى.

إن الأمن ليس من المفاهيم السهل تعريفها، وليس من المفاهيم المتفق عليها بصورة عامة، وإنه من الصعب إعطاء تعريف محدد لما تعنيه كلمة الأمن شأنها في ذلك شأن كثير من الكلمات المتداولة التي تقتقر إلى تعريف محدد لها يمكن تقديره بشكل قاطع.

وفي ذلك يرى باري بوزان أنه مفهوم معقد وينبغي لتعريفه الإحاطة بثلاثة أمور على الأقل بدءا بالسياق السياسي للمفهوم، ومرورا بالأبعاد المختلفة له، وإنهاءا بالغموض والإختلاف الذي يرتبط به عند تطبيقه في العلاقات الدولية.

وقد تناولت دراسات والمعاجم اللغوية العربية والأجنبية كلمة الأمن، فعدته مرادفا للطمأنينة أو نقيضا للخوف أو مساويا لانتفاء الخطر. ويتعلق إستخدامها عادة بالتححرر من الخطر أو الغزو و الخوف، وهذه مفردات ليست مترادفة وكل مدلول منها يختلف عن الآخر، فعملية التححرر تلك وصفها كل من بوث وويلر بأنه لا يمكن للأفراد والمجموعات تحقيق الأمن المستقر إلا إذا إمتنعوا عن حرمان الآخرين منه، ويتحقق ذلك إذا نظر للأمن على أنه عملية تححرر.<sup>1</sup>

وفي هذا السياق يعد تعريف "Arnold wolfers" من أدق التعريفات المقدمة لمفهوم الأمن حيث يقول: "أنه في جانبه الموضوعي يعني غياب أية تهديدات تجاه قيم مكتسبة، وفي جانبه الذاتي فهي يعني غياب الخوف من أن يتم المساس بأي من هذه القيم". وبإسقاطه على فترة الحرب الباردة، فإن هذه التهديدات إحصرت في المخاوف التي سادت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها تجاه المد الشيوعي والمخاطر التي كانت تهدد القيم الليبرالية. وبهذا فقد آلت إلى دراسات أوربية (أو غربية) التمركز من جهة، مما ساهم في إقصاء شريحة كبيرة من الإنسانية وبناء تصور عنصري للأمن. ومن جهة أخرى، فقد غلب عليها الطابع التقني، بسبب ميلها إلى الجوانب العملية، وتنافس الباحثين على إصدار دراسات يمكن الإستناد إليها لصياغة سياسات فعالة لمواجهة الإتحاد السوفييتي.<sup>2</sup>

ولإلقاء الضوء حقيقة عن مراحل تطور مفهوم الأمن يتحتم علينا أولا التطرق إلى الطرح التقليدي له والذي عالج به بإسهاب المنظور الواقعي، إذ تتخذ الواقعية التقليدية من الدولة وحدة التحليل للعلاقات الدولية ولبناء المقاربات الأمنية الهادفة لإظهار كيفية محافظة الدولة على أمنها وإستقرارها في عالم فوضوي وغير مستقر. فيتمثل موضوع المقاربات التقليدية في الدولة و في كيفية تأمين بقائها من التهديدات على سيادتها وعلى وحدة ترابها.

وفي هذا السياق فإن هذه الوضعية تربط مفهوم الأمن بمفاهيم أخرى كالتهديدات والجروحات التي لا يشعر فيها الأفراد أو الجماعات بأنهم في حالة إختراق، فهو إذا الشعور بغياب التهديد أو بإمتلاك وسائل حله و مواجهته. والوضعية الأمنية بهذه الصورة يمكن خلقها أو تقويتها بالسياسات الهادفة للدفاع العسكري.

<sup>1</sup> سليمان عبد الله الحربي، 'مفهوم الأمن: مستوياته وصيغته و تهديداته (دراسة نظرية في المفاهيم و الأطر )'، المجلة العربية للعلوم السياسية، أمن الخليج، ص ص 9-10.

<sup>2</sup> عادل زقاغ ، 'إعادة صياغة برنامج البحث في الأمن المجتمعي' ، ص 2 . على الرابط الإلكتروني:

و تعتبر الواقعية أن السياسة الدولية هي عبارة عن علاقات بين الدول ذات المصالح المتعارضة، مما يدفع لإندلاع الحروب و لا يمكن للسلم أن يرتكز لا على القانون الدولي ولا على المنظمات الدولية، ويمكن الحل الوحيد في توازن القوى في ظل مجتمع فوضوي. فالتهديد الذي يسعى المفهوم التقليدي لاحتوائه ذو طبيعة مادية و هو تهديد موضوعي يتم مواجهته بتطوير قدرات الدولة العسكرية، لأن الأمن هو "أمن الدولة" وبقاء الدولة. إن إفتراض وجود تهديدات تمس ببقاء الدولة المادي و حصرها في العسكرية منها، قد قلص مفهوم الأمن إلى مجرد "مسألة دفاعية و حمائية" نجد بذلك كل من ديمومة الدولة والإستقرار في قلب النظرية الواقعية، لكون الدولة تتواجد في عالم فوضوي، وعرفت التهديدات بأنها أفعال أو القدرة على الإتيان بأفعال مادية، مما يدفع بالإمكانات العسكرية لأن تكون في قلب العلاقات الدولية. فتظهر بذلك القدرة العسكرية مقياسا لقوة الدولة، و لقدرتها في الدفاع عن أمنها إزاء تهديد غيرها لها، مما يخلق المأزق الأمني. و يمكن للدولة اللجوء إلى كل الوسائل قصد تحقيق أهدافها العليا، أي ضمان البقاء والأمن، بإستخدام مواطنيها ضد أي تهديد ضدها ما دام المهم هو بقاء الدولة.<sup>1</sup>

### أهم مفكري الواقعية التقليدية

كل هذه الأفكار والأسس نتاج تفكير العديد من الفلاسفة و المفكرين السياسيين، الذين من خلال التطرق إليهم يمكننا إستنتاج الأسس التي يرتكز عليها مفهوم الأمن التقليدي.

#### 1- ثوسود يدس

درس الحرب بين سبارطا و أثينا، ليؤكد من خلال الدراسة أن سباق التسلح الذي كان على أشده والمتسبب في إندلاع الحرب، راجع لزيادة قوة أثينا فإعتبرت سبارتا ذلك تهديدا لأمنها، فحذت حذوها. يعد بذلك سباق التسلح و الزيادة في القوة العسكرية لإحدى الدول تهديدا على أمن جيرانها و سببا لإندلاع الحروب، فقوة الغير العسكرية تهدد بقاء الدولة.

<sup>1</sup> فريدة حموم ، الأمن الانساني: مدخل جديد في الدراسات الأمنية، ( مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية تخصص علاقات الدولية) غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2004 ، ص 9 .



## 2- مكيان فلي

أكد في كتاباته على مبدأ واحد و هو تحرير السياسة من مبادئ الدين و الأخلاق، و إباحة استخدام كل الوسائل حتى غير المشروعة في سبيل تحقيق الغاية المنشودة لذا فالغاية عنده تبرير للوسيلة المستعملة و الغرض من السياسة هو المحافظة على القوة السياسية للدولة و زيادة قوتها باستمرار و عدم السماح للغير من أن يكون قويا لأنها بذلك تساهم في تدمير نفسها.

فتكون بذلك الحرب عادلة لمن هي ضرورية. ومن خلال هذا يرى وجود نوعين من الحروب: الحروب الهجومية والحروب الدفاعية. فحرب البقاء هي الحرب الهجومية عندما تكون الحل الوحيد للبقاء، وهي التي تحافظ على البقاء وليس السلم. أما الحرب الدفاعية فتتعرض التسلح الكبير لرد هجومات الحرب الهجومية من قبل الغير. ف كلا الحربين ضروريتان لأنه إن أرادت أية دولة العيش بسلام فقد حكمت على نفسها بالزوال. فالقوة هي الضمان الوحيد لبقاء الدولة و استمرارها، و التنازل عنها يعني النهاية لها.

## 3- توماس هوبز

يؤكد مثل بودان أن السيادة مطلقة و لا ترد عليها أية قيود نتيجة للعقد الإجتماعي الذي أبرمته الجماعة برضاها، قصد حفظ السلام و تحقيق الصالح العام. والعقد يؤدي إلى تنازل كلي للحقوق الطبيعية، و بدون ذلك ستستمر الحروب والمصادمات بين الأفراد، إن هم احتفظوا بجزء منها، فالعقد الإجتماعي يمكن الفرد من التخلي عن قتل غيره لضمان أمنه بواسطة الدولة. لا يمكن لهذا التنظيم أن يتواجد أو أن يحدث في العلاقات الدولية لغياب السلطة العليا التي تفوض الأمن، مما يعني أن الدولة لا تزال في حالة الطبيعة.<sup>1</sup>

## 4- كارل فون كلا و سفيتز

يرى أن العلاقات الدولية ميدان لتنازع المصالح بين الدول، مما يجعل من الحرب شكلا خاصا، ومتطرفا للتنازع بين المصالح الكبرى و التوصل لحلها يكون بسفك الدماء. فالعرب شكل للعمل السياسي، و السياسة بدورها تحكم الحرب، لذلك يرى أن الحرب ما هي إلا استمرارية للعمل السياسي بدخول وسائل جديدة دون إيقاف للعلاقات السياسية. فالعلاقات الدولية جدلية صراع و مواجهة مستمرتين تلجأ إثرهما الدولة للعنف عندما تراه مناسبا أو ضروريا لبلوغ هدفها.

<sup>1</sup> عامر مصباح، الإتجاهات في تحليل العلاقات الدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص ص، 121\_ 126 .

## 5 - هانس مورغانو

يؤكد على مجموعة مبادئ تحكم العلاقات الدولية وتتمثل في:

- يتم عمل رجل الدولة ضمن المصلحة المعروفة بالقوة و المتمثلة في ضمان بقاء الدولة.
- البقاء هو حفاظ الدولة على وحدتها و تعايشها، فجوهر السياسة هي المصلحة.
- لا مجال لتطبيق المبادئ الأخلاقية، فالمهم هو تحقيق المصلحة دون إلحاق ضرر بالدولة.
- الميكانيكيزم الوحيد لبقاء الدولة و الذي يحكم العلاقات الدولية هو ميزان القوى. فمورغانو يرفض إدانة سياسات القوة و الحروب، و لا يعترف بأهمية المنظمات الدولية في الحقل الدولي، ويؤمن بأن الصراع هو صراع دائم لأجل القوة و بفضل القوة.<sup>1</sup>

## مرتكزات المنظور الواقعي للأمن:

يرتبط الأمن بمفهومين أساسيين يعدان الركيزة الأساسية للنظرية الواقعية هما:

1. **المصلحة الوطنية:** أين يكون الأمن هو محور وأساس المصلحة الوطنية او القومية حيث يذهب هانز مورغانو إلى أن الحفاظ على الوجود المادي للدولة هو الحد الأدنى من المصلحة الوطنية و هو كذلك أحد مظاهر الأمن ، ومن هنا الأمن في حد ذاته مصلحة قومية.
  2. **زيادة حجم القوة:** يتطلب الأمن وفقا لنفس المنظور زيادة قوة القدرة الوطنية وهو ما قد ينجز عند إرتباط الأمن القومي بمفهوم الدفاع على أساس أن الشكل السائد للقوة هو القوة العسكرية.<sup>2</sup>
- بذلك فقد حصر التصور الواقعي للأمن في بقاء الدولة أساسا والاعتداء المسلح ضدها أي اختزاله في قضية حماية ودفاع، وهذا ما جعل الأمن موضوعا للدراسات الدفاعية و الإستراتيجية التي سيطر عليها التصور الواقعي إلى وقت محدد.

<sup>1</sup> ريمون حداد، نظرية العلاقات الدولية: أشخاص العلاقات الدولية ، نظام أم فوضى في ظل العولمة ، بيروت دار الحقيقة ، 2000 ص ص 56 - 55 .

<sup>2</sup> أسماء درغوم ، البعد البيئي في الأمن الإنساني : مقارنة معرفية ( مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصص: الديمقراطية والرشادة ) غير منشورة جامعة منتوري، قسنطينة، 2009 ، ص 20 .

وعلى العموم يعرف عبد الوهاب الكيالي الأمن بالمنظور التقليدي على أساس أنه أبسط تعريف للأمن الوطني أو القومي هو "تأمين سلامة الدولة من أخطار خارجية و داخلية، قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية نتيجة ضغوطات خارجية أو إهيار داخلي".<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: المقاربة الهادفة للتوسيع في مفهوم الأمن:

نبتت محاولات التوسيع في المفهوم التقليدي للأمن من قلب المنظور الواقعي ذاته، كمحاولة من بعض منظريها لتدارك النقد الموجه للواقعية بعدم احتوائها للتهديدات الجديدة، و المتمثلة أساسا في انتشار ظاهرة النزاعات الداخلية و تفشي الفقر و الأوبئة و تزايد الضربات الإرهابية و الأخطار البيئية التي بدأت فعلا تزعزع استقرار الدول و كذا النظام الدولي.

#### التوسيع في طبيعة التهديدات

ظهر النقاش حول مسألة توسيع المفهوم بداية من الثمانينات والتسعينات، لإعادة النظر في حصره في الإطار العسكري و من ثم الحديث عن توسيع أو تعميقه. و يقصد بتوسيعه، توسع قائمة التهديدات إلى المجالات غير العسكرية للدولة و إمكانية اتخاذ مرجعية الدراسات الأمنية من وحدات غير الدولة. و لم يكن ممكنا حدوث التغيير في المناهج الأمنية لو لم تتغير طبيعة التهديدات المحددة لمفهومنا الأمني، ولحاجتنا لاحتوائها، و كيفية إدراكنا لها. و توجد هناك صورتين للعالم مختلفتين في مجال الأمن : عالم متقل بالتهديدات التقليدية و المشكل عامة من الدول الفقيرة، أين لا يزال يلجئ فيها للعنف المسلح كوسيلة لحل المشاكل السياسية، و عالم متحضر مشكل من الدول القوية التي ابتعد عنها تقريبا شبح الحرب إلا أنها تعاني من ظواهر جديدة كالإرهاب و التلوث و الإجرام، أي تهديدات ذات طابع غير مادي، فالرأي العام في هذه الدول واعي بخطورة مثل هذه التهديدات التي أخذت تشكل بالنسبة إليه أخطارا تتجاوز اعتداءات الجيوش الأجنبية، فالخطر بالنسبة إليهم أصبح يوميا.

تتباين إذا صورتنا للأمن وفقا للتهديدات الأكثر ثقلا على المجتمعات، فإن كانت الحروب الدموية ما تزال لها الكلمة في العالم الثالث، فالشغل الشاغل للدول المتقدمة أضحى في المخاطر التي حملتها التهديدات

<sup>1</sup> عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ط 2، بيروت، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 0199 ص 331.

الجديدة. و دفع بذلك هذا الوضع المتباين إلى ضرورة الإقرار بوجود عوامل ليست عسكرية، لكنها تشكل بدورها تهديدا للأمن الداخلي و الدولي.

يعود إذا الدافع الرئيسي لإجراء المحاولات التوسعية للمفهوم التقليدي لبروز التهديدات الجديدة، التي لا يمكن مواجهتها بالقوة العسكرية لوحدها.

و من بين الواقعيين الجدد الذين أكدوا على ضرورة إدراج تهديدات أخرى نجد ميكائيل ديون الذي يرى أن الأمن ليس مجرد كلمة تشير للتحرر من الخطر أو التهديد، لكنه كذلك وسيلة الضغط عليه و حصره. ويرى ديون أنه في الوقت الذي نعرف فيه ما يجب أن نخاف منه، فنحن نبحث كذلك عن كيفية وصفه وممارسة الإكراه عليه، و مؤكدا على أن الأمن قد شكل أساس الفكر المعاصر و أن مهمة الممارسة السياسية هو تأمين الأمن.<sup>1</sup>

وفي هذا السياق يرى باري بوزان أن المسألة الأمنية و ما ينتج عنها من نقاشات تدور حول مسألة استمرارية التحرر من التهديد، و لا حاجة لتقديم تعريف محدد للأمن، كونه عملا متخلفا في العلاقات الدولية.

فجد كذلك بوزان لا يحصر التهديد في العسكري فقط بل هو يشير الى كونه كل ما يستدعي التحرر منه، بمجرد كونه مهددا لأمن وبقاء الدولة، يتجلى إذا التهديد في صور غير مادية و متعددة الجوانب والأبعاد. لم تعد إذا الأولوية للميدان العسكري نظرا لتراجع التهديدات ذات الطابع العسكري و المباشرة على الحدود للعديد من الدول، مقابل تزايد قوة تهديدات أخرى غير عسكرية عادت للبروز بشدة بعدما جعلتها الحرب الباردة تركز للصف الثاني بعد تهديد الأسلحة، و أين كثر الحديث على أن في هذه الفترة كان الرعب النووي هو من فرض الأمن و الإستقرار.

لذا سعت الواقعية الجديدة المعتمدة على رؤية شاملة وانطلاقا من طرح واقعي يأخذ بعين الاعتبار التداخلات و المؤثرات السياسية و الإقتصادية و الجغرافية، التعبير عن مرحلة جديدة بعد فشل استعمال القوة في الفيتنام، مقابل نجاحات كبيرة حققها المعسكر الشيوعي في ظل التعايش السلمي.

إلا أن بعض الواقعيين رفضوا التوسيع في المفهوم و التعمق فيه كون ذلك سيحول مجال الدراسات الأمنية إلى كل ثقافي غير متناسق و مستحيل التطبيق، و منهم نجد "ستيفان ولت" الذي يجد أن الأمن يتطابق ببساطة مع ظاهرة الحرب. و إن كان يعترف بأن الفقر مثلا أو المخدرات أو السيدا يمكن لها أن تهدد أمن الفرد و الدولة، إلا أنه يرفض إدماجها في مراجعة مصطلحاتية للمفهوم، لأن دمج هذه الظواهر

<sup>1</sup> فريدة حموم ، مرجع سابق ، ص 17 .

وتوسيع التهديدات للأبعاد غير العسكرية قد يجلب دمج مسائل أخرى كالتلوث و حقوق الإنسان والمجاعة. لذا فمفهومه للأمن يبقى دائما ضمن التصور الواقعي التقليدي. و ذلك حفاظا على التناسق الإيتمولوجي للمفهوم.<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: مفهوم الأمن الإنساني

لا تتطور العلوم بمعزل عن الواقع الذي يعيشه الباحث والذي يسعى لإدراكه وفهمه. كذلك التطور في مفهوم الأمن و الحديث عن مقاربات أمنية تنتهج تحليلا مخالف للمنظور الواقعي راجع أساسا لكون الواقع يفرضه، هذا التحول في الرؤى والتصورات الأمنية فرض لعاملين: نهاية الحرب الباردة وانعكاسات ظاهرة العولمة.

#### 1. ظروف بروز مفهوم الأمن الإنساني

##### أ - أثر نهاية الحرب الباردة على تحول مفهوم الأمن

##### الحديث عن نهاية الحرب الباردة

يثار الجدل بين المختصين والباحثين حول مسألة نهاية أو عدم نهاية الحرب الباردة، ففي الوقت الذي نجد فيه البعض يرى أن إنهيار الإتحاد السوفياتي، أدى إلى إحداث تحول في الميزة الثنائية للنظام الدولي، والحديث عن نظام دولي جديد أحادي القطبية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، نجد البعض الآخر يؤكد على أن ذلك لا يعني بالضرورة نهاية الصدام الإيديولوجي بين المعسكرين لكون وريثة الإتحاد السوفياتي "روسيا" لها مكانتها كذلك إذ تبقى قوة نووية عظمى.

إن الحديث عن إنهيار الإتحاد السوفيتي وإن لم يخلق مباشرة نظام دولي جديد، فإننا نعيش بوادره مع السيطرة الأمريكية الكلية على مجرى السياسة العالمية، وما حدث باجتياح دولة سيادية مثل العراق، وعجز المجموعة الدولية عن صد العدوان لدليل على نهاية فعالية للحرب الباردة ولبروز بوادر نظام دولي مؤكدا على الهيمنة الأمريكية.

إن بروز التصور الداعي لإعادة صياغة محتوى جديد لمفهوم الأمن خارج إطار الدولة كمرجعية أساسية وحيدة، والحديث عن مواضيع جديدة كحقوق الإنسان والتنمية المستدامة ومدى تأثيرها على السلم والأمن

<sup>1</sup> أسماء درغوم ، مرجع سابق ، ص 24 .

الدوليين لم يكن ممكنا حدوثها في ظل الثنائية القطبية أين كان التفكير هو في زيادة القوة العسكرية والتسلح الدائم، لذا فالقول بنهاية الحرب الباردة هو القول بميلاد تصور جديد للأمن وللتهديد، وفي معايير استعمال القوة العسكرية وفي حماية أكبر للمدنيين.

فزوال الإتحاد السوفيتي قضى على التهديد الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية، لكنه خلق تحدي جديد، كون ذلك لم قضى على النزاعات، باستعمال العديد منها وبصورة جديدة خالفة التوتر العالمي.<sup>1</sup>

### 1- التحول في طبيعة التهديدات:

برزت بنهاية الحرب الباردة العديد من التهديدات التي لم تعد توجه مباشرة ضد المصالح الحيوية للدولة كوحدة إقليمها، وأصبحت النزاعات الداخلية تزداد ضغطا على الإقتصاد العام، وعلى منطوق الإندماج مؤدية بذلك لتنامي العنف، والهجرة الجماعية، لذا أصبحت التحديات الحقيقية هي في التنمية. لقد عملت الحرب الباردة على تهميش التهديدات الجديدة أمام أولوية التسلح والهيمنة على الدول الأخرى، وبنهاية الحرب الباردة عاودت في الظهور بقوة إذ أصبح الفقر، الإجرام، المتاجرة بالمخدرات، وبالسلح والأوبئة وحشود اللاجئين والإنفجار الديمغرافي تهدد بقاء الدول والنظام الدولي بكامله. أدى هذا الإنتقال من فكرة ضمان الأمن كتصور سائد في المنظور الواقعي إلى الإستثمار لأجل الإبقاء على الإستقرار، لإقامة نظام مستقر وسوق شاملة، وأصبح الأمن بذلك يعني أكثر التأقلم مع الإعتماد المتبادل، الذي يدرج كذلك الإستقرار السياسي الداخلي بتأكيد الديمقراطية وحقوق الإنسان.<sup>2</sup>

### ب - العولمة وإنعكاساتها على مفهوم الأمن

ساهمت العولمة في التقريب بين الشعوب والأفراد، وإعطائهم الشعور بالتواجد في مجال مشترك، وإن كان مجالا متفجرا، متجاوزة الحدود لتبني المجتمع الواحد العالمي. فلا شيء يحدث اليوم في العالم دون معرفته، وكل واحد يمكنه التواجد في أي مكان جسديا (التنقل الفعلي) أو فكريا (الوسائل الإتصالية) ولم تعد هناك قيمة للحدود ولا للمسافات. وتدعي العولمة أنها تتجاوز الحدود بين الأمم والجماعات لإقامة عن

<sup>1</sup> خديجة عرفة محمد أمين، الأمن الانساني: المفهوم والتطبيق في الواقع العربي و الدولي ، الرياض ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2009، ص ص 12 - 13.

<sup>2</sup> Carlo Jean, (les missions de l'armée dans la nouvelle sécurité international) fonds des nations unies Bour éducation, la science et la culture (Unesco) vers une culture de la paix : quelle Security ? Paris Atelier de l'Unesco, 1997, p 106.

طريق التجارة والمبادلات، التفاهم وإحترام الإختلاف وحتى السلام والأمن، لكنها بالمقابل تخلف تأثيرات عكسية.

**1- صورية الحدود:** خلقت العولمة صورية الحدود، بفضل تزايد الإعتماد المتبادل وتسارع حركة التكنولوجيا والمعلومات فيما بين الدول والشعوب، مما دفع بالقول بتراجع الجيوبوليتيكية التقليدية أين وضعت الجغرافيا كمحدد للسيادة والحرب.

فالحدود الأرضية أصبحت قابلة للإختراق نظرا للتدفقات الإقتصادية التي إصطحبت بحركية المواطنين والأشخاص، والذين أصبحوا يتواجدون بكثرة في الخارج لدرجة أن المعادلة إقليم/مواطنة/أمن لم تعد ذات مصداقية، والقرب لم يعد بالمسافات بل بالهوية، وبالإعتراف بالغير. هذا ما يؤدي عادة إلى إعادة النظر في مفهوم الدولة والأمن وكذا المواطنة، وهي الأمور التي احتواها مفهوم الأمن الإنساني.

ولقد وضع المنظور الواقعي الحفاظ على السيادة الوطنية في قمة المصلحة العليا للدولة والتي لا بد من ضمان سلامة بقاها وعدم تعرضها للإنتهاكات، إلا أن العولمة تعيد النظر في الترابط بين ثلاث مصطلحات أساسية : السيادة والأمن والديمقراطية. فالاعتماد المتبادل في تزايد بين الدول والمجتمعات، والإقتصاد أخذ يطبع ممارسات جديدة تحمي الحدود بين الأعمال الداخلية والدولية، وتنتشر قيم ومعايير في المجتمع الدولي، باسم بداهة التضامن وواجب العمل، "فمن الصعب اليوم أن تؤخذ الحكومات كمسؤولة عن مسارات جذورها وتطوراتها تخرج جزئيا من إرادتها، ففي وقت العولمة قوة الدولة في تراجع أمام قوة السوق والمال، مما يعيد النظر في مبدأ عدم شرعية التدخل والمساواة بين الدول.<sup>1</sup>

**2- خالقة للنزاعات:** يتأثر الإستقرار العالمي وسير العلاقات الدولية بالعولمة فتزايد التجارة والإستثمارات الدولية زادت من تقوية الإعتماد المتبادل بين الأمم لدرجة أن البعض ظن أن ذلك سيقضي على النزاعات، غير أنها لم تقم إلا بزيادة اشتعالها وتفاقم أوضاع ملايين البشر.

كما تخلق العولمة التخوف من فقدان الهوية الذي تدفع ببعض الجماعات لإستعادة المبادرة وهو يتهم بكل الوسائل حتى العنيفة منها، ورغم صحة تقربها للمسافات فإن ذلك يحدث على حساب انتشار مطالب الهوية الخاصة، مما يدفع لإشتعال النزاعات الإثنية والمساس بالسلام والأمن الدوليين لتجاوز انعكاساتها حدود الدول.

<sup>1</sup> خديجة عرفة محمد أمين ، مرجع سابق ، ص 52 .

فقد زادت العولمة من فقدان الحكومات لسيطرتها ورقابتها على المصير الوطني في الميدان الإقتصادي والمالي فالقواعد يضعها السوق وليس الحكومات، ومداخل كبرى الشركات وصناديق الإستثمار تضاهي العديد من مداخل الدول السائرة في طريق النمو، مفقدة الحكومات القدرة في الحكم.

أضعفت العولمة إذا سلطة القطب السياسي والإداري للدولة ونقلت منها اتخاذ القرار، إلى الأسواق والشركات المتعددة الجنسيات مؤدية لإحداث التحول في مفهومي الحدود والسيادة، ومزيدة من اشتعال الحروب الأهلية لكونها تسهل من تزايد مطالب الهوية و المطالب الانفصالية كحروب الإثنيات في إفريقيا. وعلى هذ الأساس لا تساهم العولمة فقط في تنقل الأموال والأشخاص بل وكذلك الأسلحة والتكنولوجية وتجعل التهديد غير محدد مجالاً.<sup>1</sup>

## II. تعريف الأمن الإنساني:

تعرف لجنة أمن الانسان الأمن الإنساني بأنه: " هو حماية الجوهر الحيوي لحياة جميع البشر بطرائق تعزز حريات الإنسان وتحقيق الإنسان لذاته. فأمن الإنسان يعني حماية الحريات الأساسية - تلك الحريات التي تمثل جوهر الحياة. ويعني حماية الناس من التهديدات والأوضاع الحرجة والمتفشية. ويعني استخدام العمليات التي تبنى على مواطن قوى الناس وتطلعاتهم. ويعني إيجاد النظم السياسية والإجتماعية والبيئية والإقتصادية والعسكرية والثقافية التي تمنح معاً الناس لبناء البقاء على قيد الحياة وكسب العيش والكرامة".

أما كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره للأمم المتحدة في عام ٢٠٠٠ والمعنون ب" نحن البشر" أعطى التوصيف الواسع عن الأمن الإنساني كالاتي: يتضمن أمن الانسان بأوسع معانيه ما هو أكثر بمراحل من إنعدام الصراعات العنيفة. فهو يشمل حقوق الإنسان، الحكم الرشيد وإمكانية الحصول على التعليم وعلى الرعاية الصحية، وكفالة إتاحة الفرص والخيارات لكل فرد لتحقيق إمكاناته وكل خطوة في هذا الإتجاه هي أيضا خطوة نحو الحد من الفقر وتحقيق النمو الإقتصادي، ومنع الصراعات والتحرر من الفاقة والتحرر من الخوف، وحرية الأجيال المقبلة في أن تراث بيئة طبيعية صحية هي اللبنة

<sup>1</sup> شمس الدين محمد مهدي ، "العولمة و أنسنة العولمة" ، مجلة منبر المحور ، العدد 37 ، 1999 ، ص 08 .



المترابطة التي يتكون منها أمن الإنسان، وبالتالي الأمن القومي.<sup>1</sup>

وهذا المفهوم لأمن الانسان لا يجعل أمن الناس يحل محل أمن الدولة فهو يرى أن الجانبين يعتمد كل منهما على الآخر فالأمن بين الدول يظل شرطاً ضرورياً لأمن الناس، ولكن الأمن القومي لا يكفي لضمان أمن الناس ، ولذلك يجب أن توفر الدولة أشكالاً شتى من الحماية لمواطنيها. فيما يحتاج الأفراد إلى الحماية من السلطة التعسفية للدولة، وذلك من خلال سيادة القانون والتركيز على الحقوق المدنية والسياسية فضلا عن الحقوق الإجتماعية الإقتصادية.

إن أمن الإنسان يقتضي أساساً مجموعة من الحريات الحيوية للجميع، حتى لا تضيق السبل بمن هم فقراء من حيث الدخل أو غير قادرين على اغتنام فرصة تنمية قدراتهم عندما تحل بهم أزمات، فإلى جانب الدخل الأساسي والموارد، تتسم بأهمية حيوية أيضاً حرية التمتع بالصحة الأساسية والتعليم الأساس وبالوصول على مأوى وبالسلامة البدنية وبالوصول على مياه نقية وهواء نقي ومن الممكن الحصول على هذه الموارد والفرص الأساسية - إلى ما قد يسمى حداً أدنى إجتماعياً - عن طريق ترتيبات يتم التوصل إليها بالتفاوض بين الدولة والأحزاب السياسية وجماعات المصالح العامة والخاصة وجهات فاعلة إجتماعية أخرى كثيرة تعمل على كل من مستوى المجتمع المحلي والمستوى الوطني والمستوى العالمي.<sup>2</sup>

### III. أبعاد الأمن الإنساني:

إن التأكيد على أمن الناس يعني منهج من أدنى إلى أعلى يعالج القضايا المتعلقة بحق كل مواطن للسلامة من المهددات العنيفة وغير العنيفة. مثل هذه المهددات تندرج تحت الأبعاد الآتية :

1- الأمن الإقتصادي: ويعنى به العطالة، تأمين الوظيفة، سلامة الوظيفة، الفقر، عمالة الأطفال.

2- الأمن الغذائي: يقصد به الغذاء وصلاحية العقاقير.

<sup>1</sup> كوفي عنان " نحن البشر "، 2000، ص 18 على الرابط الإلكتروني:

[www.un - org / millennium / report / full. htm](http://www.un - org / millennium / report / full. htm)

<sup>2</sup> منى حسن علي، " مفهوم الأمن الإنساني"، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، ص3.

3- الأمن الصحي: ويقصد به الأمراض المهددة للحياة والصحة العامة والمتاح من العناية الطبية.

4- الأمن البيئي: ويقصد به تلوث الهواء، الماء، الأرض، التربة والتصحر.

5- الأمن الشخصي: ويقصد به العنف المنزلي، إساءة معاملة الأطفال، قضايا النوع، الكرامة الإنسانية والمخدرات.

6- الأمن الثقافي المجتمعي: يقصد به نظم القيم الثقافية المجتمعية وسلامة المجتمع نفسه.

7- الأمن السياسي: يقصد به العنف بين الدول، النزاعات غير العنيفة، حرية التعبير.

هذه الأبعاد تتداخل فيما بينها وتؤثر في بعضها البعض فمثلا مهددات الأمن الإقتصادي يمكن أن تقود لتهديد الأمن الشخصي والمجتمعي والسياسي.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> المرجع سابق، ص 5.

## المبحث الثاني: الأمن الثقافي مقارنة معرفية

يعتبر الأمن الثقافي أحد أهم جوانب الأمن القومي الذي يشمل أيضا الأمن الاجتماعي، والأمن العسكري، والأمن السياسي، والأمن الإقتصادي، حيث يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية الثقافية في مواجهة محاولات الإحتواء و الهيمنة، ومحاولات الغزو الثقافي، والإختراق الثقافي على الثقافة الوطنية والشخصية القومية، ولاشك أن الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود، أي الحفاظ على مكونات الثقافة الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية التي تسعى للهيمنة، وعليه سنتطرق في هذا المبحث إلى توضيح مفهوم الأمن الثقافي و المفاهيم المرتبطة به.

## المطلب الأول: مفهوم الثقافة

الثقافة كغيرها من المفاهيم في العلوم الإجتماعية تقدم لنا أكثر من معنى حيث، لا يوجد مفهوم واضح لمفهومها وهذا راجع في الأصل لما تمثله الثقافة من اتساع وشمول يمس مختلف جوانب الحياة، لذا وجدنا من يتكلم في ثقافة سياسية وإقتصادية وإجتماعية وغيرها. هذا من جانب ومن جانب آخر نجد هنالك تداخلات بين مفهوم الثقافة والحضارة والمدنية. لذا نجد الدراسات التي تناولت مفهوم الثقافة حملت لنا العديد من التعريفات تناولت كل منها جانبا من جوانب الثقافة، وفي البدء لابد من القول أن كلمة الثقافة في العربية هي مترجمة عن الكلمة والمصطلح اللاتيني "culture" التي تعني عزق التربة حراثتها، زراعتها يعبر عادة في أدبيات علم الإجتماع و بعض الأدبيات الأخرى عن نشاط هادف للشعوب ولاية جماعة بشرية حتى البدائية جدا منها بغرض إمتلاك القوى والمناخ الطبيعية بغرض تطور الإنسان وسموه الذاتي.<sup>1</sup> وهذا المصطلح قد إرتبط إلى حد كبير بالظرف السياسي و الإجتماعي الذي أدى إلى ظهوره فهو لم يعد مستعمل في أوروبا قبل الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر بالمعنى الأنثروبولوجي فظهور المفهوم إرتبط بتطور وازدهار العلوم الأنثروبولوجية الحديثة. وازدهار العلوم الأنثروبولوجية الحديثة إرتبط إرتباط وثيق بالمشروع الإستعماري الأوروبي الذي رافق ازدهار أوروبا الصناعي والإقتصادي في القرن التاسع عشر وبرزت أوروبا قوة عسكرية وسياسية ذات مطامع توسعية ورغبة في السيطرة على العالم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عزيز السيد جاسم ، "تأملات في الحضارة والإغتراب" ، مجلة آفاق عربية بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986 ، ص9.

<sup>2</sup> سامر عكاشة، " لعبة الوجود ومواقع الاشياء : تعقبات على ملف العرب والعولمة" ، مجلة المستقبل العربي 236 ، 10 / 1998 ، ص 133 .

يعد إدوارد تايلور أول من إستخدم مصطلح الثقافة في الغرب عام 1871 و الذي أصبح في ما بعد المرجع الأساسي للأعمال التالية ويعرف تايلور الثقافة: "هذا الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والإعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع".<sup>1</sup>

وفي ضوء المفهوم الشامل للثقافة تعددت التعريفات. فقد عرفها مؤتمر السياسة الثقافية في أوروبا الذي عقد في هلسنكي عام 1972 من أن الثقافة تعني كل المظاهر الروحية والمادية في المجتمع من حيث أنها تصدر عن القدرات الإبداعية للإنسان أو تقوم على هذه القدرات والتي يمكن تلخيصها بأنها أسلوب الحياة في المجتمع بكل ما يتضمنه هذا التعبير من سلوك ومعرفة وقيم وبمعنى آخر كل ما يدخل من قيم الحضارة في عقل الإنسان ووجدانه وسلوكه وينعكس على حياته الإجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية، وما يتصل من تطبيقات في الحياة العامة و الخاصة.<sup>2</sup>

وتعرف أيضا بأنها: "كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع".<sup>3</sup> كما الثقافة أيضا مركبا متجانسا من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ الجماعة البشرية من خلالها بهويتها الداخلية.<sup>4</sup> بينما يرى كامبل أن الثقافة الفردية والجمعية هي تفاعل أربعة عناصر هي: الذات، والآخر، وعناصر البيئة المادية، وأنماط السلوك.<sup>5</sup> ويتضح من تلك التعريفات أن هناك نوعين من الثقافة هما: الثقافة المادية وتشمل الآلات والأدوات والتكنولوجيا، والثقافة اللامادية وتشمل العادات والتقاليد والقيم والأعراف والقانون وغيرها.<sup>6</sup>

وعلى هذا الأساسي يحتوي كل بلد على الثقافة المتخصصة والثقافة الشعبية (التراث) التي تتطور بالإبداع والذاكرة معا، ويتم تخصيصها وتمييزها من خلال المبادلات الثقافية. وبناء اعلى ذلك لا يستطيع أي مجتمع العيش بمنأى عن المجتمعات الأخرى، خاصة ونحن في عصر التطور التكنولوجي، وأصبح العالم

<sup>1</sup> برهان غليون ، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، ط2 بيروت، 1987 ص 81 .

<sup>2</sup> حسن عمر أمين و آخرون، النمو الثقافي ومشاكله في العالم الإسلامي، المملكة المغربية ، مطبعة آليت، 1998 ، ص 17.

<sup>3</sup> البشر بدرية، واقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي: دبي والرياض نموذجان ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008 ص ص 50-51.

<sup>4</sup> سهيل حسين الفتلاوي ، العولمة وأثارها في الوطن العربي، الأردن، دار الثقافة للنشر و التوزيع، 2009 ص256 .

<sup>5</sup> نجيب، عصام، " الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة -جامعة فيلادلفيا نموذجا "في العولمة والهوية (أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون)، تحرير :صالح أبو أصبع، عز الدين المناصرة، محمد عبيد الله ، عمان :دار المجدلوي للنشر و التوزيع، 2002 ط2 ، ص222 .

<sup>6</sup> عبد الرحمن عبد الله محمد وآخرون، مدخل علم الإجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر و التوزيع، 2008 ، ص272 .

مجتمعا صغيرا من خلال وسائل الإتصال المتقدمة التي تقرب الثقافات والخبرات والبيئات المجتمعية وتنقلها إلى مجتمع معين، وهنا يسهل التبادل الثقافي الحضاري بين الدول بسهولة وسرعة. والثقافة هي كل ما يتعلق بوجود المجتمع ويعبر عن هذا الوجود ، وبزوالها يزول المجتمع وبقائها يبقى المجتمع، فثقافة أي مجتمع هي التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، والتي يسعى من أجل انتشارها وتداولها بين الناس في مختلف المجتمعات البشرية، طبعاً باستثناء بعض المجتمعات الصغيرة المنغلقة على نفسها كبعض الأقليات العرقية، لذلك فإن التبادل الثقافي هو طموح كل مجتمع يسعى للبقاء خالداً عبر العصور.

وأخيراً يقدم لنا الأستاذ مالك بن نبي تصوراً واسعاً لمفهوم الثقافة فهو يرى أنها " مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الإجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طبعه وشخصيته . وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر".

وفي مكان آخر يضيف الكاتب موضحاً أكثر بأن الثقافة "هي الوسط الذي تتشكل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، و هي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزيئة من جزيئاته تبعاً للغاية العليا التي رسمها".

وهكذا فالثقافة هي تلك الكتابة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعقوبات مقاربية، وتقاليده متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة : "هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة"<sup>1</sup>. ويضيف قائلاً أنه إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره البعض الى الرقي والتمدن، فإنها أيضاً ذلك الحاجز الذي يحفظ البعض الآخر من السقوط من أعلى الجسر الى الهاوية. وعلى هذه القاعدة فإن الثقافة تشمل في معناها العام على إطار حياة واحدة يجمع بين راعي الغنم والعالم، بحيث توجد بينهما مقتضيات مشتركة وهي تهتم في معناها بكل طبقة من طبقات المجتمع في ما يناسبها من وظيفة تقوم بها، وما لهذه الوظيفة من شروط خاصة، وعلى ذلك فإن الثقافة تتدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة، كما تعالج مشكلة الجماهير. وإذا ما أردنا أيضاً أشمل لوظيفة الثقافة فلنمثلها بوظيفة الدم، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد من

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط2 بيروت، دار الفكر، 1959، ص 73 74.

البلازما ليغذي الجسد، والثقافة هي ذلك الدم في جسد المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكار الصفة كما يحمل أفكار العامة وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الإستعدادات المتشابهة والإتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة.<sup>1</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الثقافة حاليا يتميز بالعديد من الخصائص يمكن إبرازها في النقاط الآتية:

- تدخل الثقافة في أوسع أو كيانات جغرافية تاريخية، تزداد تمايزا كلما ابتعدت في التاريخ وتجزأت جغرافيا، إذ نجد في أوروبا منبعا ثقافيا تتبناه كل بلدانها هو التراث الإغريقي الروماني والمسيحية التي تدين بها الأغلبية الساحقة من سكانها، ولكن ذلك المنبع يتفرع إلى جداول متميزة، وبالتالي فإنه من الصعب الحديث عن ثقافة أوروبية وكأنها كتلة متماثلة، ونفس الخاصية السابقة تنطبق على العالم العربي الذي ينتمي تاريخيا على ثقافة واحدة ، تجزأت وظهرت فيها الطابع المحلي من كل قطر على حدة.
- توجد في كل مجتمع ثقافة أصلية تحدد ملامحه الأساسية لها بعد تاريخي ومجال جغرافي، فلا يمكن أن تنتقل العادات و التقاليد واللغة والقيم من سلف إلى خلف في فراغ، أي خارج المجتمع الذي يغذيها وبالتالي فإنه لا يوجد مجتمع بلا ثقافة ولا ثقافة بلا مجتمع.
- تتميز الثقافة في عصرنا الحالي بظواهر الصراع بين الثقافات المحلية والثقافات غير الوطنية (transnationales)، ولا تقتصر المحلية على التواجد في حيز جغرافي، فهي تتجاوز مكانها الأصلي كما هو الشأن بالنسبة للجاليات العربية بالمهجر التي تتمسك بوجه عام حتى بعد الجيل الثالث بثقافتها الأصلية وتنقل نفس العادات نحو بلد الهجرة، ولا علاقة لذلك بمسألة الاندماج لأن الجاليات اليهودية مندمجة في مختلف نشاطات بلدان الهجرة الكثيرة، وهي منتفذة ولكنها ثقافيا متمسكة بتقاليدها الراسخة.
- إن الكيان الاجتماعي السياسي الأكثر تأثيرا في الثقافة، هو ما يسما الدولة الأمة ( Etta - nation) الذي قد يجمع داخله مجموعة واحدة تنتمي إليه سياسيا وقانونيا.(يعني مواطنة ) وقد تنتمي إليه ثقافيا مجموعة أو أكثر متواجدة في إقليم سياسي آخر يأخذ ذلك الإنتماء مبررات سلالية أو عقدية كما هو الحال بالنسبة لليهود ( الأصل السلافي ) والجرمان وسكان الكبك

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 75-76.

الكندية، وقد يكون الإنتماء ثقافيا بحثا موزعا على كيانات مستقلة، ولكنها تلتقي في تبني لغة مشتركة وتراث واحد كما هو الحال داخل الأقطار العربية.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: مفهوم الأمن الثقافي

يعتبر مفهوم الأمن الثقافي، مفهوم معاصر في المصطلحات الفكرية يتعلق بالفهم الواضح للهوية القومية، ويمدى الثقة بالمنظومة الثقافية القومية والوطنية وقدرتها على مواجهة التحديات التي يفرضها الإنفتاح العالمي الراهن في مختلف الإتجاهات الإقتصادية و السياسية و المعرفية. حيث يتفق أغلب من عرف الثقافة من مفكرين ومؤرخين وباحثين على أن اللغة والفن و الأدب هي العناصر الرئيسية للثقافة، وأن الثقافة بمعناها الواسع تعني : مجموعة النشاط الفكري و الفني، وما يتصل بهما من مهارات أو يعين عليها من وسائل، وبعبارة أخرى، هي مجموعة النتاج الفكري و الوجداني الذي لا يتكون الأمة أمة إلا به. أما التراث فهو يحمل عناصر الأصالة، وهو الذي يمنح ثقافة التواصل مع الماضي و القدرة على المعاصرة والتطور في المستقبل، وهو الذي يمنح الإنسان أسلوب الحياة، وأنماط السلوك والقيم والعادات والتقاليد التي يتبعها في حياته.

وهذا يؤكد أن إهتمام الأمة بثقافتها وتراثها هو بمثابة الإهتمام بكيانها ومصيرها ومستقبلها، وأنها إذا ما تهافتت في حماية ثقافتها وتراثها فإن مآلها إلى الإندثار والضياع والذوبان في أحضان ثقافات الأمم الأخرى.

ومن هنا جاء التوجه بإحياء التراث الحضاري و الثقافي وبمواضيع الهوية الثقافية و مواجهة الغزو الثقافي من خلال تحقيق الأمن الثقافي لحماية التراث الثقافي، وبخاصة بالنسبة للأمم التي تعيش أزمت عديدة وتواجه تحديات مختلفة تهدد كيانها ووجودها ومصيرها كالأمة العربية والإسلامية.<sup>2</sup>

فالثقافة تلعب دورا مهما في تطوير وتجديد أساليب الحياة لتكون الأمة قادرة على مواجهة متطلبات الحياة و تحديات المستقبل، ويأتي التعرف على الحدود الثقافية للأمة مطلبا أساسيا و ضرورة من أجل معرفة

<sup>1</sup> محمد العربي ولد خليفة ، المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية ، الجزائر، منشورات تالة ، 2007 ، ص ص 377 - 379 .

<sup>2</sup> محمود شاکر سعيد ،وخالد بن عبد العزيز الحرفش ، مفاهيم أمنية ، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010، ص 26 .

واضحة لحدود الثقافة الخاصة بالأمة كمرحلة لا بد منها من أجل تحديد الهوية و الموقف من الثقافة الخاصة والثقافات الوافدة.

ومن خلال ما سبق يمكن تقديم تعريف للأمن الثقافي " بأنه يعني الحفاظ على الهوية الثقافية في مواجهة محاولات الهيمنة على الثقافة والشخصية القومية، فضلا عن حماية المؤسسات الثقافية في داخل المجتمع من التبعية و الإختراق، الأمر الذي يجعل الأمن الثقافي طريقا للمحافظة على العقل من الإحتواء الخارجي ومن الغزو الداخلي".

كذلك يعد الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي الذي يشمل أيضا الإجتماعي والعسكري والسياسي والإقتصادي، ولعل جانب الأمن الثقافي هو أهم جوانب الأمن القومي، لأنه يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية في مواجهة محاولات الإحتواء و الهيمنة على الشخصية، ولا شك أن الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود.<sup>1</sup>

وعلى هذا الأساس فالأمن الثقافي يعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة وهو بهذا المعنى هو حماية وتحصين للهوية من الإختراق والإحتواء من الخارج ، كما يعني الأمن الثقافي أيضا حماية المؤسسات و الأدوات الثقافية من الإنحراف و الإرتفاع بها لعجز والقصور، وتعزيز التوجهات السليمة وانتقاد التوجهات الشاذة والمتطرفة.

وعليه فالغاية من وراء تحقيق الأمن الثقافي، هو إسهام الثقافة عمليا على أرض الواقع في تحقيق تقدم ملموس وحقيقي على الصعيد السياسي والإقتصادي والإجتماعي الذي وحده يرسخ الهوية ويحافظ على الإنتماء الثقافي من الغزو والتخريب ، فالمجتمع المنقف لا يمكن إهانته أو إذلاله أو تضليله وتغييبه عن دوره في قيادة مجتمعه بروح بناءة تحقق له الإستقرار وتحمي ثروته من النهب والسلب، ومنجزاته من العبث والتخريب الداخلي أو الخارجي تحت أي مسمى وفي ظل أي واقع مهما اشتدت حلكته وكثر المتآمرون عليه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمود محمود النجيري ، الأمن الثقافي العربي :التحديات وآفاق المستقبل ، الرياض ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب (بدون سنة نشر)، ص 15 .

<sup>2</sup> المرجع سابق ص 17.



يرى الأستاذ عبدالإله بلقزيز أن مفهوم الأمن الثقافي اقترن استعماله بميلاد ظاهرة العولمة في فجر عقد التسعينات من القرن الماضي. وهو اقتران ذو دلالة من وجهين: من حيث إن الثقافة ما عانت كثيرا مشكلات أمنها الذاتي حيث كان نطاقها القومي مدار اشتغالها وفاعليتها، ومن حيث إن العولمة نفسها ما صارت كذلك- أي عولمة- إلا حيث حملت على ركاب ثقافي وأنتجت ثقافتها العابرة للحدود. والوجهان معا يتضافران للتعبير عن حالة من التلازم بين العولمة والثقافة على نحو لا يقبل الفك ويتجافى تماما مع النظرة الإقتصادية التبسيطية للعولمة.

لندع إلى حين مسألة الصلة، التكوينية ولاشتغاليه، بين العولمة والأمن الثقافي ولنلق نظرا على بعض ما يحتمل أن يحمله من التباسات في المعنى لدى من ينكرون عليه شرعيته الفكرية والإجرائية. قد يوحي الحديث عن أمن ثقافي بأن في العبارة قدرا من التناقض والتجافي لا يستقيم معها معنى دقيق لها، ففيما تميل لفظة الثقافة إلى معنى يرادف- أو يجانس- الإبداع والإنتفاع والتفاعل، تحيل لفظة الأمن إلى معنى يقارب الدفاع ويجانس الإنكماش والتفوق. حين تبحث ثقافة عن أمنها، بهذا المعنى، تبحث عما يعزلها عن غيرها من الثقافات- وبالتالي- تسعى بنفسها نحو إفقار نفسها، بل نحو الإقلاق على ماهيتها كثقافة أو قل نحو إنتحار بطيء يأخذها إلى حتفها.

لا بد من بناء معنى إيجابي لمفهوم الأمن الثقافي يتبدد به التباسه، وهو ما سنحاوله هنا مطلقين على وجهين من المفهوم أو قل على ديناميتين في الثقافة يتأسس بهما معنى الأمن الذي تنشده.

من وجه أولى يكتسب المفهوم معنى بنائيا، تراكميا، إن حسبنا الأمن مرادفا في الدلالة لتحقيق الإشباع الذاتي من الحاجات الثقافية. أمن ثقافة، بهذا المعنى، هو قدرتها على توفير حاجاتها، على الإنتاج والتراكم ومغالبة الندرة والخصائص والحاجة، ورفع خطر الخوف من العجز وفقدان القيم الثقافية والرمزية التي تجيب عن مطالب المجتمع والفكر والوجدان والذوق. إن دافعيته في هذه الحال إيجابية وتمثل نداء عميقا ينشد التطور والتقدم والإبداع، ولا يدعو إلى الإرتكاس.

يصدق على الأمن الثقافي بهذا الحساب، ما يصدق على الأمن الإقتصادي والأمن الغذائي والأمن المائي. جميع هذه الأنواع من الأمن يفرض إستراتيجيات إنتاجية وعقلانية في إدارة الموارد المادية من أجل حماية حق جماعي في التنمية والغذاء وإشباع الحاجات، لا أحد يتهم دولة بالإفكاء حين ترسم سياساتها على مقتضى إستراتيجية الأمن الإقتصادي والغذائي لأن دعوتها إلى الأمن على هذا المستوى

مشروعة، ولأن الأمن الإقتصادي والغذائي وحده يحميها من التبعية وفقدان القرار، أو يحد من ذلك، ويعزز إستقلالها الوطني وإستقلال إرادتها. وليس من باب التعسف في المقارنة أن نقول إن أمن ثقافة ما هو ما يحميها من التبعية، والتبعية ليست الإفتتاح على الآخر والإنتهال منه والتثاقف، كما أنها ليست في الإقتصاد والغذاء- التعاون مع الآخرين والإستثمار المشترك وتبادل المنافع، وإنما هي الإرتهان للآخر والعيش على منتوجه، والتوقف عن إنتاج ما يشبع الحاجات والسقوط في نزعة إستهلاك ما لا تنتج، ناهيك بالذيلية لمن تستهلك إنتاجه والإنتظام في بنيته.

بين المنتج والمستهلك، إذن، فارق متسع في الإقتصاد والغذاء والتقانة والثقافة هو عينه الفارق بين السيد والعبد، بين من يملك ومن لا يملك، بين من يوفر أمن حاجاته وبين المستباح أمنه، بين من يفرض شروطه على الضعيف ومن ينصاع لشروط القوي، يبدو هذا الدرس جليا في الإقتصاد والتقانة والقيم المادية. لكنه قطعا- عند من يقاربون الثقافة بأدوات التحليل الإستراتيجي- ليس أقل وضوحا في حال الثقافة والقيم الرمزية لأن التشابه في العلة منقر بين الأمنين إن استعرنا مفردات علماء أصول الفقه. هذا وجه أول لمفهوم الأمن الثقافي، وصفناه بالقول إن المفهوم يكتسب فيه معنى بنائيا وتراكميا، وقصدنا به القول إن الأمن يرادف الإنتاج في هذه الحال ولا ينطوي على أية دلالة سلبية من قبيل الدفاع الإنكفائي على نحو ما قد يظن أو ما قد توحى به عبارة الأمن. على أن حمل عبارة الأمن على معنى الدفاع وهو المشهور المنقر بقوة أحكام اللغة والتداول والإصطلاح- ليس مما يجوز فيه الطعن والإنكار بدهاءة في حال الثقافة، لأن في القول بأمن ثقافة بهذا المعنى الدفاعي ما يبرره في عالمنا المعاصر وفي الجاري من تحولاته وتحديات حقائقه الجديدة، وهذا ما سنطرقه سريعا في الحديث عن الوجه الثاني للمفهوم.

يتصل هذا الوجه الثاني بمعنى دفاعي صرف على نحو ما يكونه أي أمن إستراتيجي آخر يدخل في نطاق الأمن القومي. مثلما قد يتعرض أمن بلد لخطر العدوان أو التهديد بالعدوان فيسارع إلى تعبئة قواه العسكرية والسياسية والإقتصادية لرد ذلك العدوان إن وقع أو درء خطر وقوعه إن أوشك أن يحل، قد يتعرض أمن ثقافة ما لخطر الإستباحة والعنف الرمزي من مصدر من مصادر التهديد خارجي فيحمل المجتمع الثقافي على إستنفار قواه ودفاعاته الذاتية لصون أمنه ومجاله الرمزي السيادي من خطر العدوان.

وكما أن الدفاع عن سيادة الدولة وأمن المجتمع حق مشروع حين يتعرضان للخطر، كذلك الدفاع عن أمن الثقافة حق مشروع حين يراد بها إلحاق الضرر. إذ العلاقة بين الثقافات وتنظيمها الديناميات عينها التي تنتظم العلاقة بين المجتمعات، وبين الدول، بعضها البعض: ديناميات التعايش والتجاور والتفاعل الإيجابي والاعتماد المتبادل، ثم ديناميات الصراع والإحتكاك العدواني والصدام. حين تترجح كفة الأولى، تفتح المجتمعات والدول والثقافات على بعضها من دون هواجس أو تحوطات متوجسة. أما حين يميل الميزان إلى كفة التناقض والصراع، ينكفي كل منها على نفسه ويتموقع في خندق دفاعي مستنفرا لديه حاسة البقاء والأمن.<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: الأمن الثقافي و المفاهيم ذات الصلة

يتداخل مفهوم الأمن الثقافي مع العديد من المصطلحات والمفاهيم التي تتطوي في إطار ثنائية العولمة و الثقافة، فهناك بعض المفاهيم قد عرفت وظهرت قبل بدء الحديث عن ظاهرة العولمة كمفهوم الغزو الثقافي و الثقافة العالمية، في حين اقترن ظهور مفاهيم أخرى مع بداية الحديث عن ظاهرة العولمة كمفهوم الإختراق الثقافي ، والإستثناء الثقافي و غيرها من المفاهيم الأخرى. وسنحاول إستعراض بعض هذه المفاهيم لمعرفة جوهرها وأبعادها والوقوف على حقيقتها.

#### أولاً: مفهوم الغزو الثقافي

تعرضت و تتعرض الشعوب والدول لعديد من الغزوات التي تستهدف النيل منها، وكان الغازي يوظف مختلف السبل والأساليب من أجل تحقيق أهدافه في إخضاع الآخرين. لذا نجد أن الأساليب التي وظيفت من قبل الطرف المعتدي كانت تتضمن الأساليب العسكرية وغير العسكرية أي المادية وغير المادية، وأحدى الأساليب غير المادية كان الاسلوب الثقافي و المتمثل بما يعرف بالغزو الثقافي. فبالرغم من إرتباط الأخير بفترة السيطرة الأوروبية على العالم لكنه من حيث الدلالة قديم. فالشعوب في القدم غزت بعضها بعض، وكان هذا الغزو لا يخص الجوانب المادية فقط وإنما الجوانب الفكرية أيضاً، إدراكاً من

<sup>1</sup> عبد الإله بلقزيز ، في مفهوم الأمن الثقافي ، 01 / 06 / 2009 ، على الرابط الإلكتروني :

<http://www.alkhaleej.ae/portal/923c9a31-a626-4799-8ff5-e40d31a41f29.aspx>.

الطرف المعتدي ما تمثله الرموز الثقافية من عوامل دعم وقوة للطرف الآخر. ولنا في الغزو الروماني لمصر خير دليل على ذلك بحيث أصدرت أوامر من حاكم الامبراطورية الكبرى بهدم جميع المعابد الفرعونية وإحالتها إلى أنقاض، هذه المعابد كانت رمز الحضارة الفرعوني ورمز القوة المعنوية وموضع العلم والثقافة فيها.<sup>1</sup>

ولنا أيضا بالغزو المغولي لبغداد سنة 1258 دليل آخر فهذا الغزو لم يقتصر على البنى المادية للمجتمع وإنما كان للبنية الثقافية نصيبا في ذلك حيث تعرضت رموز الثقافة الإسلامية والمتمثلة بمراكز العلم والمكتبات الأكثر أنواع الدمار. ومن هذا نرى أن الغزو الثقافي ليس بالجديد. أما ما هو حديث فهو مفهوم الغزو الثقافي والذي إقترن بفترة الهيمنة الأوروبية ليعبر عن محاولة من مجتمع ما لفرض قيمه على مجتمع آخر بالقوة.<sup>2</sup> وهذا المصطلح قد تحدد مضمونه في ضوء إنجازات العلوم الانسانية ودخل القاموس السياسي حديثا. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح هو مصطلح تقريبي لا يعطي معناه المحدد المطلوب، رغم أنه ليس هناك في الواقع غزو فكري تام بالمعنى المعروف لكلمة غزو والذي يعني الهجوم والإكتساح.<sup>3</sup>

كما يعتبر الغزو الفكري وليدا غير شرعيا للغزو العسكري، إلا أنه يختلف عنه تماما، بأن الغزو العسكري يضر بالغزاة أكثر مما يحقق أهدافهم فهو يحرك في الشعوب المعزوة عاطفة الولاء للدين و الدفاع عن الثرى الوطن ويثير فيهم حسن العمل الجاد للإستقلال من التبعية للأعداء، أما الغزو الثقافي فهو لا يعتمد الموجهة المسلحة أو إستخدام القوة ألا أنه أفضل للغزاة فوسائل الغزو الثقافي ناعمة وخادعة ، لذا فإن الإستجابة إليها تكون أسرع وأكثر، خلافا لوسائل الغزو العسكري المنفرة لأنها تقوم على الدم والدمار.

إن الغزو الثقافي قليل التكلفة مقارنة بالغزو العسكري، ونتائجه أبعد تبقى أجيالا متأثرة به إلى زمن طويل، لأن الغزو العسكري تنتهي آثاره بإنسحاب قوات الإحتلال في حين يبقى أثر الغزو الثقافي قائما في قلوب وعقول الناس.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حامد ربيع ، "الثقافة العربية الإسلامية في مواجهة الغزو الأجنبي" ، مجلة قضايا دولية ، الباكستان ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، العدد 262 ، 1995 ، ص 25 .

<sup>2</sup> حسين معلوم وآخرون ، صراع الحضارات أم حوار الثقافات ؟ 1997 ص 176.

<sup>3</sup> عزيز السيد جاسم ، مرجع سابق ص 53 .

<sup>4</sup> محمد عوض الهزائم ، حاضر العالم الإسلامي و قضاياها السياسية المعاصرة ، عمان ، دار عمار للنشر و التوزيع ، 1997 ، ص 106 - 107 .

فهو يقوم بمحو الذاكرة التاريخية ومحو اللغة الوطنية وتشويه التكوين النفسي، من ثم دفع الشعب الضحية إلى حالة من النكوص أو الإنحلال التي تتمثل في نوع من اللامبالاة الكاملة و فقدان الإنتماء. لذلك نجد هذه المجتمعات منقسمة بين فئة تعيش في غربة ثقافية والتي تمثل النخبة القيادية والمفكرين وأخرى تمثل الثقافة الشعبية تعيش في غربة ثقافية عن عصرها. وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الغزو الثقافي حقيقة وليس وهم، بل أن ما حدث في الماضي يمكن أن يكون أقل مما يجري في عالم اليوم.

حيث يتردد حاليا الحديث عن الغزو الثقافي نتيجة لثورة الإتصالات و المعلومات يصل إلى الإعمار والبيئات المختلف عارضا أنماطا شديدة التباين للحياة.<sup>1</sup>

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى أن الغزو الثقافي لا يتوقف حدوثه على الطرف الغازي فقط و إنما على الطرف المتعرض للغزو أيضا، فإذا كان الأخير لا يملك القدرة على تجديد ثقافته فإن المجتمع لا يقتنع بالركود بل يبحث عن البديل و تتدخل المجتمعات الأخرى ذات المصلحة في التأثير، لتلبية هذه الحاجات فينشط التأثير، لتلبية هذه الحاجات فينشط التأثير الثقافي لهذه المجتمعات و هذا ما يسمى بالغزو الثقافي في حالة رفضه و التبادل الثقافي في حالة قبوله.<sup>2</sup>

### ثانيا: مفهوم الإختراق الثقافي

في البدء لا بد من القول بأنه ليس هنالك فرق كبير بين الغزو الثقافي و الإختراق الثقافي فكلاهما يسعى إلى تحقيق نفس الهدف، وإن كانا يختلفان في الوسيلة. فإذا كان مفهوم الغزو الثقافي قد اقترن بمرحلة السيطرة الأوربية المباشرة على العالم. فإن مفهوم الإختراق الثقافي قد إقترن بالتطور التقني في مجال الإتصال والمعلومات حيث وجدت الدولة المالكة للتقنية نفسها اليوم أكثر قدرة على التأثير ثقافيا على الدول الأخرى و بالتالي إخضاعها من دون الحاجة إلى إستخدام القوة العسكرية. ويكون ذلك أساسا بواسطة إحداث نظام جديد تماما للهيمنة الثقافية هو النظام السمعي البصري وهو نظام مختلف عن سابقه تماما في درجة الفاعلية التي يبيدها ويحصدها، على صعيد تكيف وعي الناس وإعادة صوغه. عن طريق السيطرة على الإدراك ومنه إلى تسطيح الوعي، أي تعطيل فاعلية العقل وتكيف المنطق والقيم

<sup>1</sup> حسن معلوم وآخرون، مرجع سابق ص 177.

<sup>2</sup> المرجع سابق، ص 21.

وتوجيه الخيال وتمييط الذوق وقولبة السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الإستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع<sup>1</sup>.

وفي هذا السياق يعرف الإختراق الثقافي كمفهوم علمي على أنه حركة إنتقال الأفكار والعقائديات والقيم والعادات والتقاليد الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات الأخرى.

كذلك هو عبارة عن سياسة وإستراتيجية تنتهجها بعض الدول بهدف التدخل في شؤون الغير قصد التأثير في ثقافتهم وسلوكهم ومعتقداتهم، تدخلا جزئيا أو كليا الوسائل.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الإختراق الثقافي من حيث طبيعة أساليبه وأدواته بمثابة مجموعة الأنشطة الثقافية و الإعلامية والفكرية التي توجهها جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة، بهدف تكوين أنساق من الإتجاهات السلوكية والقيمية أو أنماط وأساليب من التفكير و الرؤية و الميل لدى تلك المجتمعات و الشعوب، بما يخدم مصالح وأهداف الجهة والجهات التي تمارس عملية الإختراق.

ويتضمن مفهوم الإختراق الثقافي الأبعاد والعناصر التالية:

- 1- تبعية الدولة المستقبلية لثقافة الدولة الباعثة واعتمادها عليها إعتامادا بنويويا في إنتاج القيم والأفكار والمعارف التي تحتاج إليها مجتمعات الدول المستقبلية.
- 2- سيادة الشعور بالتفوق والإستعلاء لدى الدول الباعثة، والنقص والدونية لدى الدول المستقبلية.
- 3- تشجيع نمط عالمي موحد للسلوك الإستهلاكي.
- 4- وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتثبيت دعائم إستقلالها السياسي و الثقافي ولضمان سيادتها.
- 5- تعطيل الإرادة الوطنية التابعة ثقافيا و فقدانها السيطرة على إعادة تكوين ذاتها أو تجدها.<sup>2</sup>

### ثالثا: مفهوم الثقافة العالمية

تعرف الثقافة العالمية بأنها تلك الثقافة التي تكون في عمقها إنسانية الطابع و الأبعاد وتأخذ في إعتبارها إن ثمة تعدادا وتبينا في الثقافات ونسبية في المفاهيم ومن ثم فهي تسعى إلى مد جسور التواصل وتفاهم

<sup>1</sup> عبدالإله بلقزيز وآخرون، إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص ص 227-228.

<sup>2</sup> أيمن منصور ندى، الإختراق الثقافي عن طريق البث الوافد : دراسة مسحية لأدبيات الإختراق ، أعمال ندوة الإختراق الإعلامي للوطن العربي ، تحرير سعد لبيب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطابع سجل العربي، 1996 ص ص 14- 15 .

مع الثقافات الأخرى ولا تسعى إلى أن تكون نقيضا لها أو إلى الغائها.<sup>1</sup> وأيضا تعرف الثقافة العالمية بأنها ثقافة الأمم التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم التاريخي الكلي، وهضمت على نحو كفي ثقافات الأمم السابقة عليها وصارت قادرة على أن تحدث تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على ثقافات الأمم الأخرى. وبهذا نرى إن الامة التي تستطيع تحقيق التقدم المادي و الفكري على غيرها فإنها سوف تكون ممثلة للثقافة العالمية وبالتالي تكون صاحبة التأثير بالثقافات الأخرى.

ولقد دلت التجربة التاريخية، أن الامم التي تفوقت كحضارة كلية بكل جوانبها قد مارست تأثير كهذا، القوة أحيانا والسلم أحيانا أخرى. فحضارة الشرق القديم ما كانت لتمارس تأثيرها العالمي لو لم يصل تطورها الإقتصادي والسياسي والعلمي والثقافي و والعسكري إلى مستوى متفوق عن الحضارات الأخرى، ومع إهيار حضارة الشرق القديم ورثت الحضارة اليونانية إنجازات الشرق ووصلت إلى درجة عالية مارست بها تأثيرها على شعوب العالم القديم. وقس على ذلك الحضارة الإسلامية التي تحولت منذ القرن الثامن الميلادي إلى حضارة عالمية هضمت على نحو خلاق إنجازات حضارات الشعوب السابقة.<sup>2</sup> لذا فالأمة التي تريد أن تصبح ثقافتها ممثلة للثقافة العالمية يجب عليها إلى جانب تقدمها المادي أن تكون منبع لقيم إنسانية عامة ولا بد لها أن تتكر طابعها القومي أو المحلي والشروط الإجتماعية والتاريخية التي ظهرت فيها. فالثقافات الحية هي التي تنظر إلى الإنسان كمثال و نموذج للإنسانية جمعاء قبل أن تنظر إليه كوقع قومي ومحلي ضيق. وهذه الثقافة الحية أو العالمية هي الثقافة الحاملة للحضارة والمدنية. وبهذا تكون الثقافة العالمية هي ثقافات سائر المجتمعات بدون إستثناء ، وليس ثقافة أمة واحدة.<sup>3</sup>

وبهذا تكون الثقافة العالمية هي ثقافة الأمة التي إستطاعت تحقيق التقدم المادي، وفي الوقت نفسه إستطاعت إمتلاك قيم إنسانية تعبر عن مختلف الثقافات وليس ثقافة أمة واحدة.<sup>4</sup>

#### رابعا: مفهوم الإستثناء الثقافي

يعد أحد المفاهيم الحديثة التي لم تكن مستعملة سابقا. وهو تعبير إختراعه مثقفو فرنسا منذ فترة قريبة ليتصدوا لاتفاقيات الجات، خاصة في ما يتعلق بالجانب الثقافي والفني على وجه التحديد. فهم قد دعوا

<sup>1</sup> أسامة أبو رشيد، "الثقافات العالمية الأخرى"، مجلة قضايا دولية، العدد 340، 7 أكتوبر 1996، ص 29.

<sup>2</sup> حسين معلوم وآخرون، مرجع سابق، ص ص 257-258.

<sup>3</sup> برهان غليون ، إغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية ، مرجع سابق ، ص 116 - 117 .

<sup>4</sup> عبد الله عبد الدايم ، "العرب و العالم بين صدام الثقافات و حوار الثقافات" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 23 ، 1996 ، ص 203 .

إلى أن يتم إستثناء المنتج الثقافي من إتفاقيات الجات التجارية والتي تفتح الأسواق للمنافسة الحرة في العالم.<sup>1</sup> حيث شعرت أوروبا وخاصة فرنسا أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تهمشهم في أعمال الإنتاج السينمائي إذا تم إلغاء الدعم عن صناعة الأفلام السينمائية حيث تتوفر هوليوود على الإمكانيات المالية والتقنية الضخمة وتتوفر لهذه الصناعة الهوليوودية سوق كبيرة لإستيعاب منتجاتها، بينما لا تتوفر هذه الإمكانيات لصناعة السينما الأوروبية والفرنسية خصوصا. وسبب هذا التخوف هو قدرة الأعمال الثقافية الناطقة بالإنجليزية على إكتساح العالم على حساب الأعمال الناطقة باللغات الأخرى.

لذلك لا بد من الإستنتاج أن لهذه الإتفاقيات جانبا ثقافيا مهما سوف يؤكد هيمنة اللغة الإنجليزية، الأمريكية بشكل خاص على حساب باقي اللغات و الثقافات الأخرى.

وأیضا ترى فرنسا أن إنتشار اللغة الإنجليزية يشكل تهديدا لمصالحها لذا نجدها ترفض أن تصبح الإنجليزية لغة أوروبا الموحدة لأن ذلك سيؤدي أولا إلى إفقاد اللغة الفرنسية منزلتها العالمية لتصبح لغة جهوية، وسيؤدي ثانيا إلى تقليص التنوع الأوروبي و بالتالي إلى إفقار للثقافة الأوروبية، ثم أنه سيعمل على إحداث القطيعة مع الفضاء الخارجي للفرنكوفونية مما جسد عملية الإفقار تلك، ثم أنه سيؤدي ثالثا إلى أمركة أوروبا، أي إلى إنتشار نمط الحياة الأمريكي وتغلغله فيها.

لنشر في هذا الصدد إلى أن الفرنكوفونية ينظر إليها الكتاب الفرنسيين ليس فقط بوصفها وسيلة لنشر اللغة الفرنسية وثقافتها بل أيضا بوصفها كما يقولون أداة لمقاومة نزعة الهيمنة التي يكرسها تكريسا متواصلا ادعاء اللغة الإنجليزية الأمريكية أنها ستصير لغة التواصل الوحيد على النطاق العالمي.

وهذه الدعوة للإستثناء الثقافي لم تكن قاصرة على الدول الأوروبية . وإنما دول العالم الثالث هي الأخرى دعت إلى ذلك لحماية هويتها الثقافية من الإختراق الأمريكي. وأخيرا لا يجب أن يفهم الإستثناء الثقافي على أنه دعوة إلى إنغلاق الثقافة وإنكفائها على ذاتها ، ولكنه يعني في المقام الأول التفاعل الخلاق مع الثقافات الأخرى ، لمد الحضارة الإنسانية بروافد جديدة ومتجددة حتى لا ينضب معينها. وفي الوقت نفسه هي الأصوات الناقدة التي تعمل على تصويب مسار تلك الحضارة إذا ما إعتراها الغي أو الزوغان لذا

<sup>1</sup> حسين معلوم وآخرون، مرجع سابق، ص 264.



تظل تلك الثقافات هي الضمير الحي للحضارة الإنسانية الواحدة، والأصوات المعبرة عما هو إنساني في مقابل نزعتي التقنية والعقلانية وهما من أمراض الحضارة الغربية اليوم.<sup>1</sup>

### المبحث الثالث : العولمة دراسة الظاهرة والمفهوم

يلاحظ أن مفهوم " العولمة " يثير الكثير من النقاش والجدل، إبتداء من تعريف المفهوم مروراً بتحديد أبعاد العولمة ومظاهرها وطبيعة القوى الفاعلة المحركة لها، فضلاً عن رصد تأثيراتها وتحليلها في الدول والمجتمعات ولاسيما دول الجنوب وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية. وقد برزت العولمة بوضوح خلال تسعينيات القرن العشرين، ولكنها سرعان ما تحولت إلى إحدى القوى المؤثرة في الحقائق والوقائع الحياتية المعاصرة، وساعدها في ذلك تفكك منظومة الدول الإشتراكية في شرق أوروبا وانهايار الإتحاد السوفيتي.

#### المطلب الاول: مفهوم العولمة

##### أولاً: التعريف الاصطلاحي للعولمة

أطلقوا على العولمة مصطلح الكونية والكوكبية . غير أن مفهوم العولمة يشير - بوجه عام - إلى الإعتماد المتبادل المتزايد والمتسارع في أرجاء العالم في أبعاد وجوانب مختلفة، حيث تتحول النشاطات من المجالات المحلية إلى المجال العالمي.

وتعني جعل الشيء على مستوى عالمي " Globalisation " والعولمة ترجمة لكلمة نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأ عن كل مراقبة.

والمحدود هنا هو الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية، وبرقابة صارمة على مستوى الجمارك. إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل أجنبي ، سواء تعلق الأمر بالإقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة، أما اللامحدود فالمقصود به العالم أي الكرة الأرضية. فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء الحدود

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص 266 - 267.

القومية في المجال الإقتصادي، وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم ، وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعا.<sup>1</sup>

ومن التعاريف التي قدمت للعولمة : أنها ليست مفهوما محايدا ، إذ أنه تم تطويره ليدعم ويشجع الفكرة المنادية بعالم بلا حدود وشركات بلا دول كما تعرف العولمة أيضا بأنها ترابط النشاط الإنساني على نطاق كوني عالمي وبمعدلات غير مسبوقة في تدفق رؤوس الأموال والعمل والمهارات والتكنولوجيا والأفكار والقيم عبر الدولة والحدود القومية ، بطريقة لا تستطيع الدول والحدود القومية التحكم فيها.<sup>2</sup> ونستطيع في مجال تعريف العولمة بطريقة تحليلية أن نتناول محاولة نظرية لافتة قام بها جيمس روزناو، أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين.

حيث يقرر روزناو منذ البداية ضرورة وضع تعريف واضح للعولمة يحدد محتواها بدقة، ويقر - وان كان يبدو مبكرا - وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة ، فعلى سبيل المثال، يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل، الإقتصاد، السياسة، الثقافة، الإيديولوجية، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة. ويعقب قائلا: "في ظل ذلك كله، فإن مهمة إيجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع."<sup>3</sup>

كما يعد تعريف تعريف رونالد روبرتسون من أقدم التعاريف المقدمة حو لظاهرة العولمة حيث يؤكد أن العولمة هي إتجاه تاريخي نحو إنكماش العالم، وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الإنكماش. ولهذا التعريف شقان مهمان: أولهما تركيزه الشديد على فكرة إنكماش العالم بما يعني ذلك من تقارب المسافات والثقافات وترابط الدول والمجتمعات. وثانيهما الوعي بهذا الإنكماش، وهو ما حدث فعلا.

أما أنتوني جيدنز فقد عرف العولمة "بأنها مرحلة جديدة من مراحل الحداثة وتطورها، تتكاثف فيها العلاقات الإجتماعية على الصعيد العالمي، وحدث تلاحم بين الداخل والخارج، وربط بين المحلي والعالم بروابط إقتصادية وسياسية وثقافية وإنسانية." ولا يعني هذا إلغاء المحلي والداخلي، ولكن أن يصبح العالم الخارجي له حضور العالم الداخلي نفسه في تأثيره في سلوكيات الأفراد وقناعاتهم وأفكارهم، والنتيجة هي بروز العامل الداخلي وتقويته.

<sup>1</sup> جلال الشافعي، العولمة الإقتصادية: الأثر على الضرائب في مصر، مصر، كتاب الأهرام الإقتصادي ، 2002 ص 7.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص9.

<sup>3</sup> ياسين السيد ، العولمة والطريق الثالث، القاهرة ، ط 2، ميريت للنشر، 2001 ، ص16 .

هذا في حين بذهب بر يترون بادي إلى أن العولمة هي عملية "إقامة نظام دولي يتجه نحو التوحد في القواعد والقيم والأهداف، مع ادعاء إدماج مجموع الإنسانية ضمن إطاره... ويضيف: ويعود مسار العولمة إلى تاريخ طويل رغم أنه يبدو جديداً، إلا أنه لا تستطيع أية مجموعة أو أي أرض أو مجتمع الإفلات من النظام العالمي الذي يهيمن على الكرة الأرضية". وقد أعوزت "الإسكندر" و "نابليون" الوسائل التقنية لتحقيق هذا الإنجاز. إلا أن هذا المسار قفز تدريجياً في فجر القرن العشرين، ولم يتحقق هذا المسار إلا عندما استفاد من توسع مؤسساتي بإنشاء الأمم المتحدة التي أعلنت عن إرادة العمل على إقامة نظام عالمي من خلال توحيد القواعد والممارسات وتقنين كل حلقات التبادل الإنساني والثقافي والإقتصادي التي ينبغي تطويرها وتنظيمها.<sup>1</sup>

### ثانياً: النشأة التاريخية للعولمة

هناك من يقول: إن العولمة بدأت منذ بدء الخليفة، وأن التفاعل والحراك في تاريخ الإنسانية هو أحد أنواع العولمة، لأن فيه رغبة في السيطرة والهيمنة وإثبات الذات وتحقيق الغايات. في حين يرى فريق آخر من المفكرين أن العولمة ظاهرة حديثة بدأت مع بدايات العصر الحديث. في حين يرى طرف ثالث أن تاريخ اكتشاف القارة الأمريكية هو نقطة البداية لنشوء العولمة، وذلك لأن العالم كله أصبح في دائرة التفاعل والنشاط الإنساني، ولم يعد هناك مكان خارج دائرة الحراك الإنساني. وفي الحقيقة، إن العالم قد شهد حضارات قديمة إمتد نشاطها خارج نطاقها الجغرافي باتجاه العالم، رغم عدم وجود وسائل الإتصالات والمواصلات والأدوات التي تساعد على ذلك، ومنها حضارة الفراعنة، وحضارة بلاد ما بين النهرين، وحضارات بلاد الشام، وكذلك الحضارات الهندية، والصينية، والرومانية، والفارسية، واليونانية وأيضاً الحضارة العربية الإسلامية، ثم الحضارة الأوروبية. وقد كان للعولمة مدلولها آنذاك، وكان لها استعمالها، حيث كانت كل تلك الحضارات تنطلق من جغرافيتها وسكانها باتجاه جغرافية الآخرين وشعوبهم في ذلك العالم.

وبذلك، عرف العالم كيف مارست تلك الحضارات القديمة العولمة، وكيف نقلت حضارتها للآخرين، وكيف تمازجت معهم. حتى أن صراع الإمبراطوريات آنذاك كان له طابع العولمة، حيث كان الصراع يستهدف

<sup>1</sup> عبد العزيز المنصور، "العولمة.. والخيارات العربية المستقبلية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، جامعة دمشق، العدد 02، 2009، ص 562.

ما هو أبعد من وطن ذلك المتصارح. ومن أبرز مؤيدي هذا الرأي فرنان بروديل، الذي يقول: "إن العولمة إذا شئنا استخدام هذه التسمية الشائعة اليوم قد مارسها الشعوب على مر العصور. فقد ابتدعت تلك الشعوب حضارات متوالية شاركت فيها جميعها، وتبادلت فيما بينها منتجاتها ومنتجاتها الثقافية والعلمية."<sup>1</sup> وعليه، هناك من يعد أن للعولمة تاريخاً قديماً، وهي ليست نتاج العقود الماضية التي ازدهر فيها هذا المفهوم وذاع وانتشر في مجالات الإقتصاد والسياسة والإجتماع والثقافة، بسبب الثورة العلمية والتكنولوجية وتطور وسائل الإتصال وظهور شبكة الإنترنت" بكل ما تقدمه للإتصال الإنساني بمختلف أنواعه من فرص وعود. ولكن إذا أردنا ذكر مراحل تطور العولمة في التاريخين الحديث والمعاصر، فيمكن القول: إن العولمة - حسب نموذج رونالد روبرتسون - قد مرت بخمس مراحل، هي:

### المرحلة الأولى: المرحلة الجنينية

استمرت في أوروبا منذ بواكير القرن الخامس عشر حتى أواسط القرن الثامن عشر، التي شهدت النمو الأولي للجماعات القومية، وتعمق الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية، ونظرية مركزية الشمس بالنسبة إلى العالم، ونشأة الجغرافية الحديثة، وانتشار التقويم الغريغوري.

### المرحلة الثانية: مرحلة النشوء

وكانت في أوروبا منذ أواسط القرن الثامن عشر حتى عام 1870 وما بعده، وتتسم بالتحول الجذري نحو فكرة الدولة المتجانسة الواحدة، وتبلور مفاهيم عن العلاقات الدولية، ووضع مقاييس للأفراد كمواطنين، ونشأة تصور أوضح عن الإنسان، والزيادة الهائلة في عدد المؤسسات والهيئات المختصة بالنظم والإتصال الدولي وعبر القومي، وظهور مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، وطرح قضية النزعتين القومية والدولية.

### المرحلة الثالثة: مرحلة الانطلاق

استمرت من سبعينيات القرن الثامن عشر حتى أواسط عشرينيات القرن العشرين، وتميزت بظهور مفاهيم عالمية عن الصورة المثلى لمجتمع دولي مقبول، ضم بعض المجتمعات غير الأوروبية إلى المجتمع الدولي، وظهور الصيغة الدولية ومحاولة تطبيق أفكار عن الإنسانية، وزيادة هائلة في عدد أنماط الإتصال العالمي وسرعتها، ونمو صور التنافس العالمي (الألعاب الأولمبية، وجائزة نوبل) وتطبيق الوقت العالمي، والانتشار شبه العالمي للتقويم الغريغوري، والحرب العالمية الأولى، وتأسيس عصبة الأمم.

### المرحلة الرابعة: مرحلة الصراع

<sup>1</sup> عبد الوهاب علوب، ثقافة العولمة: القومية والعولمة والحداثة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 165.

شهدت صراعا على الهيمنة العالمية، واستمرت من عشرينيات القرن العشرين حتى أواسط الستينيات منه .ومن ملامحها، نشوب الجدل حول المصطلحات الهشة لعملية العولمة، التي ظهرت في أواخر مرحلة الإنطلاق، ونشوب صراعات دولية حول أساليب الحياة والجدل حول طبيعة الإنسانية ومستقبلها بعد ظهور القنبلة الذرية، وتأسيس الأمم المتحدة.

### المرحلة الخامسة: مرحلة عدم اليقين

بدأت في ستينيات القرن الماضي، واتجهت نحو التآزم في أوائل تسعينياته. ومن سماتها، إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمي، وتصاعد الوعي الكوني، والهبوط على سطح القمر، وتعمقت قيم ما بعد المادية، ونهاية الحرب الباردة، وانتشار الأسلحة النووية، وتزايد عدد المؤسسات والحركات الدولية إلى حد كبير، وتزايد تعقيد مفاهيم الفردية بسبب الإعتبارات النوعية والعرقية والعنصرية، وسيولة الحقوق المدنية والنظام الدولي، ونهاية القطبية الثنائية، والإهتمام بالمجتمع المدني العالمي والمواطنة العالمية، وتزايد الإهتمام بالإنسانية كجماعة نوعية، واندماج النظام الإعلامي العالمي.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني : أبعاد العولمة ومظاهرها

#### أولاً: أبعاد العولمة

#### أ البعد الاقتصادي:

تعرف العولمة بناء على البعد الإقتصادي بأنها تحويل العالم إلى منظومة من العلاقات الإقتصادية المتشابكة لتحقيق سيادة نظام إقتصادي واحد، بهدف نشر القيم الغربية في مجال الإقتصاد مثل: الحرية الإقتصادية، وفتح الأسواق، عدم تدخل الدولة في الشؤون الإقتصادية، وربط إقتصاد الدول النامية بالإقتصاد العالمي، لذلك فهي تركز على مفهوم السوق أي سوق بلا حدود. وفي هذا السياق هناك تعريفات كثيرة للعولمة الإقتصادية، بحيث عرفها صندوق النقد الدولي بأنها: "عبارة عن ترابط في المصالح الإقتصادية للدول بالإعتماد على بعضها البعض من أجل توسيع وتنويع تبادل البضائع والخدمات وتنشيط الحركة الدولية لرؤوس الأموال....نتيجة لتسريع إنتشار التقنيات الحديثة في ما بينها".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز المنصور، مرجع سابق، ص564-565.

<sup>2</sup> محمد عابد الجابري وآخرون، العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة ، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009 ، ص235 .

ومن جهة أخرى يرى حسن حنفي أن العولمة الاقتصادية عبارة عن تكتل إقتصادي للدول الغربية الكبرى للإستثمار بثروات وخيرات العالم وموارده الأولية وأسواقه، وهذا كله على حساب الشعوب الفقيرة، وهي في النهاية تؤدي إلى تركيز رؤوس الأموال في الدول الصناعية الكبرى، والفقير والتهميش والتبعية للأطراف وهي الدول النامية أو دول العالم الثالث.<sup>1</sup>

كما يرى السيد يسن أن العولمة الاقتصادية هي "تزايد الاعتماد المتبادل بين الدول على مستوى العالم، ووحدة الأسواق المالية والنقدية، وفتح الحدود أمام التجارة الحرة بلا قيود د". كما عرفها أيضا أنها "الإنتشار الواسع المدى في كل أنحاء العالم للمبيعات، والإنتاج، وعمليات التصنيع، مما يشكل إعادة صياغة للتقسيم الدولي للعمل".<sup>2</sup>

و بناء على ما سبق، فإن معظم التعريفات تتفق في عناصر محددة أهمها:

1- إزالة الحدود الاقتصادية بين الدول، مما ينعكس سلبا على قدرة الدولة في إحكام سيطرتها على الحدود السياسية والجغرافية والجمركية.

2- زيادة حرية حركة رأس المال والبضائع والمنتجات بين الدول.

3- إتجاه إقتصادات الدول إلى المزيد من التكامل الإقتصادي العالمي، أو التبعية الإقتصادية.

4- تدويل عملية الإنتاج، وعدم الإكتفاء بتدويل عملية التوزيع والتسويق.

5- تعاظم دور الثورة التقنية وتأثيرها في الإقتصاد العالمي.

وفي الأخير يمكن القول أن العولمة الاقتصادية تستند إلى النظام الرأسمالي الذي يروج للمفاهيم التحريرية الإقتصادية باعتبارها المفتاح لكل خيرات السوق، فإن الرأسمالية العالمية بالإعتماد على الثورة التقنية والمعلوماتية ساهمت في دمج معظم الإقتصادات الوطنية بالسوق الرأسمالية العالمية، بحيث أصبحت هذه الإقتصادات أسيرة لمفاهيم السوق والمنافسة الإحتكارية التي تتحكم فيها الإقتصادات العملاقة الكبرى التي لا تهتم بالحدود والقيود، مستنده إلى قوى السوق بإشراف مؤسسات العولمة الإقتصادية.

<sup>1</sup> حنفي حسن وصادق جلال العظم، ما العولمة؟، دمشق دار الفكر، 1999، ص ص 22-23.

<sup>2</sup> ياسين السيد، العالمية والعولمة، القاهرة، دار نهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 55 .

## ب - البعد السياسي

تهدف العولمة في بعدها السياسي إلى بناء نموذج سياسي تحرري غربي تتبناه شعوب العالم أجمع، بحيث يكون النموذج السياسي العالمي الذي تعيش في ظله كل مجتمعات العالم، ويعتمد هذا النموذج على نشر قيم التحررية السياسية القائمة على الحرية بكل شيء، حرية الرأي وحرية المناقشة والتفكير والإعتقاد، وفي الدعوة إلى الديمقراطيةية التحررية الغربية، والتعددية السياسية وإحترام حقوق الإنسان.<sup>1</sup>

ومعظم تعريفات العولمة في بعدها السياسي تجمع على أنها تعني تقليص صلاحيات الدولة وإختصاصاتها لصالح مؤسسات وهيئات عالمية تحقق مشروع الدولة الغربية الهادف إلى الهيمنة وتحقيق نوع من التبعية الحضارية للمجتمع الغربي. فمن ملامح العولمة السياسية أن الدولة لا تكون صاحبة السيادة المطلقة، وذلك بسبب التعاون والإندماج بين الدول على الصعيد الإقتصادي والبيئي والتقني، فتكون سيادة الدولة منقوصة من الناحية العملية لكنها كاملة من الناحية القانونية - أي أنه حبر على ورق-، حيث يرى السيد أحمد مصطفى عمر أن العولمة السياسية تعني أن الدولة ليست الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات ومنظمات عالمية وجماعات دولية وغيرها من التنظيمات الفاعلة التي تسعى إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والإندماج الدولي ومن هنا نلاحظ التداخل المعقد لأمر الإقتصاد والسياسة والثقافة والإجتماع والسلوك دون إعتداد بالحدود.<sup>2</sup>

وفي مقابل هذا يرى فريق آخر بأن العولمة الإقتصادية ما جاءت إلا لتكون طريقا لعولمة سياسية، يكون الهدف منها هو التدخل في الشؤون الداخلية للدول ومحاولة فرض الهيمنة عليها، والتدخل في شؤونها السياسية على أرضها ومقدراتها. فالإقتصاد والهيمنة عليه وعولمته هو الطريق الممهد السالك للسيطرة على الآخر الضعيف، وسلبه حريته وقدرته على إتخاذ القرار، بل التدخل في نظام الحكم القائم فيه وإملاء وجهات النظر والقرارات التي يرغب فيها الآخر القوي. وما يحدث اليوم في المنطقة العربية ويقاع مختلفة من العالم، من دعوات لنشر الديمقراطية، وممارسة الضغوط على الدول لإحترام حقوق الإنسان، وتغيير القوانين والأنظمة السائدة فيها، وتقويض أنظمة الحكم غير الموالية للنظام العالمي الجديد، هو خير دليل

<sup>1</sup> يوسف المرشدة، العولمة وأثرها على الوطن العربي : مشروع الشرق الأوسط الكبير، أريد، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2007، ص 45.

<sup>2</sup> أحمد ثابت وآخرون، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، (24)، سلسلة المستقبل العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، فيفري 2003، ص 162 .

على أن العولمة السياسية هي فرض الهيمنة ونشر المفاهيم بعيدا عن إحترام خصوصيات الأمم والشعوب السياسية والجغرافية للدولة.<sup>1</sup>

ومن جهة أخرى، فإن العولمة السياسية هي تجسيد لمسارات الوحدة والسوقنة إلى جانب التراجع التدريجي في صلاحيات الدولة، فالوحدة تعني: التنسيق بين القوى الإقليمية والمؤسسات العالمية والمنظمات الحكومية والهيئات الأهلية لإدارة شؤون العالم، فالدولة وحدها لا تستطيع حل مشاكل عالمية مثل: الفقر والمناخ والإرهاب...، وهذا يؤدي إلى زيادة حضور الكل العالمي في الشأن السياسي. أما السوقنة فتعني: سيطرة الإقتصاد على السياسة، بحيث تسير السياسة بقوانين السوق وتتحكم في الدولة بمنطق حرية السوق، مما يؤدي إلى تجاوز الدولة ثم تهميشها ثم إنحسار دورها وصلاحياتها على الصعيد العالمي.<sup>2</sup>

وبعد سرد معظم التعريفات التي تخص العولمة السياسية يتبين أنها تدور في عدة محاور هي:

- أولا: أنها تجسيد للنظرية التحررية السياسية.
- ثانيا: تراجع صلاحيات الدولة مما يفقدها سيادتها المطلقة، والذي يؤدي إلى تفكك الهوية القومية بفعل الحروب والنزاعات الأهلية.
- ثالثا: أنها تعني نهاية الدولة السياسية.
- رابعا: مفهوم العولمة السياسية يرتبط بالمجال السياسي العالمي، وأن العولمة السياسية ما هي إلا نظام سيطرة جديد.

### ج - البعد الثقافي

يأخذ مفهوم العولمة الثقافية حيزا كبيرا من التعريفات المقدمة لمصطلح العولمة، وذلك لإعتبار الثقافة سلعة عالمية تسوق كأبي سلعة تجارية أخرى، أو خدمة للإستهلاك تحظى بجاهزية خاصة ومغرية شأنها شأن المعلبات، ومن هنا برزت العديد من التعريفات التي تصب في مصلحة مسوقي العولمة، وأخرى تدحض تلك الأفكار. فمسوقو العولمة الثقافية يؤكدون على ضرورة خلق مكون ثقافي عالمي، وفرضه كنموذج ثقافي وتعميم معايير وقيمه على العالم أجمع، حيث إرتبطت العولمة الثقافية بفكرة التتميط أو التوحيد الثقافي للعالم من خلال إستغلال ثورة وشبكة الإتصالات العالمية والتقنية والتجارية والثقافية النابعة من الغرب، مما يؤدي إلى توحيد القيم حول المرأة والأسرة، وحول الرغبة والحاجة وأنماط

<sup>1</sup> إبراهيم نافع، إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص ص56، 60.

<sup>2</sup> أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 43.



الإستهلاك في الذوق والمأكل والملبس، وتوحيد طريقة التفكير والنظر إلى الذات وإلى الآخر، وإلى كل ما يعبر عنه السلوك، وهذه هي الثقافة التي تدعو العولمة إلى توحيدها، وبالتالي فإن العولمة الثقافية تستند إلى مفهوم الشمولية أي ثقافة بلا حدود.<sup>1</sup>

وبناء على ما سبق يبدو للوهلة الأولى أن العولمة الثقافية جاءت لخدمة الثقافات المتنوعة بأن يطلق العنان لها بأن تعبر عن نفسها وتنتقل من نطاقها الضيق إلى آفاق واسعة من العالم وفق فرص متكافئة بحيث تتفاعل الثقافات فيما بينها من خلال ثورة الإتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية والثقافية من منطقة إلى أخرى. لكن الواقع يخالف ذلك وينقضه، لأن تدفق المعلومات يجري باتجاه واحد، من الغرب إلى الشرق، وبالتالي فإن هناك تبادلاً ثقافياً غير متكافئ، لذلك يمكن تقديم تعريف للعولمة الثقافية على أنها محاولة مجتمع ما تعميم نموذج الثقافة على المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية مختلفة وتقنيات متعددة.

ومن جهة أخرى فإن فكرة إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع، تؤدي إلى الإنقسام والتفكك وإحداث شروخ في الأبنية الثقافية للشعوب، فضلاً عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز، حيث تفرض فكراً يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا، لذلك فهي خضوع الشعوب غير المسيطرة لثقافة الشعوب الغربية المسيطرة، وخضوع ثقافة هذه الشعوب أيضاً للمعايير السائدة في سوق السلع وغياب دور الدولة.<sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس فالعولمة الثقافية ليست سوى سيطرة ثقافية الغربية على سائر الثقافات، عن طريق استثمار مكتسبات العلوم والتقنيات في ميدان الإتصال، وهي الإستمرار لتجربة قديمة من السيطرة التي بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الإستعماري منذ قرون. وهذا ما يؤكد جلال أمين عندما يقول: بأن "العولمة الثقافية ليست ظاهرة حتمية لا يمكن صدها أو الوقوف في وجهها بسبب التطور والتقدم التكنولوجي، بل تحمل في باطنها شكلاً من أشكال الغزو الثقافي، أي قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها، وهذه الثقافة هي بالضرورة ثقافة النظام الرأسمالي المنتصر عالمياً من الناحية الإقتصادية". كما أن العولمة الثقافية بما تنتشره من قيم وأفكار وسلوك الدول الغربية وجعلها القيم المثلى لحياة أفضل للإنسان، تهدف إلى تعميق ظاهرة الإغتراب في حياة أصحاب النزعة الوطنية، فمن خلالها سوف ينغرس الشعور

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 164.

<sup>2</sup> عبد الإله بلقزيز، "عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟"، مجلة المعرفة للجميع، العدد 4، 1999، ص 61.

الوهمي بأن الثقافة الغربية هي ثقافة الكون كله، مما يؤدي إلى إفراغ الهوية الجماعية من القومية الوطنية إلى اللا قومية والا وطنية.<sup>1</sup>

وفي ذلك يرى الدكتور محمد عابد الجابري أن العولمة عملية أيولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم وأمكرته، لأنها تعمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع، لذلك فهي تسعى للقضاء على الخصوصية الثقافية بشكل عام، حيث أن الهدف النهائي للعولمة الثقافية هو السيطرة على الإدراك، وبهذا الهدف يتم إخضاع النفوس، أي تعطيل فاعلية العقل، وتكييف المنطق وتشويش القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق، وقلوبة السلوك، تكريسا لنوع معين من الإستهلاك ومن المعارف ومن السلع والبضائع، وهي معارف يطلق عليها ثقافة الإختراق، التي تهدف إلى التطبيع مع الهيمنة وتكريس الإستهباع الحضاري، وهذه الثقافة هي ثقافة إعلامية، سمعية وبصرية، تصنع الذوق الإستهلاكي إقتصاديا، والرأي العام سياسيا، وتشيد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ. حيث تقوم العولمة الثقافية ذات الطابع الأمريكي بإقصاء الثقافات الأخرى وتدويب الهويات تحت شعارات مثل المواطنة العالمية، والقرية العالمية، والقيم الكونية، وذلك من خلال قوتها المالية والإنتاجية لثقافة الغرائز، وليس من خلال ثقافتها أو قيمها، حيث توصف الثقافة الأمريكية بأنها ثقافة النفايات ونفاية الثقافات. حيث أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن سوق الثقافة الراقية والرفيعة محدودة، لذلك قامت بالبحث عن ثقافة أخرى أكثر انتشارا وترويجا، لذلك عهدت إلى هوليوود ووكالات الإعلانات لتتولى هذه المهمة من خلال نشر ثقافة الجنس والعنف، وثقافة تمجيد القوة والمصالح والسيطرة وإزدواجية المعايير، والتلاعب بالتاريخ ونشر أفكار اللا قيمة و اللاأخلاقية و اللا معنى، لذلك وجدت في هذه الثقافة المتدنية السوق الأوسع والأكثر ترويجا من الثقافة الراقية. لذلك ترى أن ديزني وماكدونالدز و غيرها تروج لكل ما هو سهل وسريع وبسيط تتلاءم مع الشعوب في جميع دول العالم ولا سيما الدول النامية كونها تدعو إلى اللهو والتعب والكسل والخمول.<sup>2</sup>

ومن خلال ما سبق ذكره تتضح بعض تأثيرات العولمة الثقافية على ثقافات المجتمعات المختلفة في الجوانب التالية:

<sup>1</sup> أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 211 .  
<sup>2</sup> محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات"، المستقبل العربي، العدد 1998، 228، ص ص 32 -34.

- التأثير اللغوي: إستعمال بعض اللغات الغربية (الفرنسية والإنجليزية) كلغات رسمية في مرافق الإدارة والإقتصاد، وإستعمالها في وسائل الإعلام والاتصال وفي المقررات الدراسية وكلغات للتخاطب اليومي.
- التأثير الخُلقي: إنتشار مظاهر العنف والجنس و الإباحية في وسائل الإعلام والسينما والقنوات الفضائية وعلى شبكة الإنترنت مما يتسبب في التأثير على القيم في بعض المجتمعات المحافظة ولا سيما المجتمعات العربية والإسلامية.
- التأثير القيمي: من خلال تهميط القيم ومحاولة جعلها واحدة لكل البشر في المأكل والمشرب والملبس والعلاقات الأسرية وبين الجنسين، علاوة على نشر قيم الإستهلاك الرأسمالي<sup>1</sup>.

### ثانيا: مظاهر العولمة

إن للعولمة تجليات متعددة منها السياسية، الإقتصادية، الثقافية، والاتصالية، وتظهر التجليات الإقتصادية للعولمة في تعمق ونمو الإعتماد المتبادل بين الدول والإقتصاديات القومية، ووحدة الأسواق المالية، وتعمق المبادلات التجارية في إطار نزع القواعد الحمائية ، بسبب إتفاقية الجات (GATT) . أما التجليات السياسية فمن أبرزها سقوط الشمولية، والسلطوية، والنزوع نحو التعددية السياسية، وإحترام حقوق الإنسان، إلا أن هناك مشكلة إزدواجية المعايير في التطبيق بسبب الهيمنة الأمريكية على الأمم المتحدة وأجهزتها المختلفة.

فمن الملاحظ أن مشروع العولمة أدى و كما أراد مؤسسه من دوائر سياسية وشركات متعددة الجنسية، إلى تجاهل القواعد الدولية التي إستقر عليها العالم بعد الحرب العالمية الثانية، والتي نجم عنها توازن في القوى وهامش من حرية الحركة لدول العالم الثالث، للإستفادة من المعونات الفنية والإقتصادية من منظمات الأمم المتحدة والدول الكبرى في المنظومة الدولية، ومحاولة تأسيس قواعد جديدة تهدف إلى تماسك العالم الغربي ومؤسسات العولمة في مواجهة الأطراف الضعيفة<sup>2</sup>.

فقد برز مفهوم العولمة أولا في المجال الإقتصادي، ونتاجا للثورة العلمية والتكنولوجية وشكل هذا التطور وما رافقه فتحا جديدا في نمط الإنتاج، الذي حمل بدوره تغييرا في شكل التفاعلات الدولية، وتغير في

<sup>1</sup> صالح، ثناء محمد، " المضمون الثقافي للعولمة"، مجلة النبأ، العدد 79، 2005، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.annabaa.org/nbhome/nba79/005.htm>

<sup>2</sup> أحمد ثابت، العولمة: تفاعلات وتناقضات التحولات الدولية ، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، 1998، ص13.

شكل الرأسمالية العالمية، فلم تعد الحروب وسيلة لحسم الصراعات بين الدول الرأسمالية، وظهرت الحاجة إلى توحيد الأسواق، وإعادة بناء الشكل النهائي للرأسمالية، وذلك بتجاوز الحدود القومية ومنع الإحتكار، فالعولمة أو الكوكبة ليست مفهوما إقتصاديا فحسب وإنما لها مفهوم سياسي وثقافي، فالإقتصاد الرأسمالي يلزمه وجود أسواق حرة وأنظمة سياسية. معينة وسقوط النظم الشمولية وإنهيار الإتحاد السوفياتي، تعد من أبرز مظاهر الإرتباط بين التطور الرأسمالي والتطور الديمقراطي.<sup>1</sup>

فمنطق العولمة يقوم على إستبعاد شعوب وثقافات معينة ترفض الإندماج في تقليد أسلوب الحياة الأمريكية الذي تحاول الولايات المتحدة إضفاء الصبغة الدولية عليه. فالمرحلة الحالية والتي تتسم بالعولمة قد تحولت من تجاوز الحدود ونطاق السيادة الوطنية للدولة، إلى إختراق الهوية القومية والإقتصادية لما يسمى بما فوق الوطن هذا يعني أن الرأسمالية الغربية تمكنت من السيطرة والهيمنة على إقتصاد العالم تحت مسمى الإقتصاد العالمي عن طريق المنظمات الدولية كالبنك العالمي، وصندوق النقد الدولي، ونادي باريس، ومنظمة التجارة العالمية، والشركات المتعددة الجنسية.<sup>2</sup>

فقد أصبحت العولمة حتمية لا مفر منها ، ويجب مجاراتها ، ويجب التوجه نحو السوق الحر لمواجهة التكتلات الإقتصادية العالمية ، وإلا تم العمل على تهميش العالم الثالث ضمن النظام الدولي الجديد. التغيير في مفهوم توزيع القوة في النظام الدولي بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي والهيمنة الأمريكية على النظام الدولي الجديد، سيؤدي إلى تغيير في النظم الفرعية والإقليمية والتي تشكل في مجملها النظام الدولي ، وذلك حسب مصالح الدول العظمى وتوجهاتها.

### المطلب الثالث : مؤسسات العولمة

تسعى العولمة بكافة تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية إلى تحقيق أركانها الأربعة الرئيسية وهي رسملة العالم: أي تحويل العالم إلى النظام الرأسمالي، ثم لبرلة العالم: تحرير العالم من القيود الإجتماعية والسياسية والإنحياز للفرد دون تدخل الحكومات وباستقلالية عن الدولة، ثم علمنة العالم: أي فصل الدين عن الدولة وعن معظم مجالات الحياة مثل القيم والثوابت والمنطلقات، إذ يتحول العالم بأسره

<sup>1</sup> هالة مصطفى ، "العولمة دور جديد للدولة" ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، العدد 134 ، أكتوبر 1999 ، ص43 .

<sup>2</sup> أحمد ثابت، مرجع سابق، ص 11.

إلى مجرد مادة لا قداسة فيها ولا خصوصية ولا مرجعية سوى مرجعية آليات السوق والمنفعة المادية والسلطة والجنس وعلاقات الإنتاج، وأخيرا، أمركة العالم: أي محاولة صبغ مجتمعات دول العالم بالصبغة الأمريكية وإشاعة نمط الحياة الأمريكية، وتتصرف أمريكا وفقا لاعتقادها أن العولمة تحقق لها ثلاثة إحتكارات وهي القوة المسلحة، والاقتصاد العالمي، واخضاع العقول والسيطرة الثقافية من خلال تدمير الثقافات والهويات المحلية، وفرض السيطرة السياسية والإقتصادية والثقافية على الشعوب، والتحكم الأمريكي بالثروات الطبيعية الوطنية و القومية. ولتحقيق أركان العولمة جميعها لا بد من وجود مؤسسات تشرف على عملية العولمة وتحقق أهدافها، وفيما يلي عرض لتلك المؤسسات وآثارها:

### أ - صندوق النقد الدولي

يكمن الهدف من وراء إنشاء صندوق النقد الدولي الحفاظ على قيمة العملات وإستقرار أسعار الصرف والإسهام في إقامة نظام للمدفوعات متعدد الأطراف بالنسبة للعمليات الجارية بين الدول الأعضاء، وإتاحة الفرصة لها لتصحيح الإختلال في موازين مدفوعاتها من خلال تيسير موارد الصندوق بضمانات ملائمة، بالإضافة إلى رفع القيود المفروضة على النقد الأجنبي التي تعوق نمو التجارة العالمية. كذلك يقوم الصندوق بمنح التسهيلات الإئتمانية للدول الأعضاء.<sup>1</sup>

والجدير بالذكر أن صندوق النقد الدولي بدأ يتحول بعد عام 1971 من هدفه الخاص بالمحافظة على ثبات أسعار تحويلات العملات إلى مهمة أخرى هي الإقراض. فصندوق النقد الدولي يضم في أعضائه دول فقيرة ضعيفة وأخرى غنية قوية، وبذلك أصبحت أهداف الصندوق المثالية غير صالحة لإقامة نظام دولي عادل بين الدول الغنية والدول الفقيرة، لأنها قائمة بالواقع على منح القروض مما ساهم في زيادة سيطرة الدول المتقدمة الغنية على الدول الفقيرة المستدينة، وبذلك فإن الصندوق في سعيه لخلق إقتصاد عالمي حر بعيداً عن القيود والحوجز النقدية والمالية والسلعية تناسى الفقراء والبعد الإجتماعي واهتم فقط بالأغنياء الذين خططوا لإستمرار التقدم الإقتصادي والثراء المادي.<sup>2</sup>

والأرقام التالية ستبين مدى تحكم الدول الصناعية الكبرى بالصندوق فالولايات المتحدة الأمريكية تتفرد ب 20% من القوة التصويتية وتمتلك حق الفيتو و 20% من رأسماله، ثم بريطانيا وقوتها التصويتية تصل حوالي 6.6%، ثم ألمانيا 5.8%، وفرنسا 4.8%، وأخيرا اليابان بنسبة 4.5%، وبناء على هذا فإن

<sup>1</sup> عاطف السيد ، العولمة في ميزان الفكر، الإسكندرية، مطبعة الإنتصار، 2001، ص19.

<sup>2</sup> مصطفى رجب، العولمة ذلك الخطر القادم أسبابها- تداعياتها الاقتصادية - آثارها التربوية، عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع 2009 ، ص53.

الدول الخمسة الكبار تمتلك % 41.7 من القوة التصويتية في الصندوق، لذلك فهي تتحكم بالدول النامية المستدينة من خلال القروض والتسهيلات التي يمنحها الصندوق لها، وبذلك فإن القروض التي يقدمها صندوق النقد الدولي للدول النامية لا بد أن تتوافق مع مصالح الدول الكبرى ذات القوة التصويتية الكبرى في تلك الدول.<sup>1</sup>

### ب- البنك العالمي

أنشئ البنك الدولي بناء على إتفاقية بريتون وودز Bretton Woods عام 1944 وهو مؤسسة مالية دولية يهدف بشكل رئيسي إلى مساعدة البلدان النامية في رفع مستوى معيشتها مقاسا بمتوسط الدخل القومي بالنسبة للفرد بالإضافة إلى تنمية اقتصاداتها. كذلك جاء البنك لتلبية حاجة ملحة إلى رأس المال لتمويل أعمال بناء وتعمير ما دمرته الحرب العالمية الثانية. وقد أعطى البنك حق فتح أو ضمان القروض التي تقدم لمشروعات تخدم أغراضه.

وطبقا لميثاق البنك فإن مساعداته تسترشد بالتنمية الإقتصادية وحدها دون أية ترتيبات سياسية، ولكن حدث في الثمانينيات أن صاغ البنك توجهات جديدة فيما أسماه قروضا لضبط البنية تهدف إلى زيادة قدرة الدول النامية على المنافسة في الإقتصاد العالمي. لقد كشفت سياسات البنك عن إنحيازه إلى الإيديولوجية الفردية الأنجلو أمريكية.<sup>2</sup>

ومن الجدير ذكره أن الهدف الرئيسي الذي أنشئ البنك الدولي من أجله تغير، فأصبح وسيلة للضغط والتدخل للسيطرة على الإقتصاد القومي في الدول المقترضة، كما أنه أداة واضحة وصريحة لخدمة السياسة الخارجية الغربية بشكل عام وأمريكا بشكل خاص، حيث أن نشاط البنك الدولي وإدارته تحكمه قاعدة التصويت النسبي وبذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية تسيطر على نشاطه وإدارة أعماله، بحيث تمنع القروض عن الدول التي لا تتماشى مع سياساتها، وتمنحها لما تتوافق معها، حيث أن الدول التي تمتلك أكبر نسبة من الحصص والقوة التصويتية هي الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ألمانيا، بريطانيا، فرنسا، بحيث تمتلك هذه الدول حوالي 43% من الحصص، كما أن قوتها التصويتية تبلغ حوالي 41% من عدد الأصوات، وهذا ما يظهر التوجهات السياسية للبنك، حيث أن الولايات

<sup>1</sup> يوسف المرشدة، مرجع سابق، ص 88 .

<sup>2</sup> عاطف السيد، مرجع سابق، ص 21.

المتحدة الأمريكية تمتلك لوحدها % 20 من القوة التصويتية داخل البنك الدولي، كما أن المقر الرئيس للبنك الدولي ومؤسساته في واشنطن، وأن رئيس البنك يشترط أن يكون أمريكياً دائماً.<sup>1</sup>

### ج - منظمة التجارة العالمية

حلت منظمة التجارة العالمية محل ما يعرف باتفاقية (GATT) العامة للتعريفات الجمركية والتجارة، منذ 15 / أبريل / 1994، بناء على إعلان وزراء مالية وإقتصاد (117) دولة في مراكش، بهدف ضمان إنسياب التجارة بأكبر قدر من السلاسة واليسر والحرية، من خلال إقامة عالم إقتصادي يسوده الرخاء والسلام، بحيث يضمن المنتجون والمصدرون أن الأسواق الأجنبية سوف تظل مفتوحة لهم، ومحاربة أية سياسات حمائية، والإشراف على تنفيذ القوانين الخاصة بالقضايا التجارية مثل: مسائل حقوق الملكية الفكرية والخدمات والإستثمار، كما تمارس المنظمة صلاحية أقوى من الجات في تسوية المنازعات.<sup>2</sup>

وتشكل المنظمة منتدى للتشاور والحوار وتبادل الآراء بين الدول الأعضاء حول المشكلات التي تواجه التجارة العالمية، وتسعى إلى رفع مستوى المعيشة للدول الأعضاء والبالغ عددهم حوالي ( 148 ) عضو، والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية لجميع الدول وبخاصة الدول النامية التي يزيد عدد أعضائها في المنظمة عن % 75 من جملة الأعضاء ، إلا أنها تتعرض للكثير من الانتقادات وأغلبها من الدول النامية، حيث ترى أن المنظمة تغلب المصالح التجارية على قضايا التنمية المستدامة والتطور والنمو، بالإضافة إلى عدم الاكتراث إلى البيئة أو الصحة والأمان والاهتمام فقط بالأرباح التي سوق يجنيها المنتجون والمصدرون إلى أسواق الدول النامية، كما تعتبر الدول النامية منظمة التجارة العالمية بأنها تزيد من حجم الفجوة بين الأثرياء والفقراء سواء في الدولة نفسها أو بين الدول، بحيث أن قلة من الأغنياء في العالم هم

من يتحكمون بالثروة العالمية، في حين يزداد الفقر والتهميش والبطالة والتبعية في العالم.

ومن جهة أخرى، ترى الدول النامية والصغيرة منها بأن صوتها غير مسموع وأن دورها ضعيف وغير مؤثر في المفاوضات التي تجري في إطار منظمة التجارة العالمية، كما تعتبرها منظمة غير ديمقراطية،

<sup>1</sup> يوسف المرشدة، مرجع سابق 89

<sup>2</sup> موقع منظمة التجارة العالمية: [http://www.wtoarab.org/page.aspx?page\\_key=the\\_organization\\_concisely&lang=ar](http://www.wtoarab.org/page.aspx?page_key=the_organization_concisely&lang=ar)

حيث أنها تتخذ القرارات التي تخدم مصالح الدول الكبرى مثل :الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي واليابان، ولا تمرر أي قرار يقف في وجه مصالحها، وهكذا تحرم الدول النامية من فرص الدفاع عن مصالحها ، وهي بذلك تعتبر أداة رئيسة للعولمة ولمؤيديها في السيطرة على العالم من خلال ما يتخذونه من قرارات وسياسات تخدم في الدرجة الأولى المصالح الأمريكية والمصالح التجارية الربحية، كما أن منظمة التجارة العالمية تساهم إلى جانب مؤسسات العولمة الأخرى في إضعاف سيادة الدول، وفي نشر ثقافة شعب معين على شعوب العالم أجمع، من خلال طمس ومحو ثقافات العالم المتنوعة، بواسطة المنتجات الثقافية المختلفة التي تفتح الآفاق لها عبر التجارة الحرة في مختلف أسواق دول العالم ولا سيما العالم النامي.<sup>1</sup>

ومما سبق يمكن إعتبار منظمة التجارة العالمية إلى جانب مؤسسات العولمة الأخرى وسائل للهيمنة الرأسمالية السياسية والإقتصادية والثقافية، وللسيطرة على العالم لصالح الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مقابل فرض إملاءات سياسية وإقتصادية وثقافية على دول العالم وخاصة النامية منها، لتحقيق أهدافها الرئيسية وهي إستعمار العالم ونهب خيراته وثرواته المادية والبشرية، وهذه المنظمة ومؤسسات العولمة الأخرى بعيدة كل البعد عن تحقيق التنمية المستدامة في الدول النامية.

#### د - الشركات متعددة الجنسيات

تعتبر الشركات متعددة الجنسيات الأداة الرئيسية للعولمة واللاعب الرئيسي في الإقتصاد العالمي في الوقت الحاضر، وهي شركات رأسمالية عملاقة ذات مراكز إنتاجية تتواجد في أكثر من دولة وتحمل جنسيتها، أي أنها شركات تعمل في أكثر من دولة واحدة، باحثة عن توفر المواد الخام والأيدي العاملة الماهرة والرخيصة، والتكلفة القليلة، أو للتمتع بالمزايا الضريبية في هذه الدولة أو تلك.<sup>2</sup> وتسعى هذه الشركات بدأب إلى الدعم الكامل لعملية العولمة وإستخدام الأساليب المبتكرة في هذا السبيل من أجل تحقيق العولمة الكونية. وقد أحدثت تلك الشركات تغييرات كبيرة من أجل العولمة تضمنت زيادة الإعتدال المتبادل بين المشروع والسوق الدولية ومعاملات التصدير والإستيراد من وإلى السوق، مقترنة بإنفتاح المشروعات الواسع والمتزايد على الأسواق العالمية من أجل الحصول على مستلزمات الإنتاج أو

<sup>1</sup> منذر خدام، " منظمة التجارة العالمية-المخاض الصعب"، الحوار المتمدن، العدد، 815، 2004/4/25 على الرابط الإلكتروني: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=17379>

<sup>2</sup> مصطفى رجب، مرجع سابق، ص ص 27-28.



من أجل التصدير. وقد صاحب ذلك الحصول على الكوادر البشرية ورؤوس الأموال والتقنية من الأسواق العالمية.

تعتبر الشركات متعددة الجنسيات وسيلة من ضمن الوسائل التي يعتمد عليها في فرض العولمة، فهي أقوى الوسائل التي تستخدمها الرأسمالية والليبرالية في جر الإقتصاد العالمي والقيم الثقافية والإنسانية للدول المختلفة بإتجاه العولمة للأسباب التالية:

- الشركات متعددة الجنسيات تتميز بالضخامة من حيث الحجم والأرباح وتتنوع الأنشطة والإنتشار الجغرافي.<sup>1</sup> حيث وصل عددها حوالي 61 ألف شركة أم، وحوالي 900 ألف فرع تابع لها تمارس فيه هذه الشركات مبادلاتها التجارية في أربعة قطاعات رئيسية وهي: البترول، السيارات، التكنولوجيا العالية والبنوك، وتسيطر الشركات متعددة الجنسيات على ثلث الإستثمارات الأجنبية المباشرة، وتلثي التجارة الدولية في مجال السلع والخدمات.
- تسعى الشركات متعددة الجنسيات بشتى الوسائل للهيمنة على ثروات الدول - وخاصة دول العالم الثالث التي تستثمر فيها، لإنهاك قواها في المجال الإقتصادي مقابل منتجات كانت أساسا عبارة عن مواد خام في تلك الدول ثم تنتقل إلى البلدان الصناعية الكبرى وتعاد على شكل مصنوعات تحمل الصفة الإحتكارية لهذه الشركات بد لا من إحتكارها في الدول النامية صاحبة الثروة.
- للشركات متعددة الجنسيات تأثير كبير في سياسة الدول، فأصبح الولاء لهذه للشركات بدلا من الولاء للدولة الوطنية، حيث أن تأثيرها الكبير على السياسات الإقتصادية للدول إنعكس على الخريطة السياسية للعالم، حيث تقوم بإضعاف سيادة الدولة المتصلة بها وتقليص دورها الإقتصادي والإجتماعي.<sup>2</sup>

ونستنتج مما سبق أن الشركات متعددة الجنسيات تنشر مبادئ العولمة وتحقق أهدافها وذلك بالتعاون مع وسائل ومؤسسات العولمة الأخرى، فهي تعمل على نشر مبادئ وقيم الليبرالية والرأسمالية، والتي هي في الأساس قيم الدول الغربية وخاصة قيم الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح القيم الرئيسية لكل شعوب العالم.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص37.

<sup>2</sup> سهيل حسين الفتلاوي، العولمة وآثارها في الوطن العربي، عمان الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع 2009، ص109.

## هـ - المنظمات غير الحكومية

ظهرت المنظمات غير الحكومية نتيجة للتغيرات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية التي صاحبت العولمة، مثل: التحرير الإقتصادي، وتقليص دور الدولة، وتحرير التجارة والتكتلات وغيرها والتي يكون الربح فيها سمة أساسية، وما نتج عن ذلك الكثير من المشاكل مثل: الفقر والبطالة ومشاكل البيئة والتلوث وغيرها. لذلك تطور القطاع الخيري والتطوعي عبر مؤسسات ومنظمات غير حكومية حلت محل الحكومة الوطنية في تقديم الكثير من الخدمات والمصالح والمنافع العامة، واتسع نطاق عملها الوطني عبر الحدود لتشمل العالم أجمع من خلال مشاريع وبرامج تحمل في طياتها مبادئ تحررية ليبرالية وقيم رأسمالية وإنسانية، وهي نفس القيم التي يتم تسويقها عبر العالم في إطار العولمة.<sup>1</sup>

إختلف الكتاب حول تعريف المنظمات غير الحكومية، منهم من قال إن المنظمة غير الحكومية هي: "تنظيم إجتماعي يستهدف غاية ومن أجل بلوغها تحدد نشاطها في بيئة جغرافية بعينها أو في ميدان نوعي أو وظيفي متخصص فيه."<sup>2</sup>، ومنهم من عرفها حسب وثائق الأمم المتحدة الصادرة عام 1994، بأنها: "تمثل كيانا غير هادف للربح وأعضاؤه مواطنون أو جماعات من المواطنين ينتمون إلى دولة واحدة أو أكثر وتتحدد أنشطتهم بفعل الإرادة الجماعية لأعضائها، إستجابة لحاجات أعضاء واحدة أو أكثر من الجماعات التي تتعاون معها المنظمة غير الحكومية."<sup>3</sup>

وفي هذه الرسالة، يتم إعتقاد التعريف التالي بأنها: مجموعات طوعية أو تطوعية لا تستهدف تحقيق الربح ينظمها مواطنون سواء على مستوى محلي أو قطري أو دولي، ويتمحور عملها حول مهام معينة ويديرها أشخاص ذوو اهتمامات مشتركة مهتمين بقضايا الإصلاح والدفاع عن حقوق الإنسان والبيئة والصحة، وتؤدي تلك المنظمات مجموعة متنوعة من الخدمات والوظائف الأساسية.<sup>4</sup>

ومن أهم المنظمات غير الحكومية التي تعمل على مستوى العالم هي: منظمة أوكسفام، ومنظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة رصد حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية وغيرها.

<sup>1</sup> عبد الغفور سراج الدين، "منظمات المجتمع المدني في ظل العولمة"، منارات إفريقية، 24/10/2010 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.islam4africa.net/index.php/manarate/index/18/47>

<sup>2</sup> كمال المنصوري، "المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي"، المكتب الدولي للجمعيات الإنسانية والخيرية. على الرابط الإلكتروني:

<http://www.humanitarianibh.net/reports/mansori.htm>

<sup>3</sup> سمك، نجوى وآخرون، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة: الخبرتان المصرية واليابانية، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، 2002، ص4.

<sup>4</sup> المنظمات غير الحكومية وإدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.un.org/arabic/NGO/brochure.htm>

ومن الجدير ذكره أنه من الصعب تحديد تعريف جامع وشامل لمصطلح المنظمة غير الحكومية ولكن يمكن تحديد مجموعة من الأسس والمعايير التي إذا توافرت في مؤسسة ما يمكن أن يتم إدراجها تحت مسمى المنظمات غير الحكومية، وهي كالآتي:

- ذات هيكل رسمي مقنن يتسم بالدوام إلى حد كبير، وغير هادفة للربح بالمعنى العام، وتقوم على مبدأ التطوعية.
- غير حكومية: بمعنى أن تكون مستقلة أو منفصلة عن الحكومة، وإن كان بإمكانها الحصول على مساعدات مالية وفنية من الحكومة.
- ذاتية الحكم: أي أن تحكم نفسها بنفسها، وأن تكون قادرة على التحكم والسيطرة على أنشطتها.
- غير تمثيلية: أي عدم إقتصار عضويتها على قطاع محدد، بل يجب أن تكون شاملة لكافة القطاعات.
- أن تكون غير حزبية: وهذا لا يمنع أن يكون لها مواقف معينة تجاه بعض القضايا السياسية.
- غير إرثية: بمعنى أن تكون العضوية طوعية، وأن لا تكون العضوية قائمة على أسس القرابة أو العرق.
- يجب أن تقوم بخدمة الصالح العام سواء كان اجتماعيا أو ثقافيا أو مهنيا، وأن تهدف المنظمة في النهاية إلى تحسين نوعية الحياة وتخفيف المعاناة عن الفقراء والمعوزين سواء داخل الدولة التي تنتمي إليها المنظمة أو خارجها.

# الفصل الثاني

التغيرات العولمية و انعكاساتها

على الأمن الثقافي

## تمهيد:

شهد العالم في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين تشكيلا لنظام عالمي جديدا إتضحت معالمه وآلياته تدريجيا حتى وصلت في تجلياتها العليا إلى ما يطلق عليه مصطلح (Globalisation) وقد ترجمه البعض إلى العربية إلى مصطلح العولمة و بعضهم الآخر إلى الكوكبة و آخرون الى الكونية.

أصبحت العولمة فيما بعد الإطارات الذي يفترض أن تتحرك فيه و تتأثر به كل أشكال الحراك الإجتماعي على المستوى المحلي والدولي. كما إعتبرت آلياتها هي الناظمة لكل ما سبقها من إنجازات المجتمع الدولي الإقتصادية و السياسية و الثقافية بحيث أصبحت هذه الإنجازات مسخرة الى حد كبير لخدمة أهداف العولمة سلبية كانت أو ايجابية .

تعتبر العولمة ظاهرة معقدة طوقت العالم كله ، فهي ذات أبعاد إقتصادية وسياسية وإجتماعية و حضارية و ثقافية و تقنية و بيئية، وشملت مرافق الحياة كلها، لذلك فهي حظيت باهتمام جميع المفكرين و الباحثين و الأكاديميين و الدارسين في مختلف أنحاء العالم، محاولين التعرف على ماهية العولمة و أشكالها وأدواتها وأهدافها على حياة الافراد والمجتمعات.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن فصل أو عزل أي بعد من أبعاد العولمة عن الآخر ، فهي مكتملة ومتممة بعضها للبعض ، تأخذ عدة أشكال منها: السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، و الثقافية.

وتركيز الدراسة في هذا الفصل تكون حول بعد أساسي لظاهرة العولمة ألا وهو البعد الثقافي، حيث سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى تداعيات العولمة على الأمن الثقافي، أولا بتحديد مفهوم العولمة الثقافية و إبراز مضمونها و أهدافها وأهم الوسائل التي تعتمد عليها لتحقيق هذه الأهداف.

ثانيا إبراز أهم التحديات التي تخلقها ظاهرة العولمة على الثقافة، من تحدي للسيادة الثقافية للدولة القومية، إلى تحدي المحافظة على التنوع الثقافي إلى غيرها من التحديات.

وأخيرا نتناول مفهوم إعلام العولمة بإعتباره ريان العولمة في جانبها الثقافي، وذلك خلال إبراز مفهومه ووظائفه، وأهدافه ، وأبرز تقنياته.

## المبحث الأول: العولمة الثقافية و تأثيراتها

العولمة الثقافية هي غزو ثقافي يمس ذاتية الأفراد و الأمم حيث تحمل خطابا ثقافيا خاصا لشعوب العالم مفاده أنه لا مجال للتعدد الثقافي و إنما البقاء للثقافة المعولمة المهيمنة على كل الثقافات .

وتتميز العولمة الثقافية بإحتكار المعلومات ووسائل الإتصال العابرة للحدود الوطنية للشعوب وللحدود الشخصية للأفراد. وعليه سنتناول في هذا المبحث بعد أساسي من ابعاد العولمة و هي العولمة الثقافية مع إبراز و سائلها و أهدافها و تأثيراتها. وتبدو أهمية العولمة الثقافية في مدى تأثيرها على الهويات الثقافية للشعوب و للأفراد، وتتجلى هذه الأهمية أيضا في بؤادر ووسائل هذه العولمة في جانبها الثقافي وماذا تريده من ثقافات المجتمعات الأخرى.

## المطلب الأول: تعريف العولمة الثقافية

يرى بعض الباحثين في تاريخ العولمة الثقافية وتطورها أنها حدث تاريخي ينبع من فكر وحكمة عدد كبير من الفلاسفة والحكماء والعلماء اليونانيين مثل: سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم، لأنه إتخذ مفهومه، ووضعت أساسياته في القرن الرابع بعد الميلاد والتي شكلت ثقافة غربية مميزة، وهذه الثقافة هي التي إنتشرت وطغت في الفكر الغربي لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر. وكذلك يرى هؤلاء الباحثون أن غزو الرومان لشعوب أوروبا والمنطقة العربية والإسلامية ونشر ثقافتها وعلومها وفنونها ساهم في وضع بذور العولمة الثقافية في العالم الغربي لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر.<sup>1</sup>

وعلى ذلك فإنه يمكن إستنتاج أن تاريخ مفهوم العولمة الثقافية ينبع من ثلاث مراحل رئيسية:

أولا: تعتبر العولمة الثقافية ظاهرة قديمة قدم الإنسان، حيث من المتعارف عليه أن الثقافات القديمة تناقلت كافة متطلبات الحياة من خلال العادات والتقاليد، بحيث لا يوجد مجتمع بدون ثقافة خاصة به، تتغذى وتنتقل من خلال المجتمع الذي يحيوها، وبالتالي فإن الثقافة تتطور مع تطور المجتمع وترافق الإنسان في كل مرحلة من مراحل حياته، والتبادل الثقافي يحدث منذ القدم، ويرافق كل مناحي الحياة في المأكل والمشرب واللباس والشراء والبيع، فتطور الثقافة عمل على تحرير الإنسان من عبودية البيئة، بحيث أنها

<sup>1</sup> محمد الشيبيني، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، لبنان، دار العلم للملايين، ديسمبر 2002، ص 28.

نظمت حياته وسلوكه مع الطبيعة، وهذا ما يميزه عن باقي المخلوقات، وتختلف الثقافات باختلاف أنواع التكيف التي شكل الناس عن طريقها ثقافتهم لتناسب الظروف الجغرافية والمناخية المعينة.<sup>1</sup> ترتبط اللغة والثقافة بصلات وثيقة، لأن إستيعاب ثقافة ما يعني في المقام الأول إستيعاب لغتها، فإمتلاك لغة يعتبر أهم الصفات الثقافية المميزة، فكل ثقافة لغتها، وهناك عدة آلاف من اللغات التي يتم تداولها في عالم اليوم، فاللغة تمثل جزءا حيا من الثقافة فهي تؤسس المرتكز الأساسي للإستعدادات التي نلتقاها من التراث المحيط بنا، وكذلك من الحياة وتناقضاتها. فاللغة عامل ضروري وفعال لعملية التبادل بين الأشخاص في المجتمع ومع المحيط الخارجي، فمن خلالها إنتشر الأدب والفن والدين، كما أن أنها وسيلة التاجر لتسويق بضاعته، فمن خلالها ينشر عاداته وتقاليده ويتعرف على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى، فيحدث التبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب.<sup>2</sup>

ساهمت الحروب والإستعمار والإكتشافات الجغرافية في نقل العادات والتقاليد والعلوم والفنون والأدب بين الشعوب، فيحدث التبادل بطريقة سلسة وسهلة. وخير مثال على ذلك إنتشار الثقافة الإسلامية عبر أنحاء الكرة الأرضية من خلال اللغة العربية والدين والتجارة والفتوحات الإسلامية. وخلاصة القول إن التبادل الثقافي بين الشعوب الذي تدعو له العولمة الثقافية المعاصرة هو ظاهرة قديمة، تطورت عبر العصور، لكن بمسميات مختلفة تتناسب مع زمان ومكان كل شعب من شعوب العالم.

ثانيا: يمكن التعبير عن المرحلة الثانية من تاريخ العولمة الثقافية بالثورة الصناعية التي ظهرت في القرنين الثامن والتاسع عشر، وما رافقها من ظهور العديد من الآلات والأدوات التي سهلت على الشعوب عملية التبادل الثقافي ووفرت الوقت والجهد في الحصول على المعلومات والأفكار بأسرع وقت ممكن، وما رافقها من تطور في وسائل الإتصال، مثل التلغراف والتلفون والتلفاز وغيرها من وسائل الإتصال المختلفة، بالإضافة إلى الصناعة التي أخرجت ما يسمى بالصناعات الثقافية، التي تنتج وتوزع الناتج والخدمات الثقافية التي تجسد وتنقل أشكالاً للتعبير الثقافي بغض النظر عن قيمتها التجارية، ويندرج ضمنها: النشر المطبعي والموسيقى والإنتاج السينمائي والسمعي والبصري والحرف اليدوية والتصميم، وبالتالي فإن الصناعات الثقافية تعكس حالة الشعوب ومستوى تقدمها وحضارتها، وهي في نفس الوقت

<sup>1</sup> عادل بالعمري، " الثقافة والمجتمع، " الحوار المتمدن، عدد 2924، 2010/02/21، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=204612>

<sup>2</sup> فيصل قرطبي، " اللغة والثقافة و الإنسان "، الحوار المتمدن، عدد 1300 ، 2005 / 03 /28 ، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=44115>

تشكل درعا حاميا لهويتها الوطنية، إذا فإن التبادل الثقافي - ذو الاتجاه الواحد - هنا يكون عبر الصناعات الثقافية التي تنقل وتنتشر ثقافة منتجها عبر أنحاء الكرة الأرضية من خلال وصولها لكل بيت.

**ثالثا:** التطور العلمي والتقني السريع في القرن العشرين الذي ساهم في عملية تطور وسائل الإتصال المختلفة مما ساهم في زيادة عملية التبادل الثقافي بالصوت والصورة، وإنتشار الثقافة الإلكترونية وغيرها. ومن تلك التقنيات، الإنترنت والهاتف المحمول والفضائيات، التي تعد وسيلة لتعزيز التعارف بين الشعوب، فهذه التقنيات قامت بهدم المسافات وتسهيل التواصل والإتصال والتفاعل، وساهمت في محاولة صياغة المجتمعات اليوم وثقافتها وفق نمط متشابه إلى حدما.<sup>1</sup>

خلاصة ما تقدم، وبعد مراجعة الأدبيات التي تبحث في جذور العولمة بشكل عام والعولمة الثقافية بشكل خاص، يتضح لنا أن العولمة الثقافية لم تكن عملية واعية مخطط لها في السابق وتتم بشكل تلقائي، وهذا ما تغير في بداية التسعينيات فأصبحت العملية واعية ومخطط لها، ولدى القائمين عليها مؤسسات ومخططات ومنظمات تساعد وتساهم في تحقيق أهداف و مآرب الدول المسوقة لها، ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية التي تهدف لإنشاء نظام عالمي جديد له قيم وثقافة وإقتصاد ونظام سياسي موحد لجميع دول العالم.

وعلى هذا الأساس إرتبط المفهوم الثقافي للعولمة بفكرة التتميط أو التوحيد الثقافي للعالم، حسب تعبيرات لجنة اليونسكو، فقط رأيت اللجنة أن التتميط الثقافي يتم بإستغلال ثورة و شبكة الإتصالات العالمية، وهيكلها الإقتصادي الإنتاجي و المتمثل في شبكات نقل المعلومات من أجل توصيل الأفكار الثقافية التي يراد لها الدبوع و الإنتشار، و جوهر عملية العولمة الثقافية ينطوي على ثلاثة مراحل:

**الأولى:** تتعلق بإنتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة لجميع الناس.

**الثانية:** تتعلق بتذويب الحدود بين الدول.

**الثالثة:** تتعلق بزيادة معدلات التشابه و التجانس بين الجماعات الإنسانية أي أن هناك إتجاها لصياغة ثقافة كونية عالمية لها قيمها و معاييرها، الغاية منها ضبط سلوك الأمم و الشعوب و بالتالي دفع العالم نحو التوحيد في السمات و الخصائص.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الله اللحيدان، " أهمية الصناعات الثقافية "، صحيفة الرياض اليومية، عدد 15173، 8 / 01 / 2010، على الرابط الإلكتروني: <http://www.alriyadh.com/2010/01/08/article487801.htm>

<sup>2</sup> خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، العراق، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، 2009 ص 119 .



وفي هذا السياق يرى عبد الإله بلقزيز بأن ماهية الثقافة التي تبشر بها العولمة - ثقافة العولمة - هي ليست ثقافة تقليدية المعروفة بالثقافة المكتوبة، وإنما هي ثقافة ما بعد المكتوب أو ثقافة الصورة.

فالصورة هي الركيزة الأساسية للنظام الثقافي العولمي الجديد، نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم أنها المادة الثقافية الأساس التي يجري تسويقها على أعلى و أوسع نطاق جماهيري، فالصورة لا تحتاج إلى المصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى غدراك المتلقي، لأنها بحد ذاتها خطاب مكتمل يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبله أو لنقل بأن الصورة لغة بحد ذاتها تستغني عن الحاجة لغيرها.

ويعطي بلقزيز بعد هذا تعريفا للعولمة الثقافية يقول بأنها: " فعلا إغتصاب ثقافي، وعدوان رمزي على سائر الثقافات - إنها رديفة الإختراق الذي يجري بالعنف - المسلح بالتقانة و يهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة و هي لا تعني سواء سيطرة الثقافة الغربية على سائر الثقافات، بواسطة إستثمار مكتسبات العلوم في ميدان الإتصال"، و هي التتويج التاريخي لتجربة مديدة من السيطرة بدأت منذ عملية الغزو الإستعماري منذ قرون، و حققت نجاحات كبيرة في إلحاق التصفية والمسح بثقافات جنوبية عديدة، و بخاصة في إفريقيا و أمريكا الشمالية و الوسطى و الجنوبية.

كما عرفها أيضا: "بأنها توحيد القيم حول المرأة و الأسرة ، و حول الرغبة و الحاجة و أنماط الإستهلاك في الذوق و المأكل و الملابس، إنها توحيد طريقة التفكير و النظر على الذات و الآخر إلى القيم وإلى كل ما يعبر عن السلوك".<sup>1</sup>

و لكن يوجد في الطرف الآخر من الموضوع من له نظرة مختلفة للعولمة الثقافية، و لنأخذ برهان غليون نموذجا، حيث يرى بان العولمة الثقافية: " نظام جديد من العلاقات بين الثقافات، كما هو الحال بين الجماعات و الدول و الأسواق ، نشأ في سياق صراع التكتلات الرأسمالية الكبرى على الهيمنة العالمية.

وأن الأمركة أحد اركان هذا النظام، بشرط أن نفهم من الامركة أنها تعني ارجحية المساهمة الأمريكية في الإنتاج الثقافي، المادي و المعنوي الذي يملأ الفضاء العالمي الجديد، الذي أنشأته ثورة المعلومات، لا أنها تعني تحويل ثقافات الشعوب و الطبقات جميعا إلى ثقافة أمريكية".

<sup>1</sup> عبد الإله بلقزيز، العولمة و الهوية الثقافية: عولمة الثقافة ام ثقافة العولمة، ط 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص 314.

فبرهان غليون يرى أن الفضاء العالمي الذي أنشأته ثورة المعلومات مفتوح لكل من له القدرة على المساهمة و الصراع داخله و أن الثقافة الأصلح (الأقوى) هي التي ستسيطر و تهيمن في النهاية، وبالتالي تكوين ما أسماه بثقافة النخبة المعولمة و إن الذي يرفض دخول هذا الصراع لن يحصل إلا على السلبات من نتائج هذا النظام الثقافي الجديد، و يتم تهميشه و ربما الإستغناء عنه نهائياً،<sup>1</sup>

كما تجدر الإشارة بأن مفهوم العولمة يعني محاولة الدولة تعميم نموذجها الثقافي على الدول و المجتمعات الأخرى، من خلال التأثير في المفاهيم الحضارية و القيم الثقافية و الأنماط السلوكية في أفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية و إقتصادية و ثقافية و تقنية متعددة، و ذلك عن طريق عملية الإختراق وإستعمار العقول و احتواء الخبرات، و ربط المثقفين بدائرة محدودة تدور في فلك الدولة التي تهيمن ثقافياً.<sup>2</sup>

و خلاصة القول تتجلى العولمة الثقافية من خلال الإتجاه نحو بلورة ثقافة واحدة على النطاق العالمي، تمتلك منظومة قيم و معايير موحدة و الغرض من وراء ذلك واضح هو البحث عن مزيد من السيطرة على الشعوب و الدول، و ضبط سلوكها و التحكم في مصيرها.

### المطلب الثاني: وسائل العولمة الثقافية

تعتبر العولمة الثقافية من أهم أبعاد العولمة كونها تحمل في طياتها نموذجين أولهما موضوعي أي لا مفر للإنسان من التعامل بمنجزاتها حيث أصبح من الضروري إقتناء منجزات العولمة الثقافية مثل: الهاتف المحمول، الإنترنت، الفضائيات وغيرها.

أما النموذج الثاني وهو الذاتي (الأمركة) الذي يعني إحلال الثقافة والفكر الأمريكيين محل الثقافة العالمية المتنوعة، وإعادة ترتيب العالم بطريقة تتسجم مع النظام السياسي والإقتصادي الأمريكي. وهنا تكمن الخطورة، حيث أن الأمركة تهدف إلى خلق نمط ثقافي واحد. تكون هي المسيطر الوحيد عليه. بحيث تتحكم بطبيعة المنتجات التكنولوجية المنتجة والمصدرة إلى الدول النامية. و من ضمنها الدول العربية،

<sup>1</sup> برهان غليون و سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط 2، بيروت، دار الفكر، 2002، ص ص 45 – 47.

<sup>2</sup> عبد العزيز المنصور، مرجع سابق ص 568.

فهي تسعى لتكوين مجتمعا عالميا له عاداته وتقاليده وسلوكه وذوقه الواحد في جميع دول العالم، مع إختفاء الخصوصية المحلية الوطنية المتنوعة لمجتمعات الدول المختلفة.

وتعتمد العولمة الثقافية على مجموعة من الوسائل سعيا منها لتكريس هذا الوضع حيث تتجلى هذه الوسائل في الوسائل الآتية:

- **التقدم التكنولوجي والتقني في مجال الإتصالات:** بحيث هذا التقدم أدى إلى السيطرة و هيمنة هوية غربية فردية أحادية على شعوب العالم في هويتهم و خصوصيتهم، نتيجة التقريب بين الهويات الثقافية و غلبة الهوية التي تمتلك الأساليب لتأثير على هوية الغير .
- **الفضائيات:** حيث تقوم الفضائيات بدور كبير للحياة الثقافية للشعوب من خلال الأقمار الصناعية و التلفزيون، بحيث أصبحت توجه حتى الأسرة و أفراد العائلة الواحدة ، و لعل صاحب الفضائيات الكبرى هو من سيطر على الهويات الاخرى بفضل سيطرة هويته الثقافية .
- **شبكة الإنترنت:** أصبحت هذه الشبكة وسيلة هامة للعولمة الثقافية بما تحمله من معلومات وأفلام وصور ثقافية تطيح بمعالم الهوية الثقافية الخاصة بالشعوب والأفراد، خاصة تلك الثقافة المادية التي تسيطر على الشبكة التي تسعى بالإطاحة و بالأخلاق الفاضلة من خلال المواقع الإباحية، إضافة إلى الدعاية السلبية التي من شأنها قلب الوضع السياسي و الثقافي للبلدان بتغيير وجهة الراي العام و إقامة نزاعات بين الشعوب.
- **وسائل الإعلام المكتوبة و المسموعة:** و تتمثل في الجرائد و الصحف اليومية و الإذاعات السمعية و مالها من تبليغ فكري ثقافي معين بالتأثير على الهوية الثقافية للشعوب خاصة بسيطرة الغرب عليها ، بالإطاحة بعالمية الثقافة و خصوصية الأمم.
- **القوة و الفرض و الضغط:** يعد أسلوب الفرض بالقوة و الضغط أساس سير العولمة الثقافية الراهنة، كالحرب ضد العراق و تصدير البرامج التربية ووجوب تطبيقها على الشعوب خاصة الفقيرة منها.
- **التأليف و النشر:** و يكون التأليف و نشر بعض الموضوعات موجها قبلا و مناطا بفكر معين، و يخضع إلى صاحب و فكرة و ميول الكاتب و اهداف الكتابة و التأليف.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد زغو، "أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب"، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2010، ص 95.

أما محمد شعبان علوان فقد حدد أهم الوسائل و الأساليب التي تعتمد عليها العولمة الثقافية سعياً منها لتحقيق أهدافها في النقاط التالية:

- الضغوط السياسية و الإقتصادية الدولية على الحكومات لإجبارها على تنفيذ المشاريع و سن القوانين التي تساعد على نشر العولمة الثقافية.
- وسائل الإعلام كافة، و بخاصة بعد إنتشار الفضائيات في كل مكان من العالم، و لعل أخطر ما يروجه الإعلام لتطمس من خلال ثقافة الآخر و لتهمين ثقافة العولمة خاصة في ظل إنتشار الفضائيات و هجوم الصورة و ثقافتها الغربية على الوعي و ذلك في ظل التراجع المروع لمعدلات القراءة في العالم، و من خلال هذا تبين لنا معالم النطق المظلم التي تدخل إليه الثقافة و الوعي في عصر الإعلام السمعي و البصري ، ضمور متزايد و ضيق شديد في جغرافية التكوين بما رحبت من معلومات، دعك من التفكك الذي سيصيب نظام القيم فيكرس منظومة جديدة من المعايير ترفع من قيمة النفعية و الفردانية الأنانية، و المنزع المادي الغرائزي المجرى من أي محتوى إنساني. إن الصورة في الإعلام الغربي هي المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، أو العولمة الثقافية الدور نفسه التي لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية التي سلفت، و لذلك فإن التبعية القيمية المفروضة إذن هي تلك التي تستهدف هدم القيم و العادات و الأعراف الإيجابية و المعايير و المرتكزات و القنوات الثقافية و الهويات الذاتية بما فيها اللغة و دور الإعلام المعادي هنا دور فعال يشمل ما يطلق عليه عمليات غسيل المخ القائمة على الإلحاح الإعلامي و الحملات الإعلامية المخططة.
- شبكات الإنترنت التي يسهل عبرها الإتصال بجهات عالمية مختلفة.
- مؤتمرات الإتصال و التنمية الكثافة في كل دول العالم.
- الندوات الثقافية و الأدبية التي تعقد للترويج لظاهرة العولمة الثقافية.
- تنظيم مهرجانات الموسيقى و الفن و الغنى التي يشترك فيها فرق من كل أنحاء العالم و يث أخبارها و نتائجها عبر وسائل الإعلام بصورة تشجع على تكرارها و تطويرها.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد شعبان علوان، "عولمة الثقافة و ثقافة العولمة : التحديات و المواجهة"، الجامعة الإسلامية، غزة، مؤتمر الدعوة الإسلامية و متغيرات العصر، 16، 17 أبريل، 2005، ص ص 874-875.

## المطلب الثالث: الأهداف الحقيقية للعولمة الثقافية

إن العولمة الثقافية منذ نشأتها الأولى و إنبثاقها، و قبل تداولها على النطاق العالمي كانت قد وضعت جملة من الأهداف تحاول و تسعى جاهدة لتحقيقها سواء على الصعيد الإقليمي أو الصعيد العالمي ، و يمكن إبراز من الأهداف الخفية التي تهدف العولمة الثقافية لتحقيقها في النقاط الآتية:

- تعزيز ثقافة الإختراق التي تمثلها العولمة التي تقوم على أساس التطبيع مع الهيمنة و التركيز الإستيعاب الحضاري لأمريكا، مما يؤدي إلى فقدان الشعور بالإنتماء لوطن أو أمة أو دولة، فبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.
- التقليل من قيمة الثقافات المختلفة و فرض هيمنة ثقافة واحدة ، ألا وهي الثقافة الأمريكية في الوقت الحاضر كونها المالكة لمراكز توجيه العولمة.
- إشاعة الذوق الغربي في الإستهلاك و في ممارسة السلوك الإجتماعي مع الآخرين، و هي تعمل على إشاعة ما يسمى بأدب الجنس و ثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة و كظاهرة عادية و طبيعية، وما يترتب من إنتشار الرذيلة والجريمة و العنف في المجتمعات، و قتل اوقات الشباب في تضييعها في توافه الأمور و ربما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه و أخلاقه وسلوكه و حركته في الحياة، و تساهم في هذا الجانب شبكات الإتصال الحديثة و القنوات الفضائية و برامج الإعلانات و الدعايات للسلع الغربية، و هي مصحوبة بالثقافة الجنسية الغربية التي تخدش الحياء و المروءة و الكرامة الإنسانية .
- نشر الثقافة اللا دينية و فرض الركض - و غالبا بلا وعي - خلف المواضات الإجتماعية الغربية.
- حرمان الشعوب المتخلفة من اللحاق بركب التقدم ، نظرا لتقشي الأمية ، و العولمة تقوم على تقنية عالية لا تملكها الكثير من الدول و المجتمعات في الدول النامية و المتخلفة.<sup>1</sup>
- كما تهدف العولمة الثقافية إلى تحطيم القيم و الهويات التقليدية للثقافات الأخرى والترويج للقيم الفردية، و المفاهيم الغربية بصفة عامة، وعد هذه القيم و المفاهيم هي وحدها المقبولة أساسا للتعاون كأساس للتعاون في ظل العولمة.

<sup>1</sup> الرقب، صالح حسين، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، ص 9-10 على الرابط الإلكتروني: <http://www.drsggeb.com/index.php?action=vb&nid=48> .

حيث جاء في دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها للزوال الأمر الذي يهدد الثقافات و البيئة في آن واحد، و قد إعتبرت هذه الدراسة التي أعدها فريق من الخبراء هذا البرنامج، أن أسرار الطبيعة التي تتضمنها الأغاني و القصص و الفن و الصناعات الحرفية لدى الشعوب الأصلية قد تختفي إلى الأبد، بسبب ظاهرة العولمة المتصاعدة في جميع المجالات.

وأن عدد اللهجات المحلية في العالم ما بين 5000 إلى 7000 لهجة، منها ما يقرب 5000 لهجة أصلية، و أن هناك أكثر من 2500 لغة مهددة بالإنقراض على المدى القصير و 234 لغة أصلية معاصرة إختفت كلية. و ينتهي الخبراء من أنه هناك إحتمال إختفاء 90% من اللغات المحلية في العالم في القرن الحادي و العشرين.

- كذلك من أهم أهداف العولمة الثقافية الترويج للسلع، وجعلها متشابهة لجميع البشر، حيث تسير العولمة الثقافية في طريق تندثر بموجبه الخصوصيات الثقافية، و أنماط الإستهلاك من جراء تجانس الطلب و خضوع المنتجات لتتيميطات موحدة، ذات بعد كوني شامل، فالسوق المعولمة ترفض إعتبار وجود خصائص و طبائع ثقافية أو سيكولوجية محلية، وهذا يفقد تداول السلع طبيعته الملموسة داخل الأسواق التقليدية (وطنية و جهوية و دولية ) ليصبح مجردا داخل سوق من نوع جديد.<sup>1</sup>

كما حدد محمد شعبان علوان مجموعة من الأهداف الأخرى الحقيقية للعولمة الثقافية، و ليس الأهداف المضللة التي يرددها دعاة العولمة الثقافية، ومن بين هذه الأهداف:

- التذويب الحضاري لسائر الحضارات التي تحمل قيما مضادة لقيم الحضارة الغربية و خصوصا الحضارات الشرقية مثل الحضارة الإسلامية و الحضارة الصينية، هذا ما دعي إليه الكاتب الأمريكي صامويل هنتغتون، وهكذا يكشف لنا الأمريكي عن النية المبيتة ضد الحضارة الإسلامية، ومن هنا تريد العولمة إزاحة قيم الحضارة الإسلامية تحت عنوان: إزالة الحواجز بين الشعوب بحيث يكون إنتماؤهم للعالمية وليس المحلية.

<sup>1</sup> خليل نوري مسيهر العاني، مرجع سابق، ص 130.

- محاولة القضاء على الإسلام باعتباره المحرك الأساسي والأول لهذه الحضارة، وهذا ما صرح به نيكسون في كتابه "الفرصة الأخيرة" حين قال: "إنه بعد سقوط الشيوعية لم يعد هناك عدو سوى الإسلام".
- القضاء على العروبة باعتبارها رابطة قومية مضادة لحركة العولمة الثقافية التي تستلزم القضاء على أي رابطة غير الإنتماء لفكرة الإنسانية، فالوحدة العربية والقومية العربية مصطلحات ينبغي أن يختفيا في عصر العولمة الثقافية لأنهما يشكلان خطرا عليها باعتبارهما عنصرا من عناصر القوة التي يمكن أن توحد العرب إقتصاديا وسياسيا وتمكنهم من الوقوف أمام هذا السيل الجارف الذي ينتظرهم من هذه العولمة الثقافية.
- القضاء على المشاعر الوطنية داخل الدولة، ومحاولة ربط الإنسان بالعالم لا بالدولة في محاولة لإسقاط هيبة الدولة القطرية.<sup>1</sup>

وخلص ما تقدم، تسعى العولمة الثقافية إلى تكوين وخلق ثقافة عالمية واحدة، فعمدت من أجل تحقيق هذا إلى التطوير العلمي والتقني للقيام بهذه المهمة، من أجل إذابة الحدود وزيادة معدلات التشابه بين الأفراد في مختلف الشعوب، كما عمدت إلى نشر نمط حضاري واحد وهو ثقافة وقيم الولايات المتحدة الأمريكية لتكون الثقافة الوحيدة في العالم، والعمل على إقصاء وتذويب الثقافات الأخرى المتنوعة، كونها المسيطرة على العالم من الناحية السياسية والإقتصادية والعسكرية والتقنية، ومن خلال تلاحم هذه الجوانب قامت بنشر ثقافتها عبر العديد من الوسائل سواء كانت من خلال المنظمات غير الحكومية أو الشركات متعددة الجنسيات أو عبر الوسائل التقنية الحديثة في مجال الإتصالات، لذلك تم اعتبار العولمة الثقافية بأنها السيطرة الغربية الجديدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

<sup>1</sup> محمد شعبان علوان، مرجع سابق، ص876.

## المطلب الرابع: آثار العولمة الثقافية على الهوية الثقافية

إن الحديث عن الهوية أصبح من الموضوعات الثقافية وقضايا الفكر على كافة الأصعدة والتخصصات والتي يحتدم حولها النقاش. خصوصا في ظل المتغيرات المتسارعة التي تعيشها المجتمعات اليوم ، فعلى مستوى الواقع فإنه محاط بإشكاليات متعددة .

فالهوية الثقافية أو الذاتية الثقافية ليست ثراء جامدا ولا مجرد مجموعة من التقاليد، بل هي دينامية داخلية وعملية إبداع مستمرة للمجتمع بمراد الذاتية تغذيها التنوعات الداخلية القائمة بصورة واعية ومقصودة، أو هي صناعات ومشاعر ونمط حياة تتفاعل مع المتغيرات المحيطة، أي أن الهوية هي أحد مكونات الشخصية الوطنية.<sup>1</sup> كما يقصد بالهوية الثقافية تلك المبادئ الأصيلة السامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب، وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي يتفاعل على صورتها هذا الكيان. لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس ويشعر كل فرد بإنتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى. فالهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور الإنتمائي لها. كما تعتبر بمثابة ذاتية الإنسان ونقاءه وجماليته وقيمه، بحيث تعتبر الثقافة هي المحرك لأي حضارة أو أمة في توجيهها وضبطها أي هي التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي.<sup>2</sup>

في مقابل هذا تحول العولمة الثقافية الهوية الثقافية من إطارها القومي و الخاص إلى الإندماج والتفاعل والتكامل مع الهويات الثقافية الأخرى في ظل الهوية الثقافية الأحادية. وإن كانت العولمة تفرض نفسها حتى باستخدامها القوة، فتصبح العولمة الثقافية بذلك منهج وثقافة غربية أمريكية بالهيمنة على العالم وشعوبه و أفرادها، مسخا لهم وإهدار لخصوصياتهم إلى درجة أن لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية وهوية شخصية أو خصوصية.

ومن خلال هذا المنطلق يمكن إبراز الآثار التي تخلفها العولمة الثقافية على الهوية الثقافية، سواء كانت هذه النتائج إيجابية أو سلبية.

<sup>1</sup> El Wai Taha (eds), "Meaning and Definition of Culture "in, "Mass Media AndIdentity (Cairo: DAR Al Shorouk, 1989) pp.56-57.

<sup>2</sup> أسعد السمحراني، ويلات العولمة على الدين و اللغة والثقافة، دار النفائس 2002، ص 82.



## أولاً : الآثار الإيجابية للعولمة الثقافية على الهوية الثقافية

بتفاعل الهوية الثقافية المخصوصة لأي شعب أو فرد مع الثقافات الأخرى في ظل العولمة الثقافية تنتج مظاهر هامة يجب الاهتمام بها وقبولها وهي:

## 1- على المستوى التكنولوجي: العولمة الثقافية تدر ربحاً على الشعوب و الأفراد في إكتساب ثقافة

البحث العلمي والتقدم التكنولوجي، خاصة في مجال الإعلام و الإتصال، وبهذا فالعولمة تنتشر بسرعة. ومنه تصبح ثروة علمية وعملية لمن يفترق للتكنولوجيا وللبحث العلمي و لإنتاجيته.

## 2- على مستوى التواصل والتعاون: تعد العولمة الثقافية كسب كاف للإتصال والشراكة الثقافية بين

الأمم والشعوب والأفراد، بحوار الثقافات وتزويد الشعوب بأساليب إحداث توازن منطقي بين الخصوصيات الثقافية لهم، وبذلك يكون التعاون بين الأمم بالإطاحة بالحدود ومعوقات الإتصال المباشر والحر بين المؤسسات والأفراد، وهنا تظهر مدى أهمية الإعتراف بالتعددية الثقافية للأمم في العالم الدولي الجديد المؤمرك.

## 3- على المستوى الإجتماعي: تعد العولمة الثقافية من خلال وسائلها خاصة وسائل الإعلام، وحرية

الصحافة والرأي الحر بمثابة منبر للحوار والتفتح الثقافي والإستفادة من ثقافة الغير، ولتكامل الثقافات، وبذلك تستفيد الدول الضعيفة من أسباب مهمة للقضاء على المشاكل الإجتماعية خاصة المتعلقة بالأجانب مع المواطنين، ثم إن الإعلام يساهم ويثبت ويرفع من مستوى الهوية الثقافية والفردية لإثبات وجودها وبروزها على المستوى الدولي.

## 4- على المستوى الحقوقي: تعد العولمة موضوعاً للتفاعل و التواصل خاصة في مجال الإعلام،

الذي يدعم حقوق الإنسان والحريات السياسية وثقافة التعبير والمعارضة، ووجهات النظر والدفاع عن السياسات الثقافية للشعوب في مفهوم الحقوق عندها والحريات وطريقة المشاركة السياسية والتعددية. حيث أن العولمة الثقافية أدت إلى تطبيق ثقافة جديدة مفادها أن للفرد الحرية في إختيار أي ثقافات التي يراها مناسبة بهدف إبراز طاقاته و إستثمارها، لكي يكون منتجا وفعلا والحق في الثقافة معترف به بالنسبة للأمم طبقاً للمادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي التي تقتضي بأن لكل ثقافة كرامة يجب إحترامها والمحافظة عليها ومن واجب وحق كل شعب أن ينمي ويطور ثقافته، وكل الثقافات تشكل رغم تنوعها وإختلافها جزء من تراث البشرية الذي تشارك في ملكيته.

5- **على المستوى الشخصي والإنساني:** للعولمة في جانبها الثقافي تأثير إيجابي بتحويل الشعور بالانتماء إلى حالة تعصب إلى حالة المرونة والإعتراف بالغير في ظل الإنسانية بهدف القضاء على التعصب والتشدد والجمود الفكري.

6- **على المستوى التربوي والأكاديمي:** أصبحت الحقوق الثقافية والفكرية مزدهرة نسبيا بإعطاء مكانة لها على المستوى المؤسسي وفي ظل المناهج التربوية والأكاديمية، بهدف تمثيل ثقافة الأفراد والشعوب لدعم المعارف الخاصة بهم وإحترام الحقوق الثقافية الأخرى.<sup>1</sup>

وخلاصة الآثار الإيجابية بالنسبة للعولمة الثقافية على الهوية الثقافية، هي أن الثقافة العالمية تدفع الناس إلى التحرك والسير في الإصلاح والقضاء على التبعية الثقافية في القيم والعادات وذلك بإستعمال وسائل وأسباب دعم الهوية الثقافية إستنادا إلى التعاون والترابط والتماسك والشعور بالانتماء الصحيح وعدم التعصب.

#### ثانيا: الآثار السلبية للعولمة الثقافية على الهوية الثقافية

إن أساس سلبيات ظاهرة العولمة في جانبها الثقافي على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب تكمن في ما قاله صامويل هنتغتون أن الإعتقاد بضرورة تبني الشعوب غير الغربية لقيم ولمؤسسات ولحضارة غربية لهو أمر غير أخلاقي في نتائجه، حيث تسعى الثقافة المعولمة إلى إقصاء الخصوصيات والهويات الثقافية الأخرى إلى حد لا يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية أو هوية شخصية، وعليه تتجلى سلبيات العولمة الثقافية على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب في ما يلي:

1- **على المستوى التاريخي:** تعد العولمة الثقافية إستعمارا ثقافيا جديدا، لأنها تهدف إلى إحداث خلل في الهويات الثقافية للشعوب بنشر وهيمنة العولمة الثقافية الأحادية القطب بهدف الإستلاء ونهب إمكانيات وحضارات الشعوب خاصة الفقيرة، وبالتالي فهي إمتداد للإستعمار التقليدي الثقافي القديم، حيث كان الغزاة سابقا يسلبون مقومات الهوية كاللغة والدين من أصحابها بطمس الشخصية والهوية الثقافية لإخضاع المستعمرات.

2- **على المستوى الأيديولوجي:** تعني الهيمنة الثقافي لظاهرة العولمة من جانبها الثقافي هيمنة النموذج الأمريكي على ثقافات الأمم، بإستهداف الثقافات المحلية والإقليمية بالزوال إعتبارا أن

<sup>1</sup> محمد زغو، مرجع سابق، ص 97 .

أخطر الغزو الثقافي التغريبي ذو الوجه القديم والجديد لايزال قائماً أشد شراسة ضد الهوية الثقافية، عن طريق الحد من العناصر الأساسية للهوية الثقافية المتمثلة أساساً في اللغة والتي هي اللسان الحقيقي المعبر عن الهوية وكذلك الدين والعقيدة والتراث الحضاري الخاص بالشعوب، فتم إكتساح اللغات الأجنبية للغات المحلية للشعوب خاصة النامية وحتى المتقدمة، ولعل اللغة التي تسيطر هي اللغة الانجليزية التي تدعى باللغة الحية وهي اللغة العالمية التي يتغنى بها غالب الناس، وظهور الحرب ضد الدين الإسلامي، والقضاء على الحضارة في كل ما تعنيه لأي شعب من هوية وخصوصية، كالحرب على العراق وما إنجر عنها من نهب لتراثه ومعالم تاريخه وحضارته. لهذا يسعى مهربو الآثار التاريخية، والحرب ضد الدين في تحطيم المؤسسات الدينية للمجتمع وإستبدالها بمؤسسات أخرى من أجل القضاء على التراث التاريخي والحضاري للشعوب، وضرب مقومات المجتمع في الصميم أو الروح، سعياً لنشر الثقافة المادية التي تهيمن اليوم على الأفراد.<sup>1</sup>

3- **على المستوى الروحي والمادي:** تفرض العولمة الثقافي إستراتيجية جزئية للإنسان، فهي تريد مسخ ونزع الروح من الجسد بإبقاء الجانب المادي والجسدي للفرد بإخلال التوازن والتكامل في الشخصية، وتسعى لإنتاج الإنسان المادي بالقضاء على الجانب الروحي و النفسي والفكري وهذا بإعادة صياغة الإنسان من جديد وتغيير خلقته وتغيير مفاهيمه الفكرية، بحيث تتأسس الثقافة المعلومة على حب الذات والفرديانية بتحقيق المعالم الشخصية للفرد والولاء للفكر المادي والتبعية للثقافة المادية الغربية التي لا تقيم وزناً للإنسانية.<sup>2</sup>

4- **على المستوى الإقتصادي:** فالهدف الحقيقي من العولمة الثقافية هو إبقاء التبعية بإبقاء أهم الشعوب وخاصة المتدنية بالإسلام في درجة عالية من التبعية الثقافية، كما تهدف إلى تأكيد وتعميم ثقافة تبعية الشعوب الفقيرة إلى الدول المتطورة المصنعة التي تغني تلك الشعوب الضعيفة من ماديات بنتازل هذه الأخيرة عن هويتها الثقافية، وتظهر التبعية الثقافية في نمط الإستهلاك والإستثمار الثقافي الأجنبي وفي القرار السياسي بإغتصاب ثروات الشعوب. حيث لم يحدث في تاريخ أن أقدم العالم على رموز و سلع ثقافية إستهلاكية وشبابية كما عليه الحال اليوم فالإقدام على هذه الثقافة الإستهلاكية والشبابية من مأكولات وشخصيات وأفلام تأتي من مصدر واحد

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص98.

<sup>2</sup> أحمد السمراني، ص9.

موجود تقريبا في كل العالم مما يثير مدى موقف الثقافة المحلية بضرورة تشكيل هوية إقتصادية قوية لدول العالم الثالث لتحسين الهوية الثقافية وموجهو الغزو الثقافية.<sup>1</sup>

5- **على المستوى الإجتماعي:** تؤثر العولمة الثقافية على الهوية الثقافية من الناحية الإجتماعية للشعوب والأفراد، بإعتبارها مشروع غير أخلاقي، ومشروع فاسد تتميز بالثقافة المادية بإفراغ المجتمعات من رفعة الأخلاق وسمومها، ويقطع الإنتماءات، وهي عولمة تؤزم الأسر وروابطها بتفكيكها وبزرع و بزرع المشاكل وبث الإنحراف ولا مكانة لصلة الرحم والنسب والإرث الشرعي فيها. إذ أن الثقافة الشعبية الأمريكية طغت على أذواق الناس من خلال الملابس والأكل والموسيقى ومشاهدة الأفلام والمسلسلات وإستهلاك السلع الأمريكية، بسبب إرجاع ذلك إلى التفوق الأمريكي على وسائل تقنية الإعلام والإنتاج السريع و وجود السوق المستهلكة بتصدير تلك المنتجات، وعليه فالعولمة الثقافية ليست تفاعلا للثقافات العالمية بل هيمنة ثقافة محددة هي الولايات المتحدة. فالعولمة الثقافية سير نحو ثقافة عنصر اللذة وقد شرعت أبواب الإباحية لاحتقار العفة والكرامة الإنسانية، وعملت على تعميم النموذج المادي الثقافي المعولم في مؤتمرات السكان بالقاهرة عام 1994، ومؤتمر المرأة ببكين عام 1995.<sup>2</sup>

6- **على المستوى الإعلامي:** السيطرة على وسائل الإعلام المحركة للثقافة المعولمة والتي تهيمن عليها الدول التكنولوجية والمتفوقة عسكريا، فالعالم الفقير ليس له القدرة في إمتلاك هذه الوسائل ومواجهة الإكتساح الإعلامي الغربي، هذا مما يعني قصور العالم الفقير في حماية وتجديد هويته الثقافية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد زغو، المرجع السابق، ص 99.

<sup>2</sup> معطي بوتخيل، "أهم تحديات الأسر الجزائرية والرهانات المطروحة"، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد التجريبي، 2005، ص 145.

<sup>3</sup> محمد زغو، مرجع سابق، ص 100.

## المبحث الثاني: التحديات الثقافية للعولمة

أخذت الثقافات كمجال مهم من مجالات الحياة تتعرض في ظل العولمة للعديد من التحديات ففي الوقت الذي تدعو فيه العولمة إلى تحرير رؤوس الأموال و السلع من أي ضوابط تحد من حركتها فإنها تدعو إلى إيجاد ثقافة بلا حدود خاصة بعد أن أسهم التطور التقني في مجال الإتصالات والمعلومات في تحقيق التزاوج بين التقنية و الثقافة وبالتالي تحول الثقافة إلى سلعة يسهل تبادلها بين الدول وشعوب العالم، لذا نجد الغرب و بالأخص الولايات المتحدة، التي تملك أكبر إنتاج ثقافي و إعلامي في العالم سعت إلى توظيف ذلك من أجل نشر نموذجها في الحياة على حساب ثقافات و شعوب أخرى، هذا ما أثار رفض العديد من الدول في الشمال والجنوب إلى إخضاع الثقافة إلى قانون السوق كأى سلعة أخرى، مع التأكيد على ضرورة التمسك بخصوصيتها الثقافية.

## المطلب الأول: تحدي السيادة الثقافية للدولة القومية

منذ شاع الحديث عن العولمة في أواخر القرن العشرين، وهي تشير جدلا فكريا بين المفكرين والقادة حول العلاقة بين العولمة والدولة القومية وبالأخص حول أهم مرتكزات الدولة القومية وهي السيادة، أي العلاقة بين السيادة والعولمة، وبالتحديد التحدي الذي تفرضه العولمة على السيادة الثقافية للدولة القومية.

فالعولمة جاءت لتعبر عن وضع جديد غير سابقه. فإذا كانت الدولة القومية وليدة الثورة الصناعية الأولى ونتيجة لفصل الدين عن الدولة فإن العولمة وليدة الثورة الصناعية الثالثة ونتيجة لفصل الأمة عن الدولة و بالتالي فصل لثقافة الأمة عن السيطرة التامة للدولة بحيث أصبح للآخرين أيضا تأثير عليها. وهذا ناتج في الأساس عن العولمة التي لا تعترف بالحدود سواء كانت مادية أو غير مادية. فهي مثلما تدعو إلى سوق بلا حدود في الجانب الإقتصادي تدعو أيضا إلى ثقافة بلا حدود. مما يشكل تحدي للسيادة الثقافية للدولة القومية، فبفضل التطور التقني أصبحت الشبكات الجديدة للإتصال الدولي مترابطة بصفة متزايدة، وهي بذلك تتجاوز الحدود وتتخطاها بسهولة وهي بذلك تفتح فضاء جديد للإتصال.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مي العبد الله سنو، "العرب في مواجهة تطور التكنولوجيا الإعلام والإتصال"، مجلة المستقبل العربي، العدد 230، 1998 ص 36.

هذا الفضاء هو بحق وطن جديد لا ينتمي لا إلى الجغرافيا ولا إلى التاريخ، وهو وطن بلا حدود وبدون ذاكرة وبدون تراث. إنه الوطن الذي تبنيه شبكات الإتصال المعلوماتية الإلكترونية.

هذا مما دفع البعض للدعوة إلى إعادة النظر بالمفهوم التقليدي للسيادة، على أن أخطر ما تحمله ثورة الإتصال هذه هو فقدان الإستقلال الذاتي والهوية الثقافية للبلدان و الأشخاص. فإذا كان مفهوم السيادة قابلا للنقاش من حيث ضرورة تبدل مفهومه التقليدي لمصلحة جماعية دولية فإن ثورة الإتصال ستطرح بحق من أقدس حقوق الشعوب وهو الحفاظ على هويتها الثقافية وحققها في الإختلاف الذي يعطيها شعور بالكرامة والعزة. وذلك لأن الدول سوف تجد أكثر من طرف يشاركها في التأثير على ثقافتها الخاصة بالشكل الذي قد يفقدها خصوصيتها الثقافية التي تسعى إلى الحفاظ عليها. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الدول لا تخشى على ثقافتها الوطنية من التركيز العالمي على الأخبار والأحداث العامة.<sup>1</sup>

فالثقافة تتأثر أساسا بأفلام السينما، والمضمون الترفيهي، من دراما و أغاني ورقصات، فالأزياء التي تعرضها الدراما التلفزيونية أو تناول الطعام و أنماط الإحترام واللباقة في المعاملة بين الأفراد تعتبر من العوامل المؤثرة على الثقافة الموضوعية، أي الأمور التي يتم ملاحظتها. كذلك الإعلانات وما يرتبط بها من عادات إستهلاكية تؤثر على القيم والدوافع و المعتقدات مما لاشك فيه أن هناك أنشطة إعتيادية تظهر في المضمون الإعلامي الترفيهي يتم بسهولة استيعابها ثقافيا وتؤثر بشكل خاص على الأجيال من الأطفال و الشباب فالأغاني الوطنية تتأثر بالأغنيات الأجنبية الغربية، وتؤثر الرقصات الغربية على الفنون السائدة في الدول النامية حيث أنه يسهل على الأفراد استيعابها بسهولة. نفس الشيء بالنسبة للأزياء أو الملابس التي من المفروض أن تعكس شخصية الفرد وثقافة المجتمع، ولكن رفض الزي الوطني هو تعبير عن حدوث تغير ثقافي. إن مثل هذا المضمون حينما يأتي من الخارج يعكس قيم مجتمع أجنبي ويقدم وسائل تختلف حولها الآراء وتثير قلقا حقيقيا بين المهتمين بالمحافظة على سيادة الثقافة الوطنية أي أن الإهتمام المعتاد للمدافعين على الإستقلال والسيادة الوطنية يركز على أن الثقافة المستوردة تنتهك المحظورات الثقافية ليست فقط فيما تقدمه من تصرفات إجتماعية غير مقبولة من عرف وجنس ولكن أيضا من خلال تقديم أساليب جديدة للتعامل وعادات إستهلاكية وتمرد على سيطرة الأسرة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> تركي الربيعي و زكي الميلاد، الإسلام والغرب: الحضارة والمستقبل وحوارات لقرن جديد، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1998 ص 19.

<sup>2</sup> جيهان أحمد رشتي، "الثورة التكنولوجية ووسائل الاتصال العربية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990، ص 168- 170.

وأن تأثير ثورة الإتصالات هذه لا يقتصر على ذلك حيث نجد أن الفيض الذي لا يرحم من الشعارات والأحداث التي تتعرض له المجتمعات يوميا بفعل هذه الثورة، والغزو المتواصل من الأفكار والمعلومات والصور والقيم القادمة من الخارج والتي لم تشارك في إنتاجها ولا تتفق غالبا مع ثقافتها ومع درجة نمو قدراتها العقلية على تلبية الحاجات الجديدة التي تبعثها، يخلصان الأفراد عن واقعها ويرميهم في عوالم تتناقض فيها إلى أبعد الحدود الآمال والإمكانات والحاجات والقدرات، الأحلام والوقائع والذاتيات والموضوعيات. ويترافق ضياع المرتكزات والمرجعيات عند المجتمعات بتفجير أزمات الهوية التي أصبحت من المسائل الرئيسية التي تواجه التفكير الإنساني اليوم، وعلى المستوى العالمي. وفي سياق هذه الأزمة والإنهيار الذي تشهده الإيدولوجيات القديمة بعد أن تجردت من إنسانيتها، تلك القيمة على العودة إلى العصبية القبلية أو القومية الضيقة التي تبرر التطهير العرقي. أو تلك التي تلغي أي قيمة للعقيدة وتفتح الطريق نحو سلوكيات لا تضع حدودا لسلوكها إلا قواها الذاتية على السيطرة والنهب والتلاعب بعقول الناس وأرزاقهم.

وحتى في الدول الصناعية ذات التشكيل القومي الأقوى الذي يستطيع أن يقاوم رياح الأزمة بشكل أفضل تترك الأزمة بصمتها القوية، على هويتها الثقافية.<sup>1</sup> فالتقنية الحديثة في مجال الإتصال قد مكنت المجموعات الثقافية والإثنية التي تعيش على أرضها والتي تنتمي إلى ثقافات أخرى من المحافظة على خصوصياتها الثقافية عن طرق إرتباطها بثقافتها الأصلية. وبعبارة أخرى ينقل الناس هوياتهم معهم خلال هجرتهم ولا يفقدون الصلة بها من خلال تفاعلهم مع الإعلام ووسائل الإتصال الحديثة، أي أن الأقليات الثقافية المهاجرة سوف تبقى محافظة على هويتها الثقافية الاصلية ولا تذوب بثقافة المجتمع الموجودة فيه مما يخلق لهذا الأخير مشكلة الاندماج الثقافي والتي تهدد بالتالي السيادة الثقافية للدولة. بيد أن هذا ليس سوي نذير بأشياء أخرى قادمة فتنية الأعمار الصناعية وغيرها من أدوات الإعلام الجديدة تفتح الآن أبواب الثقافة الوطنية الموحدة. غير أن هذا الإتصال المتبادل يهدد الهوية الوطنية التي تسعى الحكومات للحفاظ عليها ونشرها خدمة لأغراضها الخاصة هذه الهوية تصبح القضية متفجرة عندما تنتشدد المخاوف من الإستئصال الثقافي نتيجة للهجرة الواسعة النطاق،<sup>2</sup> ومثال ذلك ما تشهده الدول الأوروبية والتي تحتوي على عدد كبير من المهاجرين كالأكراد في ألمانيا والمسلمون في فرنسا وأيضا نجد تأثير وسائل الإتصال

<sup>1</sup> برهان غليون، "الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين، تحديات كبيرة وهم صغيرة"، مجلة المستقبل العربي العدد، 232، 1998 ص 13.

<sup>2</sup> السيد ياسين، "صياغة الهوية و عولمة الخيال في القرن العشرين"، مجلة منتدى، الأردن، العدد، 147، ديسمبر 1997، ص 10.

الحديثة لا تقتصر على بروز مشكلة اندماج المهاجرين في المجتمعات الموجدية فيها وإنما تساهم أيضا في بروز مشكلة أخرى وهي مشكلة الأقليات العرقية والثقافية.

مما يجعلنا نخلص إلى القول في ظل العولمة سوف تجد الدولة التي تتكون من مجموعات ثقافية مختلفة صعوبة المحافظة على اندماجها الثقافي مما يشكل تهديدا لسيادتها.

أما التحديات الأخرى التي تتعرض لها سيادة الدولة الثقافية في ظل العولمة، هو مدى قدرة الدولة القومية في أن تجعل من ثقافتها ثقافة قادرة على التأثير بالآخرين وفي الوقت نفسه قادرة على المحافظة على خصوصيتها الثقافية. أي كيف تستطيع الدولة المحافظة على ثقافتها دون الإنغلاق على الذات وفي الوقت نفسه تستطيع أن تجد لها مكانا بين الثقافات الأخرى. لأن الثقافة التي تبقى تأخذ ولا تعطي ستظل الثقافة الأضعف، الثقافة المتلقية التي يسهل السيطرة عليها،<sup>1</sup> مما يؤدي على إختراق السيادة الثقافية للدولة القومية، وخاصة إذا ما عرفنا بأن أدوات العولمة في المجال الثقافي هي أكثر فاعلية وتأثيرا، فهي أي العولمة تدفع بالثقافات إلى ترابط عن طريق إزالة الحواجز أمام إنسياب الشعوب والثقافات والسلع الثقافية. فاليوم وبفضل التطور التقني أصبح هنالك إمتزاج بين الثقافة والتقنية هذا الإمتزاج أو التجاوز قد جعل من الثقافة لأول مرة سلعة ثقافية يمكن تبادلها. هذه الثقافة سميت بالثقافة ما بعد المكتوبة لأننا ننقل من ثقافة شفوية إلى سمعية بصرية دون المرور بالثقافة المكتوبة. وهذه الثقافة هي الثقافة الصورية فالصورة اليوم هي المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم. إنها المادة الثقافية الأساس التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري، وهي تلعب في إطار العولمة الثقافية الدور نفسه الذي لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية التي سلفت. مما جعل منها أي الصورة خطابا ناجزا مكتملا يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبله، أي هي تستكفي بذاتها وتستغني عن الحاجة لغيرها وهذا في أساس شعبيتها وتداولها الجماهيري الواسع، بل هذا في أساس خطورتها في الوقت نفسه، كما أصبحت الصورة قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي، تماما كما تستطيع العولمة الإقتصادية اليوم تحطيم الحاجز الوطني الجمركي لكي تصل إلى أي انسان في عقر داره. فقبل سنوات كان توزيع هذه المادة الثقافية (أي الصورة) مقصورا على المجال الوطني لبلد الإصدار وكان توسع مجال التوزيع وفقا على إبرام عقود، أي شراء منتجات إعلامية من سوق المنتجات السمعية البصرية.

<sup>1</sup> ليلي شرف، "التحديات التي تواجه الاعلام العربي في المرحلة المتقدمة"، مجلة الرسالة، دمشق، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد 2، ديسمبر 1997، ص 9.



أما اليوم فقد بات في الإمكان أن يصل بث الصورة إلى مجال جغرافي أبعد يقع خارج حدود بلد الإصدار أو الإنتاج، ولم يكن هذا ممكناً إلا بسبب ما جرى إحرازه من نجاحات هائلة على صعيد التوظيف التقني في الإعلام السمعي البصري، حيث صار في وسع البث عبر الأقمار الصناعية أن ينقل المادة الثقافية الجديدة (أي الصورة) إلى كل الأصقاع بيسر بالغ. وأن ينتقل بالوطنية والقومية إلى حال من العالمية تضيع فيها الحدود بين جغرافية ثقافة وأمة ما والجغرافية الكونية. في أي حال أصبح النظام الثقافي اليوم والمتمثل في عشرات المؤسسات الإعلامية الضارب التي تزخ زخا ملايين الصور يوميا، فيستقبلها مئات الملايين من المتلقين في سائر أنحاء العالم ويستهلكونها بوصفها مادة إستعمالية ذات عائدات تكوينية أو جمالية..... الخ. على أنه إذا كان ممكناً أن تقرأ في لوحة هذا النظام الثقافي الجديد ما يفيد أنه نظام توزيع الصور بوصفها المادة الثقافية المعاصرة على أوسع نطاق عالمي، فمن الممكن أن تقرأ فيه ما يفيد أنه ليس مجرد تقنية للمتلقين فحسب بل هو كيفية جديدة لوعي العالم والتعبير عنه. وللدقة نقول أن هذا النظام الثقافي الجديد ليس مجرد وسيلة بل هو بل هو أكثر من ذلك طريقة معينة لإدراك العالم والتعبير عنه. لذا هل تستطيع الدول أن تجعل من ثقافتها ثقافة تلائم هذا النظام الثقافي الجديد الذي عبرت عنه العولمة بحيث تستطيع أن تجد لها مكانا بين الثقافات الأخرى. فلا تتغلق على ذاتها فيصيبها الجمود ولا تنوب في الثقافات الأخرى فتفقد خصوصيتها.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: تحدي المحافظة على التنوع الثقافي

مثمنا أثار مستقبل السيادة الثقافية للدولة القومية في ضوء العولمة إهتمام المفكرين والكتاب فإن موضوع التنوع الثقافي كان موضع إهتمامهم. وخاصة إذا ما عرفنا أن التحديات المصيرية التي أصبحت تشغل الإنسان المعاصر تهم ركيزتين أساسيتين لإستمرار الحياة هما: التنوع البيولوجي والتعدد الثقافي، فالتجانس الثقافي هو بمثابة إبادة ثقافية وانقراض للإنسان ثقافيا الأمر الذي لا يقل خطورة عن إختلال التوازنات البيئية والبيولوجية في العالم. لذلك فإن التعددية الثقافية تعتبر ثروة كبيرة يجب على الإنسان الحفاظ عليها، وتعدد الحضارات هو أفضل ضمانة لقدرة الإنسان على إبداء أجوبة مناسبة للتحديات المختلفة.<sup>2</sup> لذا نجد بطرس غالي أمين عام المنظمة الفرنكوفونية يقول: "هدفنا الدفاع عن التعددية الثقافية

<sup>1</sup> حسين العودات، "السياسات الإعلامية العربية: الواقع والأفاق"، مجلة الرسالة، دمشق، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد 5، 1997، ص 19.

<sup>2</sup> محمد سعيد، "إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق والغرب"، مجلة المستقبل العربي، العدد 223، 1998، ص 57.

والتعددية اللغوية، فلو سيطرت لغة واحدة على المجتمع الدولي فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف اللغات الأخرى. وهذا خطأ كبير وخطير ... فاللغات هي في رأيي بمثابة التراث الإنساني ... وثناء المجتمع الدولي قائم على تلك التعددية. وكما أن هناك منظمات دولية أنشئت للدفاع عن البيئة وعن بعض النباتات وعن بعض الحيوانات، ويجب أيضا الدفاع عن الحضارات و عن الثقافة، عن التعددية الثقافية والتعددية الحضارية".<sup>1</sup>

ومن خلال كل ما تقدم تبين لنا أن المحافظة على التنوع يمثل ضرورة من ضرورات الحياة يجب على المجتمع الإنساني أن يعمل من أجل المحافظة عليه في كل زمان ومكان، واليوم في زماننا هذا نجدنا أكثر بروزها خاصة في ظل العولمة. حيث نجد أن الإنتاج الثقافي وإحتكار الرموز والقيم هما أبرز ما يطبع النظام العالمي الراهن على مستوى إنتاج وتوزيع الثقافة. ولقد إنتقل النظام الرأسمالي في هذه المرحلة من طور تعميم القيم الإقتصادية الليبرالية إلى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي، بوصفه (أي التعميم) آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنة النظام الرأسمالي جيدا من الثورة الإعلامية المعاصرة ووظيفها أمثل توظيف في سبيل تحقيق ذلك التعميم أو العولمة للقيم الثقافية الغربية. فالمؤسسات الإعلامية الضارية تكفلت بتحطيم الحدود القومية والحواجز والسياسات الثقافية الحمائية، لكي تكتسح المجال العالمي بالصوت والصورة وتوحد الرموز والأذواق والمعايير والقيم. مما قد يؤدي ذلك شيئا فشيئا الى القضاء على التنوع الحضاري والتعددية الثقافية التي تثري الحضارة الإنسانية وستكون له آثار في قولبة الفكر الإجتماعي والإقتصادي والسياسي للشعوب، وما يعزز من ذلك كون عالمنا اليوم عالم القطب الواحد سياسيا وإقتصاديا وعسكريا والذي لا يقل سيطرة في تقنيات الإتصال المنظورة وفي مجال إنتاج المادة الإعلامية ومالها من جاذبية وما فيها من إغراءات. فإذا نحن أمام حضارة قوية طاغية تتركب فوق حضارة قديمة صلبة وعميقة الجذور ولكنها غير مستعدة لتلقي الصدمة الجديدة بعد، هذه الصدمة التي أخذت تشكلها العولمة، حيث أثمرت عملية الإجتياح الثقافي الهائلة للمجالات الوطنية على الصعيد العالمي نتائج متعددة على صعيد العلاقة بين الثقافات، بل على صعيد العلاقة بين الكيان الوطني والثقافة الأهلية، من تلك النتائج تأليف ثقافة ذات بعد واحد ومن نمط إستلابي مما شكل خطرا على الثقافات الأخرى وبالتالي تهديدا للتنوع الثقافي المهم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>سوسن حسين "هدف الفرنكوفونية الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 133، 1998، ص 154.  
<sup>2</sup>عبد الإله بلقزيز، "الثقافة العربية أمام تحدي البقاء"، مجلة شؤون عربية، العدد 79، 1994، ص 86.

وعلى أساس هذا دار جدل كبير بين المفكرين حول طبيعة التحدي الذي تشكله العولمة في ما يخص التنوع الثقافي، فأستاذ الإقتصاد ليستر ثرو (Lester thurow) يرى من الوجة الاقتصادية أن ثمة عالمية شاملة تنزع نفسها على العالم ، ولكن إلى جانبها أنماط أخرى رأسمالية، ويرى بوجهة أشمل أن العولمة ليست مجرد سيطرة أمريكية على العالم.

وفي ميدان الثقافة يرى أيضا أن الذي يفرض نفسه على العالم هو من الثقافة العالمية وليس الثقافة الأمريكية.

أما صموئيل هنتغتون فيذهب إلى القول أيضا بأن الثقافة الغربية لا يمكن أن تكون ثقافة عالمية تعمل على إلغاء التنوع الثقافي، أي أن الثقافة الغربية لا تكون الثقافة العالمية وإنما سوف توجد إلى جانبها مجموعة من الثقافات المتنوعة التي أخذت تشكل خطرا على الثقافات الغربية.

في حين ذهب توفلر هو الآخر إلى القول بأن العولمة سوف لن تؤدي إلى تحقيق تجانس ثقافي متخذ من الفشل الذي أصيبت به نظرية الرواج الدولي دليل له فهذه النظرية الذي ساهم في تقديم الأساس المنطقي لها أستاذ من أساتذة التسويق هو ثيودور ليفت من جامعة هارفارد الذي بشر بأن إحتياجات العالم ورغباته قد تجانست بشكل نهائي.

وعليه فإن جميع هذه الآراء حول مستقبل التنوع الثقافي تحمل الكثير من الصواب، فلا يستطيع أحد القول بأن التجانس التام بين الثقافات سوف يحصل. فالشعوب تبقى لثقافتها الأصلية تأثير في سلوكها حتى وإن تبنت ثقافات أخرى ولكن التحدي الذي تشكله العولمة على التنوع الثقافي اليوم هو تمكين بعض الثقافات الأكثر قوة بأن تكون هي السائدة و الفاعلة والمؤثرة، في حين تنزوي ثقافات الأخرى الجامدة و الغير فاعلة مما يؤدي ذلك مع تقدم الزمن إلى اندثارها، مما يشكل ذلك خطر على التنوع الثقافي.<sup>1</sup>

فاليوم لا يستطيع أحد أن ينكر التأثير العالمي للثقافة الغربية على العالم وإن كان هذا التأثير سطحيا، كما يشير إلى هذا بعض الكتاب، متمثلا بالألبسة و الأنماط الإستهلاكية، لكنه تأثير يحمل معه أيضا تأثيرا على الفكر والثقافة بصورة عامة. حيث يوجد الآن على سبيل المثال عدة آلاف من اللغات يتوقع أن يختفي 90% منها خلال القرن الحالي بحيث لا يبقى سوى ما يتراوح بين 250 و 600 لغة، ويترتب على هذا أيضا سيادة اللغة الإنجليزية كلغة عالمية، مما يشكل ذلك تهديدا للتنوع اللغوي الذي هو جزء من

<sup>1</sup> باسم خريسان، العولمة والتحدي الثقافي، بيروت، دار الفكر العربي، 2001، صص 142-145.

التنوع الثقافي. وإن خطر العولمة لا يقتصر على ذلك وإنما أيضا في زمن العولمة وثقافة الوسائط الإعلامية الكونية يمكن أن تضيع ذات الإنسان كم تضيع أيضا هويته وثقافته بحكم:

أ - إلغاء الإختلاف الثقافي والحضاري.

ب- إلغاء تعدد الإختلاف الإنساني وحصر الخناق عليها.

ج - تماثل البشرية وانتفاء الإختلاف بينها وفق ما هو مخطط له في إستراتيجية الهيمنة.

فمع إحتمال تعميم العولمة، فإن الخطر مشترك متماثل بالنسبة لمتماثل بالنسبة إلى مجتمعات الديمقراطية الغربية. وأيضاً مجتمعات الجنوب هو خطر تماثل الفكر وتراجع أداء هياكل المجتمع المدني قياساً بدولة السوق ودكتاتورية النفع. ولعل ذلك ما يعني إختلال في هياكل كثيرة من هياكل المجتمع، إمكانية إستقلالية السوق حتى عن المجال السياسي بحكم علوية الإقتصاد فالنتيجة المحتملة هي تماثل الأذواق وتشابه الاستهلاك وتراجع الإختلاف الخلاق وهو عنصر من عناصر توازن الكون.

ولا غرابة في ذلك طالما العولمة تتوفر على إمكانيات تقنية وإعلامية كبيرة جداً، تساعد على تحقيق ذلك التماثل الثقافي الذي لا يقل خطورة على التماثل البيولوجي.<sup>1</sup> وبهذا نرى أن ثقافة دول الجنوب ليست الوحيدة التي تتعرض لهذه المعضلة، فالثقافات الأخرى تعاني من الوضع نفسه، وهذا يعني أن ثمة أزمة ثقافية عالمية تريد القضاء على التنوع الثقافي في سبيل نمطية ثقافة واحدة. وما يدل على ذلك ما تطرحه الأدبيات الغربية نفسها وخاصة الأوروبية منها بشأن خطر التهميش الثقافي في ظل العولمة وما يستتبع ذلك من تهديد للتنوع الثقافي. لذا نقرأ لإدوارد غاليتو في صحيفة إلموند ديبلوماتيك في جانفي 1996، تحت عنوان (العولمة) يقول: "في العولمة، تحل الأسواق محل الشعوب والمستهلكين محل المواطنين، والمشروعات الصناعية محل الأمم، والتجمعات محل المدن، والمزاحمة التجارية محل العلاقات الإنسانية، ثم أن العولمة تصميم قصري لنموذج معادي للتعددية والتنوع الثقافي، ويلغي التمايز والشخصية الثقافية، ويروج عن طريق وسائل الإعلام لقيادة قوانين السوق وقيم المجتمع الليبرالي الرأسمالي ولفرض ديكتاتورية الكلام الوحيد والصورة الوحيدة والنمط الواحد من الحياة ويحول الإنسان إلى مجرد مستهلك مستسلم ومشاهد متلقي، يتم تصنيعه وترويضه جماعياً". كما نقرأ أيضاً لإدكار بيزاتي قوله: "لنقف معاً ضد العولمة، لأنها تتجاهل العلاقة بين الدولة والأمة والأرض والوطن واللغة والثقافة ...." ويقول أيضاً إذا قيل

<sup>1</sup> محمد نوفل، "رؤى المستقبل-المجتمع والتعليم في القرن الحادي والعشرين"، المجلة العربية للتربية، تونس، العدد الأول، 1997، ص 204.

للفرنسيين إن بناء أوروبا ينبغي إلى زوال الأمة الفرنسية فإنهم لن يقبلوا لأنهم يتطلعون إلى مستقبل يتحقق فيه التوازن والتكامل، بين ما هو سياسي وما هو ثقافي ومحصن ضد العولمة التي تخلق وحدة زائفة تتجاهل التعددية والتنوع....<sup>1</sup> هذه مجموعة من الآراء تعكس الخشية الأوروبية على هويتها الثقافية من جانب وعلى التنوع الثقافي من جانب آخر. لذا بدأ التفكير العلمي في مسألة الهويات وضرورة الحفاظ على تعددها من الداخل وعلى صلاتها الخارجية في وجه الغزو الثقافي والإعلامي، بدليل قرار الحكومة الفرنسية بعدم تحويل الندوات المستعملة كليا أو جزئيا باللغة الانجليزية ونسوق مثلا بهذا الصدد، حيث عقدت في صيف 1995 ندوة علمية مهمة في إيطاليا حول تعددية الهويات الثقافية في أوروبا ودعت إلى الإبقاء على التعدد الأوربي أولا، والإبقاء على الهوية المتماسكة ثانيا، وذلك إدراكا لما يشاكلة التنوع من أهمية لأوروبا أولا وللمجتمع الدولي ثانيا. وهنا نود الإشارة إلى أن رفض التجانس والتماثل الثقافي لم يقتصر على أوروبا فهذه اليابان والتي تحسب على الجبهة الغربية لها رأي بشأن المحافظة على الخصوصية الثقافية والتنوع الثقافي في ظل الحكومة حيث نجدها قد دعت أن العولمة لا يجب أن تفرض نمودجا عالميا أو أحكاما متماثلة كالأحكام التي تحكم الحركة العالمية للمال والإقتصاد والتي إنتشرت من الولايات المتحدة و أوروبا الشرقية وأجزاء من إفريقيا والتي حتما سوف تنتشر إلى كل أجزاء العالم. لهذا فالعالم سوف لا يصبح متجانسا إقتصاديا أو ثقافيا، فاليابان لذا تتمسك بخصوصيتها أو بهويتها وقيمها الثقافية وتسير يدا بيد مع العولمة. دون أن تسمح للآخرين بأن يجعلوا من العولمة وسيلتهم لنشر نمطهم الثقافي في الحياة على الآخرين فيقضوا على التنوع الثقافي بالتالي. وبما عزز اليوم من ذلك الخطر محاولة الولايات المتحدة الأمريكية إستغلال تفوقها في مختلف مجالات الحياة وجعل العولمة وسيلة لأمركة العالم حيث لا تعني العولمة لديها فقط إقتصاد السوق وآلية الإنتاج اللبرالي والمضاربات المالي وإنما أيضا:

- الهيمنة على الثقافات الأخرى والغائها .
- إذابة الثقافات الصغرى وإلغاء الخصوصيات والهويات .
- خلق عالم اللاتقافات.<sup>2</sup>

إن هذه المواقف تعبر عن مدى إدراك الخطورة التي سوف تلحق بالشعوب إذا ما فقدت هويتها الثقافية ومدى تأثير ذلك على التنوع الثقافي المهم. لهذا يأسف أحد الكتاب قائلا: " سيكون خسارة كبيرة لنا نحن

<sup>1</sup> إلياس فرح، "الهوية والخصوصية والعولمة"، مجلة آفاق عربية، العدد 8، 1998، ص 28.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 30.

الغربيين أن تختفي الثقافات الأخرى أو تتعدل لدرجة لا تستطيع معها أن تطرح في مواجهة إختياراتنا عن العلم وعن البشر مجالاً للإجابات، مستقلة وقادرة على أن تجعل بحضورها تصوراتنا الثقافية أموراً محلية وخاصة بنا. " إذا كانت عملية التنوع الثقافي مهمة ليس فقط كهوية للشعوب الفقيرة وإنما ثروة للشعوب الفقيرة والمتطورة، يجب على البشرية المحافظة عليها.

إذن هي دعوة الى التفاعل الثقافي القائم على أساس الإحترام والمحافظة على التنوع الثقافي، وفي كل زمان ومكان. واليوم في زمننا هذا في ضوء العولمة أيضاً يجب على الجميع العمل من أجل الحيلولة دون محاولة ثقافة معينة إلى إدعاء العالمية وفرض نفسها بالقوة على الآخرين، مستغلة كسل الثقافات الأخرى على الإستفادة من الفرص التي توفرها لها العولمة من أجل تجديد ثقافتها وبالشكل الذي يجعل منها ثقافة حية وفعالة تغني الآخرين، وإذن تحدي المحافظة على التنوع الثقافي مسؤولية تواجهها جميع الشعوب والدول في ضوء العولمة الحالية، تتطلب العمل من الجميع ولمصلحة الجميع. أي إذا كانت العولمة أمراً واقعا أو واقعا أمراً، خاصة إذا إتخذنا خطاباً حتموياً، فلتكن العولمة عندئذ مناسبة كبرى لأن تظهر الشعوب تمايزاتها الثقافية، وأن تبرز خصوصيتها الحضارية و إبداعها الدفينة، حتى لا تكون العولمة هيمنة ثقافية وإختراقاً للثقافات الأخرى وإفقار لها. فيمكن أن تكون العولمة مناسبة لإبراز الموارد الذاتية في مختلف مجالات الحياة والثقافة.<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: تحدي التقارب بين الثقافات في ظل العولمة

يرى البعض أن العولمة تعبر عن الترابط بين مجموع التنوعات الثقافية. ومما عزز من هذا الترابط، التطور التقني في مجال الإتصال والمعلومات الذي ساعد علي تقارب الثقافات بعضها مع البعض الآخر مما زاد في التفاعل بينها. هذه التفاعلات المتزايدة عمقت الوعي الحضاري والإحساس بالفروق بين الصفات ضمن الحضارات، أي أصبحت كل ثقافة تدرك بأن لها خصوصية تميزها عن غيرها من الثقافات و الحضارات الأخرى.

هذا الوضع أثار جدلاً فكرياً حول الطبيعة التي سوف تكون عليها العلاقات بين الثقافات و الحضارات المتقاربة في ضوء العولمة. هل العولمة سوف تساعد على تعارف الثقافات بعضها على بعض الآخر مما

<sup>1</sup> المنصف وناس "مضامين العولمة الإتصالية والثقافية"، مجلة الإذاعات العربية، إتحادات الدول العربية، العدد 2، 1998، ص 13.

يساعدها على الدخول في علاقات تعاون و حوار. أما العكس سوف يؤدي التقارب المتزايد بين الثقافات إلى دخولها في صراع يهدد السلام و الإستقرار في الحضارات. إذا هو تحدي جديد تطرحه العولمة على الشعوب و الحضارات في المستقبل. أما التحدي الثاني الناتج عن إزدياد التقارب المكاني بين الحضارات و الثقافات يتمثل في مدى قدرة سكان هذه الحضارات على التعامل مع التعددية الثقافية و الحضارية التي توفرها العولمة. فبالنسبة لهذا التحدي الأخير تحاول بعض البلدان الآسيوية مثل تايلاند الإجابة على هذه التساؤلات بتوجيه بمنهج جديد في التربية، وفي هذا الشأن قالت اللجنة التيلاندية لإصلاح التعليم في عام 1996: ترتبط بحركة العولمة صورة (المواطن العالمي) مما يقتضي الأخذ بأساليب جديدة للتربية.<sup>1</sup>

و كما يؤكد تقرير اليونيسكو حول ثقافة القرن الحادي والعشرين، فإن التربية الأولية يجب ان تساعد الأطفال و الراشدين على تفهم أفضل لتقافتهم الخاصة، الماضي منها و الحاضر في نطاق مجتمعي أوسع، مجتمع أممي يعتبر فيه إنفتاح الثقافات الخاصة بعضها على بعض، و حوارها بينها فيما بينها، هما الوسيلة الوحيدة لإزدهار أين منها وإيجابية تعاملها مع غيرها من الثقافات.

إذا هو تحدي يواجه الشعوب كأفراد في القدرة على التعامل مع تعددية الثقافية في ضوء العولمة.<sup>2</sup>

أما عن أبرز الأفكار المطروحة حول طبيعة العلاقات التي سوف تكون بين الثقافات في ضوء العولمة .

فإننا نجدها تنقسم بين من يطرح مشهد صراع و منه من يطرح مشهد الحوار. فالغرب وجد أن العولمة سوف تجعله في مواجهة العديد من الثقافات الراضة لقيامه كقيم يسعى الغرب إلى جعلها قيم عالمية، يجب على الآخرين الأخذ بها. مما يدفع ذلك إلى حدوث صدام بين الثقافات، فهذا روني جان دي بوي يقول: " إن هذا التقارب بين الشعوب قد يحملنا على الإعتقاد بأنه سيؤدي إلى تفعيل التعاون و السلم وهما يجعلنا نفكر في "اليوطوبيا" أو المدينة الفاضلة التي نادى بها المفكرون في السابق، و أخذت في عصرنا هذا مصطلح "القرية الكوكبية"، لكن واقع الحال يجعلنا ننفي عن العولمة دور الداعية إلى السلام. أصبح مفهوم الجوار مسألة نسبية بل إنه أضحي يبعدنا عن جيراننا لأنه يبرزهم باختلافاتهم".

فالكاتب هنا و إن كان لا يدعو صراحة إلى الصراع بين الحضارات و لكنه يقدم لنا رؤية متشائمة يرى بها أن العولمة سوف لا تشهد السلام بقدر ما سوف تشهده من الصراع طالما سوف تجعل الثقافات

<sup>1</sup> باسم خريسان، مرجع سابق، ص153-154.

<sup>2</sup> محمد جواد رضا، "العرب في القرن الحادي والعشرين، تربية ماضوية وتحديات غير قابلة للتنبؤ" مجلة المستقبل العربي، العدد 230، 1998، ص73.

بعضها في وجه البعض الآخر، فتعزز من إدراك كل ثقافة بما يميزها عن الثقافة الأخرى فينشأ عن ذلك الإختلاف الثقافي بينها ومن ثمة الصراع الحضاري.

أما بيرنار لويس يشير في مقال له في ( مجلة أطلانتيك ريفيو الشهرية تحت عنوان جذور السعار الإسلامي جاء فيه ما يلي:

" نحن نواجه عصر تبدلت فيه أساليب بحيث صعدت فوق مستوى القضايا و المعضلات، فوق و مستوى الحكومات التي تطرحها و تجاوزاتها، إننا إزاء ما يصل إلى مستوى الصدام بين الحضارات"

وفي هذا السياق ذلك يذهب أيضا باري بوزان الكاتب الصحفي المرموق و أستاذ الدراسات الدورية بجامعة وورويك البريطانية في مقالته بعنوان " السياسة الواقعية في العالم الجديد: أنماط جديدة للأمن العالمي في القرن الواحد و العشرين". حيث يولي الكاتب أهمية بالغة لما يسميه ( بالأمن الإجتماعي في مجال علاقة المركز و الأطراف) فيقول: " الأرجح أن يصبح الأمن الإجتماعي مسألة أكثر أهمية عما كان عليه الحال زمن الحرب الباردة... " و يتعلق الأمر بالأخطاء و نقاط الضعف التي تؤثر في أنماط المجتمعات وثقافتها و يعتبر الكاتب الهجرة و ما يسميه بتصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة أهم قضيتين في هذا المجال.

وهكذا فالهجرة من الجنوب إلى الشمال وبكيفية خاصة من الجنوب البحر الأبيض إلى شماله تشكل خطرا على أمن دول المركز إذ تهدد هويتها الحضارية والثقافية، أما التصادم الحضاري هو في نظره أوضح ما يكون بين الغرب والاسلام. نظرا للتعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب وبين القيم الإسلامية، ونظرا كذلك للتناقض التاريخي بين المسيحية والإسلام وغيره المسلمين من قوة الغرب إضافة إلى الجوار الجغرافي. وهكذا يقول الكاتب: "فاذا إجتمع خطر الهجرة وخطر التصادم الثقافات أصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الإجتماعية بين المركز وجزء من الأطراف على الأقل ولا سيما بين الغرب والإسلام" ثم يضيف قائلاً: "كما أن تصادم الهويات الحضارية لا يقل قوة على الجانب الآخر من الإسلام حيث يتجاوز الغرب مع الحضارة الهندية مثلما يتجاوز مع الإسلام" وهكذا فالهجرة الباردة الحضارية المقبلة ستكون بين الطرفين الغرب من جهة والحضارة الإسلامية والهندية من جهة أخرى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> باسم خريسان، مرجع سابق ص155-156.



وذلك ما ذهب إليه أيضا إليه صموئيل هنتغتون مع تعديل واحد هو وضع الحضارة الكونفوشيوسية مكان الحضارة الهندية ويقول صموئيل هنتغتون في هذا الشأن: "تفيد فرضيتنا أن المصدر الجوهري للصراعات في هذا العالم الجديد لن يكون بدرجة الأولى إيدلوجيا أو إقتصادية فالإنقسامات الكبيرة بين الجنس البشري والمصدر المهيمن للصراعات سيكون ثقافيا وستبقى الدولة القومية صاحبة أقوى دور في الشؤون العالمية.

وسيهيمن صدام الحضارات على السياسات الكونية وستكون خطوط الصدع بين الحضارات هي خطوط معارك المستقبل". وسيكون النزاع بين الحضارات أحدث في تطور النزاعات في العالم الحديث. حيث يرى أن الصراعات أول ما بدأت منذ معاهدة واستقليا عام 1648 كانت بين الملوك والأباطرة وفي عام 1793 انتهت هذه الحروب وبدأت الحروب بين الشعوب. هذا النمط من الحروب ساد من القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى حيث برزت صراعات الإيديولوجية أولا بين الشيوعية والفاشية. وكذلك بين النازية والديمقراطيات الغربية، ثم بين الشيوعية والديمقراطيات الغربية، هذه الحروب جميعها يرى فيها هنتغتون بأنها حروب وصراعات أهلية، حدثت داخل الحضارات الغربية مع انتهاء الحرب الباردة انتقلت السياسة العالمية من طورها الغربي ليصبح محورها الأساسي التفاعل بين الحضارات الغربية والحضارات غير الغربية. وبالتالي انتقلت الصراعات بين داخل الحضارة الغربية إلى صراعات بين الحضارات العالمية. ويذهب هنتغتون لتوضيح أكثر لهذه الفكرة حيث نجده يقول: "أن السياسة الكونية يعاد تشكيلها الآن على إمتداد الخطط الثقافية، مدفوعة بالتحديث. الشعوب ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، الشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة. الإنجازات التي تعتمد على الإيديولوجية والعلاقات مع القوي الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة. الحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية: العرقية والدينية والحضارية. المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة العالمية".

نفهم مما تقدم أعلاه أن هنتغتون يرى العولمة ليست المتأقفة التي تعني التبادل والتفاعل والحوار والإثراء وإنما تعني العولمة الصراع الحضاري والثقافي بين الثقافات والذي سوف يشكل إحدى الأسس الرئيسية التي تحكم السياسة العالمية في القرن القادم. أي أن هنتغتون يرى بعد انتهاء الحرب الباردة وانتهاء المجابهة بين الحلفين التي شكلت جزءا كبيرا من القرن العشرين فإن العولمة سوف تعمل على ظهور

صراع جديد بين الثقافات الأساسية الموجودة، وخاصة بين الحضارة الغربية والحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية.<sup>1</sup>

#### المطلب الرابع: الإستجابة للتحديات الثقافية للعولمة

إذا كانت العولمة تطرح اليوم مجموعة من التحديات فلا بد أن تكون هنالك إستجابة، وهذه الإستجابة يجب أن تكون فاعلة بحيث تساهم في تفعيل حركة الحياة عموما والثقافة خصوصا.

فالدول والشعوب عن طريق زيادة اهتمامهم بالثقافة والثقافات سوف يساهم ذلك في عملية إغناء الثقافة والمحافظة من ثمة على التنوع الثقافي المهم، ويساعد ذلك أيضا على تعرف الثقافات بعضها البعض الآخر بالشكل الذي يساهم في تعزيز التعاون والحوار بينهما على حساب الصراع.

لذا يتطلب أن تكون الإستجابة على مستويين، مستوى الدولة القومية ككيان مستقل تحاول الحفاظ على إستقلالها وسيادتها الثقافية من الإختراق الخارجي، والمستوى العالمي والمتمثل بالدول والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية ودورها في مجابهة تلك التحديات ذات النطاق العالمي.

#### أ - الإستجابة على مستوى الدولة القومية:

تشكل العولمة كما ذكرنا تحديا للسيادة الثقافية كما للدول مما يستتبع تأثيرا على خصوصيتها الثقافية، لدى فعلى الدول القومية التي ترغب أن يبقى لها تأثير على ثقافتها وبالتالي المحافظة على سيادتها الثقافية أن تدرك أن ثمة جديد جاءت به العولمة فشكل لها تحديا مما يفرض عليها العمل لمواجهتها بصورة إيجابية والإستفادة من أبرز تلك الإيجابيات التي توفرها العولمة في المجال الثقافي بالشكل الذي يدعم ثقافتها. لهذا فإن التحدي الحقيقي للدول القومية ليس إقامة سد ترابي أمام فيضان الكونية ولكنه يكمن في عملية إحياء ثقافي ضروري، تكون قائمة على أسس عقلانية وليس على أساس من ردود الأفعال التي لا تحقق الأهداف وتدفع بالدول بالتالي إما إلى الإنغلاق الثقافي والذي أصبح من الصعب اليوم تحقيقه في ظل العولمة، أو الإندماج غير المدروس في إطار العولمة، وكلا الطريقتين لا يوصلان إلى تحقيق الهدف. وعلى الدول القومية أيضا أن تدرك أن العالم اليوم غير سابقه والسيادة

<sup>1</sup> صموئيل هنتغتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، مصر 1998، ص ص203-204.

كمفهوم أخذ بالتبدل فهو اليوم في المجال الثقافي غير قائم على تحكم الدولة القومية بثقافتها وإنما قائم على أساس قدرتها على جعل ثقافتها، ثقافة حية وفاعلة تستطيع أن تجد لها مكانا في وسط تلك الثقافات الفاعلة والمؤثرة في ظل العولمة. أي أن تبقى ثقافة البلد تمتلك القدرة على التجدد والإستفادة من الثقافات الأخرى وخاصة المتقدمة منها بالشكل الذي يدعم وجودها ويجعل منها ثقافة فاعلة، وذلك لأن الثقافة أي ثقافة لكي تنمو لا بد لها من المقدرة على صيانة ذاتها وتجديدها مثل الجسد سواء بسواء. ومفهوم الصيانة والتجديد مفهومان متداخلان. فالصيانة لاتتم إلا بإهلاك الخلايا الميتة وإسبعادها وإستبدالها في ذات الآن بخلايا جديدة ليستة مطابق بالضرورة لتلك الخلايا الميتة المستبعدة. ولكنها من ذات لحمتها وصداهها .

فالتجديد إذا ضروري في كل عملية نمو ولا تستطيع أية ثقافة فاقدة القدرة على تجديدي ذاتها من صيانة هذه الذات والحفاظ عليها ، فلا غرور إذا إن تداعت عليها الثقافات الأخرى لتفرض عليها أفكارها ومثلها وطرائقها في الحياة أن تعمل جاهدة من أجل تحديد ثقافتها وجعلها أكثر فعالية في ضوء العولمة التي أصبحت خلالها المنافسة بين النماذج الثقافية على مستوى القيم والإنتاج والتنظيم قوية قوة المنافسة الدائرة بين النماذج الإقتصادية المختلفة.<sup>1</sup>

كما لا بد للثقافات القومية أي دول الجنوب من الدفاع عن نفسها بوجه توسيع ثقافة غربية قائمة من خلال الشركات المتعددة الجنسيات على تعميم مواضيع ومنتجات الإستهلاك والتسلية، أن تنمي في داخلها قيم الحرية والإنتفاع والحوار والعدالة. ذلك أن هذه القيم هي التي تجعل ثقافة أكثر جاذبية من غيرها وبالمقابل فإن تطور هذه الثقافات في هذه الدول في إتجاه نخبوي وقمعي ينزع عنها الوظيفة الأساسية لأية ثقافة حية، وظيفه الإتصال والتضامن الإجتماعي والمساواة والتحرير، وينجم تراجع الثقافات القومية الراهنة في البلدان النامية أمام الثقافة العالمية الكونية لوسائل الإعلام الدولية عن حقيقة أن هذه الثقافات تقدم، بشكل يتناقص تدريجيا، مثل مقنعة الأجيال الجديدة. وهكذا فإنها تستبدل الليبرالية التي جعلتها الثقافة الغربية مثالية، بشتى أشكال المحرمات والرقابة، وتستبدل الديمقراطية، وإن كانت شكلية بالسيطرة الحصرية لحزب سياسي أو الأيدولوجيات، وبدل إحترام الفرد وحقوق الإنسان تعرض عبادة الشخصية والعقاب الجماعي للمواطنين وترد في غالب الأحيان على الفكر والعقلانية بالتميز الإجتماعي أو الأثني أو الإيديولوجي أو السياسي.

<sup>1</sup> أمين حسن عمر وآخرون، النمو الثقافي ومشاكله في العالم الإسلامي، المملكة المغربية، مطبعة أليت، 1998، ص 48-49.

من هنا تخطىء النخبة الحاكمة في عالم الجنوب عندما تعتبر الثقافة الحية بمثابة نتاج لتراكم المعارف والموضوعية والعلم .

والحال، فإن العلم بوصفه بناء إجتماعي لمواضيع وليس حقائق مطلقة وجرده، غالبا ما يولد إذا ما نقول إلى مجتمع غير الذي تصوره تأثيرا معاكسا ويصبح هو نفسه موضوعا قابلا لأن يبني - أو يهدم - تبعا لنموذج المجتمع الذي يستقبله عقل هذا المجتمع وشبكات تواصله. وأن في هذه المسألة مصدرا إضافيا للتبعية والإغتراب.

هذا هو النظام الثقافي المسيطر لدول الجنوب الذي يجب تغييره إذا أرادت هذه الدول على أن تحافظ على خصوصيتها الثقافية.<sup>1</sup>

هذا من جهة ومن جهة أخرى على هذه الدول وغيرها أن تعمل جاهدة على الأخذ بأدوات التطور الثقافي وخاصة الثقافية منها والتي هي اليوم من نتاجات الثورة الصناعية الثالثة. حيث أسهمت هذه الثورة في إمكانية خلق تزاوج فعال بين التقانة والثقافة هذا التجاوز أمكننا ولأول مرة أن نجعل من الثقافة سلعة ذات جاذبية عالية أصبح من السهل قبولها من الآخرين دون رفض.

وهذا يعني أن الدول اليوم وخاصة في عالم الجنوب أمام حاجة ضاغطة إلى ولوج تجربة التوظيف الشامل للثقافة في ميدان الثقافة، وذلك بإستثمار الطاقة القسوة لمواردها العلمية والثقافي والبرية، والسعي إلى حيابة تقانة متطورة لتنمية قدرتها على الأداء.

وهذا إذا كان يحتاج في المقام الأول غلى إرادة سياسية، فهو لن يكون ممكنا إلا بترجمة الإرادة على مستويات ثلاثة هي: على مستوى البنى النظرية حيث الحاجة إلى وضع دراسات علمية حول صناعة الإعلام وصناعة الرأي العام و أوجه البرمجة و الإدارة للتوجيهات الثقافية العليا، وصولا إلى صياغة إستراتيجية إعلامية جديدة ثم على مستوى تحويل هذه الإستراتيجيات حيث الحاجة الى رفع معدل الإنفاق على ميدان الإعلام السمعي البصري، وتكثيف الإستثمار فيه لتحديث شبكاته وتحديد قدراته على الأداء، وأخيرا على مستوى بنيته التعليمية التحتية، حيث الحاجة إلى تكوين أطر كفؤة في هذا الميدان الأمر الذي تترتب عنه الحاجة الى بناء شبكة هائلة من المعاهد الخاصة بالإعلام السمعي البصري وتعهدها بالرعاية المادية والتحديث العلمي للبرامج.

<sup>1</sup> برهان غليون، الوعي الذاتي، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1992، ص115-116.

هذا كله سوف يساهم في تعزيز الناتج الثقافي للدول. فالدولة التي تهدف إلى مواجهة التحديات الثقافية للعولمة فعليها على أقل تقدير تقليل اعتمادها على الخارج عن طريق العمل من أجل تقديم منتج ثقافي يكون الأرقى والأجود. وإذاعة الأرقى والأجود لا يعني أن تكون البرامج أقل جاذبية أو أثقل ظلاً، كما أنه لا يعني أن تكون البرامج جيدة في إخراجها فقط، ولكن أن تكون جيدة في محتواها أيضاً ولن يكون المحتوى جذاباً خاصة في ما يتعلق بالمراجم الإخبارية والسياسية إلا إذا كان متحرراً من قيود الرقابة الغربية و خالصاً من شوائب الدعاية، فجمهور الغد لن يكون أسير المحلي وحده، و إنما سيتلقى المعلومات من مائة قناة وسيستطيع في النهاية أن يستخلص لنفسه الحقيقة من بينها جميعاً.

ولقد تنبتهت إيران إلى هذا الجانب منذ قيام عهدا الجمهوري فعلمت على الإهتمام بالإنتاج الثقافي وبخاصة التلفزيوني منه. بهدف تقدم ما تراه مناسباً لتوجهها العقدي و الفكري و تقليل الإعتدال على المنتج الثقافي المستورد، و اتخذت إجراءات إدارية داعمة لهذا التوجه فجعلت من التلفزيون مؤسسة مستقلة بذاتها غير تابعة إلى أية وزارة و دفعت بها نحو توسيع البث الخارجي، هذا الإهتمام جعل من هذه المؤسسة اليوم تملك أربعة قنوات تبث برامجها بالإضافة إلى سكان إيران والبالغ عددهم حوالي 78 مليون و إلى حوالي 30 مليون خارجي إيران. و بلغ إنتاجها المحلي من البرامج عام 1991 حوالي 80% من حاجاتها الثقافية.<sup>1</sup>

### ب- الإستجابة على المستوى العالمي:

أبرز تلك التحديات الثقافية للعولمة على المستوى العالمي، تتمثل في تهديد التنوع الثقافي العالمي من جهة، وزيادة التقارب المكاني بين الثقافات من جهة أخرى، وما قد ينتج عن ذلك من إحتمال بروز الصراع على حساب الحوار والتعاون بين الحضارات. وهذه التحديات التي تطرحها العولمة على الصعيد العالمي تتطلب إستجابة على المستوى نفسه، أي على المستوى العالمي، والتي لا تقتصر على الدول فقط، وإنما لابد من مساهمة المجتمع العالمي بكل مؤسساته الرسمية وغير الرسمية.

فبالنسبة لمسألة الحفاظ على التنوع الثقافي كثروة ثقافية مهمة، تتطلب الإستجابة أن تعمل الدول ذاتها أولاً على الحفاظ على ثقافتها و ذلك عن طريق إحياء ثقافتها و جعلها ثقافة تلائم العصر بحيث لا تزول أمام الثقافات الأكثر قوة، و أن عمل الدول هذا يساهم بصورة غير مباشرة في الحفاظ على التعددية الثقافية.

<sup>1</sup> عبد الإله بلقزيز وآخرون، إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، مرجع سابق، صص 23-24.

أما بالنسبة للدول التي تتكون من مجموعات ثقافية متعددة فعليها أن تعمل على الحفاظ على هذا التنوع الثقافي في داخلها. ففي المجتمعات لتعددية الثقافات في وقتنا الراهن، نجد أن التنوع إنما هو من حقائق الحياة اليومية التي تتطلب أن تعالج في المدارس بذكاء، و بقدر ما نعجل بالبداية بقدر ما نحصل على نتائج أفضل. و على سبيل المثال، فقد شرعت مدرسة ابتدائية في ضاحية فقيرة من ضواحي باريس - وقد أخذت في الحسبان أن عدد كبير من الأطفال هم من أبناء شمال إفريقيا - في تنظيم برنامج يسمح بتخصيص حصص للتدريس بكلا اللغتين الفرنسية و العربية و لقد جاءت النتائج مبشرة. فالأطفال الفرنسيون إستفادوا و إكتسبوا لغة أخرى، بينما حقق الأطفال المتحدثون باللغة العربية نتائج أفضل من ذي قبل، أما آباء الأطفال في كلا الطائفتين فهم لراضون عن النتائج.<sup>1</sup>

أما عن مساهمة المجتمع العالمي و خاصة المنظمات و المؤسسات العلمية ذات الطابع الرسمي و غير الرسمي في الحفاظ على الثقافي، فإننا نجد إلى جانب ( حركات الدفاع عن الطيور و الحيوانات المهددة بالإنقراض داخل المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا)، هناك بلا شك داخل هذه المجتمعات نفسها من يقلقهم أيضا، الخطر الذي يهدد ثقافات الأمم الأخرى بالإنقراض. لهذا تعمل هذه الحركات و المؤسسات جاهدة من أجل الحفاظ على التنوع الثقافي و الذي أصبح اليوم يتهدد كما يتهدد التنوع البيولوجي. هذا التنوع (أي الثقافي) هو ضرورة عالمية لأن نمو الفكر و القيم و المفاهيم الإنسانية المشتركة مرهون إلى حد كبير بإسهامات الثقافات القومية في إغناء الحضارة الإنسانية و تنوعها، و إحتضانها لمختلف العطاءات و الإبداعات.

ومن هنا فإن المؤتمرات الدولية التي عقدت حتى الآن بهدف الحفاظ على الثقافات القومية و التنوع الثقافي، و التفاعل بين الثقافات دونما طغيان إحداها على الأخرى، كانت ضرورية و مفيدة. ومن الخير مواصلة عقد مؤتمرات جديدة في هذا المجال تؤدي إلى وضع ميثاق دولي أو نظام ثقافي عالمي تلتزم به دول العالم و يضمن توثيق الحوار الثقافي بكل أبعاده و إشكاله بين الشعوب بحيث يغني الثقافة القومية دون أن يطمسها، و بحيث يستمر التوازن الثقافي العالمي قائما لا يتهدده ما نراه اليوم من محاولات الهيمنة التي تمارسها بعض الثقافات على حساب سائر الثقافات العالمية.

ومن بين هذه المؤتمرات التي عقدت و التي كان لها أهمية في التأكيد على الثقافة و التنوع الثقافي المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية التي عقدته اليونيسكو في المكسيك عام 1982 و الذي إعتبر الهوية

<sup>1</sup> خافيير دي كويلار، "التنوع الإنساني المبدع"، تقرير اللجنة المعنية بالثقافة العالمية والتنمية"، مركز مطبوعات اليونيسكو، 1996، ص 171.

الثقافية الخاصة بكل أمة أساس من أسس الحضارة المعاصرة، ودعى إلى إعتادها أساس إنطلاق و إلى تقويتها الدائمة. أما المؤتمر العالمي للتعليم العالي في القرن الحادي و العشرين و الذي عقدته اليونيسكو في باريس عام 1998 نجده قد أكد أن التعليم العالي مدعو اليوم إلى ضرورة الحفاظ على الذاتية الثقافية و تأكيدها، و تعزيز نشر القيم الثقافية، و صون التنوع الثقافي و تشجيعه، المشاركة على نحو فعال في تنمية التفاهم و التآلف بين الثقافات و الإثراء المتبادل بين الثقافات و ينبغي أن يكون نقل القيم الثقافية المستوحى من إعتبرات أخلاقية عنصرا مشتركا يتخلل جميع مناهج التعليم العالي.<sup>1</sup>

و على أساس يمكن طرح مجموعة من التوصيات التي يعد ضرورة العمل بها على المستوى العالمي من أجل الحفاظ على التنوع الثقافي في ظل العولمة لمواجهة تحديات التجانس الثقافي.

1. إعطاء الفرصة للثقافات المتنوعة للتعبير عن نفسها عبر القنوات الضخمة لوسائل الإعلام العالمية.

2. إحترام الخصوصية الثقافية و التنوع الثقافي و المحافظة عليهما كرصيد إثراء للحضارة الإنسانية الواحدة.

3. وضع حلول جذرية لتهديدات وسائل الإعلام العالمية للقيم التي إتفتت عليها الثقافات جميعا.

4. العمل على إقامة أنساق فكرية و عملية و تنظيمية على المستوى الدولي من أجل تجسيد العدالة و الحرية لكل ثقافات العالم بكفالة الحاجات الأساسية للحياة في ربوعه المختلفة.

5. تجنيد كل القوى الحية في العالم من أجل النضال ضد التهميش و الإستغلال الفردي و الجماعي في العالم.

6. العمل على خلق تجمع ثقافي دولي بعيدا عن المؤسسات الرسمية حتى تتوفر له ضمانات الحرية و الإفلات من الضغوط، يضم ممثلين من مناطق العالم المختلفة، يكون بمثابة برلمان دولي تتحصر مهمته في خلق مناخ ثقافي يقوم على التعددية الثقافية و قبول الآخر و التفكير معه للإسهام المشترك في تجسيد أخلاق كونية.<sup>2</sup>

أما الموضوع الآخر الذي أخذ اليوم يعتبر محطة إهتمام الدول و الشعوب و الثقافات المختلفة في الآونة الأخيرة موضوع التعاون و الصراع بين الثقافات و الذي أصبح أكثر بروزا بعد الحرب الباردة ممن ما

<sup>1</sup> باسم خريسان، مرجع سابق، صص 178-179.

<sup>2</sup> المرجع السابق، صص 185.

يتطلب الحاجة إلى وضع إستجابة فاعلة على الصعيد العالمي لمواجهة هذه التحديات التي تطرحها العولمة، خاصة و أن دعاوي عديدة اليوم في الغرب ترى أن المستقبل هو صراع و ليس حوار بين الثقافات، وهذا ما يستوجب وضع إستجابة عالمية فعالة تقوم على جعل الحوار بين الثقافات الوسيلة الأساسية لتحقيق ما يعرف بالحوار التعاوني بين الحضارات.

ومثال ذلك الجهود التي تقدمها منظمة التربية و الثقافة و العلوم ومنذ ظهورها عام 1945 أخذت على عاتقها مهمة القيام بدور الوسيط بين الحضارات و الثقافات المختلفة من أجل التقريب بينها و إزالة الإختلافات التي قد تدفع بها نحو الصراع لهذا نجدها قد قامت بجهود متعددة و متنوعة عى أكثر من إتجاهة بالذات في إتجاهين:

الأول: هو محاولة إعادة كتابة التاريخ للبشرية على نحو يسلم في ربط الثقافات المختلفة و إبراز التفاعلات و التأثيرات المتبادلة بينها بما يعمق الإيمان و الشعور بوحدة الإنسان المصير المشترك للبشر.

الثاني: الإسهام في التعريف بالثقافات و الحضارات المختلفة التي تراجع الإهتمام العالمي بها في العصر الحديث لظروف تاريخية بسبب السيطرة المعاصرة للحضارة الغربية.<sup>1</sup>

### المبحث الثالث : إعلام العولمة وتأثيره على الأمن الثقافي

إن الإعلام هو المحرك و المعبر عن مقومات النشاط الإجتماعي و هو الذي يعلو بالإنسان وصولاً به الى المطامح الحضارية و المنبع المشترك الذي ينهل منه الإنسان الآراء و الأفكار و الوسيلة لتحويل الأفكار إلى أعمال والأداة التي تعكس الأحاسيس و الحاجات من أبسطها إلى أعلى الكمال.

فالإعلام تجسيد للثقافة ووسيلة لنشرها و تعميمها بل هو الناقل الأساسي للمنتج الثقافي، وهو في الحقيقة ليس علماً بالمعنى المادي أو الموضوعي و لكنه عملية تحليلية و فكرية و حضارية و ثقافية، لذلك ذهب بعض الدارسين إلى جعل معالم التاريخ الإنساني تتحدد على أساس وسائل الإتصال و تأثيرها الذي لا حدود له في إزالة الحواجز بين الوحدات الإجتماعية، ناهيك عن دورها البارز في تطبيق

<sup>1</sup> صبري مصطفى البياتي، "قراءة في الفكر الغربي الحديث، البحث في الفروق بين الحضارات" مجلة الموقف الثقافي، العدد 12، 1997، ص 59.



السياسات الثقافية، والوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة، وكذلك من الأدوات الأساسية للتغيير الثقافي من خلال تصديرها للسلع الثقافية سواء كانت قيما أو نمط معيشة أو أنماط إستهلاك .

### المطلب الأول : ماهية إعلام العولمة

المفهوم الوظيفي للإعلام، ظل عبر تاريخه الطويل وعلى رغم تطور وسائله وتقنياته محدودا في أطر ومرتكزات معينة، وإن إتسع دوره وإزداد تأثيره، وفي هذا العصر، فإن سلطان الإعلام قد عم العالم، فهناك ما يزيد على 500 قمر صناعي تدور حول الأرض مرسله إشارات لاسلكية تدعو الى العولمة، فبواسطة الصور المتحركة على شاشات أكثر من مليار من أجهزة التلفزيون، تتشابه الصور وتتوحد الأحلام وتتحرك الأفعال.

لقد إقتلعت الأطباق الملايين من حياتها التي إعتادت أن تعيشها على الرغم من إعتراض الحكومات على الصور و المعلومات و الإيحاءات وكل ما يبث، إلا أنها لم تعد تستطيع أن تنتشر سيادتها على فضاءها الجوي أو تتحكم فيه، فالمراقبة أصبحت مستحيلة عمليا، ولم يعد للدول في هذا المجال سوى خيار واحد هو تسهيل الإتصال، وسريان الإعلام لفائدة الشبكات العالمية. التي يقوم مديروها بوضع أسس التحكم في الصور والمعلومات، وفي عملية تداولها والإشراف على معالجتها وتخزينها وتفتيحها وإحكام السيطرة عليها وتوظيفها لتحقيق الأثر المطلوب في مواقف الإنسان وسلوكه.

وإذا كان الإعلام في ماضيه القريب مرتبطا بالأرض، فإن إعلام العولمة هو إعلام بلا وطن، فالفضاء اللامحدود مثلما هو الوطن الجديد للعولمة، فهو أيضا وطن لإعلامها. إنه الوطن الذي تبنيه شبكات الإتصال الإلكترونية وتنسجه الألياف البصرية وتنقله الموجات الكهرومغناطيسية.

وعليه يمكن أن يعرف إعلام العولمة كما يلي "هو سلطة تكنولوجيا ذات منظومات معقدة، لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودا فضائية وفكرية، لنقيم عالما من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن، وهو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة،

وشركات متعددة الجنسيات، ويتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء.<sup>1</sup>

ويرى " بيل جيتس " بأن إعلام العولمة يعتمد على نتائج الثورة المتلاحقة في مجال الإتصال ويستغرق تطوره عقوداً قادمة ستدفعه إلى الأمام التطبيقات والأدوات الجديدة والتي ستلبي غالباً إحتياجات غير متنبأ بها حالياً.<sup>2</sup>

ويتفق مع هذا الرأي "تركي صقر" حيث يرى أن إعلام العولمة هو قدرة ثورة الإتصال على إكتشاف أسلحة بين الدول الغنية للتعامل مع دول العالم الآخر بحيث يجعل هذه الدول الغنية تعمل في طريق إنتشار ثقافة معينة يكون حاملها صاحب أو مالك وسيلة الإعلام الأقوى بحيث يمكن إشاعة ثقافة جماهيرية واحدة بقوالب محددة.<sup>3</sup>

ومن هنا يمكن القول بأن إعلام العولمة هو عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام على التجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة والتكامل والإندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والإتصال والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى.

### الخريطة الإعلامية في عصر العولمة

- هنالك 80 % من سكان العالم ليست لديهم الوسائل الأساسية للإتصالات.
- مستخدمو الإنترنت لكل ألف فرد من السكان 0,06 % في الجنوب، 203,4 % في الشمال.
- الحاسب الآلي الشخصي لكل ألف فرد من السكان 1,7 % في الجنوب 201 % في الشمال.
- عدد أجهزة الراديو لكل 100 شخص في الدول المتقدمة هو 6 أضعاف ما هو موجود في الدول النامية.

<sup>1</sup> أحمد ثابت و آخرون ، مرجع سابق، ص ص 165 - 166.

<sup>2</sup> بيل جيتس، المعلوماتية بعد الإنترنت: طريق المستقبل، الكويت، عالم المعرفة، 1998، ص9.

<sup>3</sup> تركي صقر ، الإعلام العربي وتحديات العولمة، القاهرة، منشورات دار الثقافة، 1998، ص203.

- عدد أجهزة التليفزيون لكل 100 شخص في الدول المتقدمة 4 أضعاف ما هو موجود في البلاد النامية
- تمتلك الدول الصناعية 98 % من براءات الاختراع في العالم.
- 80% من مواقع الإنترنت باللغة الإنجليزية.
- سيطرت الدول الصناعية على إنتاج الإلكترونيات، منها 47% في اليابان والشرق الأقصى، و 23% في أمريكا الشمالية، و 22% في أوروبا الغربية، و 18% في باقي دول العالم.<sup>1</sup>

### سمات إعلام العولمة

إستنادا للتعريفات السابقة يمكن تلخيص سمات إعلام العولمة كما يلي:

- إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية، ومؤهل لتطورات مستقبلية جديدة ومستمر تدفع به إلى المزيد من الإنتشار المؤثر في المجتمعات المختلفة.
- يشكل جزءا من البنية السياسية الدولية الجديدة التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة على أراضيها وشواطئها وفنائها الخارجي بما يعرف بالنظام السياسي العالمي الجديد.
- يشكل جزءا من البنية الإقتصادية العالمية التي تفرض على الكل أن يعمل ضمن شروط السوق السائدة من الصراعات ومنافسات وتكتلات وسعي متصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكره بحكم إنتمائها إلى أكثر من وطن وعملها في أكثر من مجال، بما في ذلك صناعة وتجارة السلاح.
- يشكل جزءا من البنية الثقافية للمجتمعات التي تنتجه وتوجهه و تتوجه به، ولهذا فإنه يسعى إلى النشر وشيوع ثقافة عالمية، تعرف عند مصدرها بالإنفتاح الثقافي، وعند متلقيها بالغزو الثقافي.
- يشكل جزءا من البنية الإتصالية الدولية التي مكنته من تحقيق عولمته وعولمة رسائله ووسائله، فهو ينتمي إلى أحد حقلي التكنولوجيا الأكثر تطورا في الوقت الراهن، والمحتكر بشكل مباشر للشركات المعنية بتصنيع وسائله والتي تشكل نسبة 23 % من قائمة الشركات المائة الأكبر في العالم.

<sup>1</sup> ياس خضيرة البياني، "الإعلام العربي وتحديات العولمة"، مجلة الشؤون العربية، القاهرة، الأمانة العامة للجامعة العربية، العدد 121، 2005، ص 147.

- لا يستند إلى فراغ، فثمة إتفاقيات دولية تدعمها منظمات وقرارات تحدد إستخدام شبكاته وتوزيع طيفه وموجاته السمعية وأليافه البصرية وبثه المباشر وتعريفاته الجمركية للصحف و المجالات والكتب، والأشرطة والأسطوانات المدبلجة، وأخيرا وليس آخرا و سائطه المتعددة.
- لا يشكل نظاما دوليا متوازيا لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية.
- ومن جهة أخرى فإنه لا يستطيع أحد أن يخفي النفوذ الكبير الذي يتمتع به إعلام العولمة، سواء أكان ذلك الأمر بالنسبة للشعوب أم للحكومات بل لم يعد هناك شك في فاعليته وأهميته وأنيته.<sup>1</sup>
- فالمدى الذي يبلغه، والسرعة التي ينقل بها رسائله أوضح من أي تفسير. ولاعجب في ذلك، فقد زادت ثورة الإتصالات الحديثة من تأثير رسائله حتى على مستوى السياسات الداخلية للدول، ناهيك عن مجالات السياسات الخارجية.

والنقاط التالية تكشف عن هذا النفوذ في بعض المجالات المهمة :

- إستطاع الإعلام في عصر العولمة أن يجبر الدول وحكوماتها على الإهتمام بقضايا ومشكلات ظلت إلى وقت قريب بعيدة عن دائرة إهتماماتها، كقضايا حقوق الانسان ومشاكل الأقليات والتميز العنصري.
- إستطاع الإعلام في عصر العولمة بوسائله التي تتخطى كل المحدود أن يعمل على تحويل المجتمعات والبيئات الداخلية للدول إلى مجتمعات وبيئات عالمية، وهو أمر أثر في السياسات الداخلية وصانعيها في الدول المتخلفة، فلم تعد قراراتهم ومواقفهم وتصريحاتهم خافية على عيون الإعلام، وحتى عندما تستحكم الأزمات والمشكلات الداخلية يتجه الإنسان إليه ليتعرفوا على ما يدور في بلدانهم.
- إستطاع إعلام العولمة أن يكفل محيطا ثقافيا واسعا، ونظرة أشمل إلى العالم، وعمقا في الإتصال الإنساني، فإستقطب بذلك الملايين عبر رسائله المبسطة في عالم مليء بالتعقيدات، فكان الإندفاع نحو وسائله، وبخاصة التلفزيون، أمرا شكا حافزا للشعوب لكي تضغط من أجل التغيير.

<sup>1</sup> ، أحمد ثابت و آخرون، مرجع سابق ص167.

- إستطاع الإعلام في عصر العولمة أن يعيد تشكيل العالم في صورة محسوسة بعد أن سيطرت وسائله على الزمان والمكان، وصار بإمكان المشاهد أن يجد نفسه في أي نقطة في العالم قبل أن يرتد إليه طرفه، وهكذا أنشأ إعلام العولمة عبر وسائله علاقة جديدة مع العالم والزمن ليكشف للإنسان أن العالم المترامي الأطراف يمكن أن تختصر فيه المسافات والفوارق الزمنية ليصير كرة معلوماتية بعد أن كان في مرحلة سابقة قرية إلكترونية صغيرة.
  - كما إستطاع الإعلام في عصر العولمة أن يدفع بالإنسان خطوات واسعة في طريق السلوك الإستهلاكي، ذلك أن الإستهلاك الواسع للإعلان الدولي عبر وسائله، في مجال تسويق الخدمات، أدى إلى خلق طلب واسع على هذه السلع حتى في بلاد لا تسمح مستويات الدخل فيها بتبني أنماط الثقافة الإستهلاكية، والنتيجة الطبيعية إنخفاض معدلات الإدخار في مثل هذه الدول، وبالتالي إمتصاص جزء كبير من فائضها الإقتصادي على الرغم الحاجة الماسة اليه.
  - إستطاع الإعلام في عصر العولمة أن يتوفر لوكالات الإعلان الدولية المناخ الملائم لنشر قيم المجتمع الإستهلاكي التي تعرض لثقافة جديدة على شعوب تحاول أن تحفظ بذاتيتها وخصوصيتها الثقافية.
  - إستطاع الإعلام في عصر العولمة أن يحيل العلاقات الدولية إلى بحر الأمواج المتلاطمة، فأحدث تأثيرات من الصعب تقويمها في الوقت الحاضر، فالواقع يؤكد أن عمليات التوظيف والتعظيم والتضليل والتحريف و التشهير لخدمة أغراض قوى عظمى، أصبحت مسائل واضحة للعيان، وأثرت بدورها في العلاقات بين الدول.
  - إستطاع إعلام العولمة بقدراته التكنولوجية الهائلة أن يضعف من نظم الإعلام الوطنية ويزيد من تبعيتها له، لتتنقل منه ما يوجد به عليها من صور ومعلومات وإعلانات.<sup>1</sup>
- كما يقوم إعلام العولمة بمجموعة من الوظائف يمكن تحديدها كالآتي:
- إشاعة المعلومات وجعلها متيسرة للجميع من دون مقابل بحيث يستطيع الحصول عليها أي فرد، أو أي جماعة، أو أي فئة. وبمعنى آخر، خلق وبناء قاعدة معلوماتية واحدة، يستخدمها الجميع ويتعامل معها كمصدر رئيسي لتقييم النتائج الثقافي والمعرفي والعلمي. وبذلك يتمكن الإعلام من

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص 168-169.

دعم ظاهرة العولمة، وتعميق منطقتها، وجعلها أكثر قبولا ومدعومة بقاعدة معلوماتية منتشرة، وبتقنية معلوماتية متطورة.

- إذابة الثقافات الوطنية والقومية وتقليص الحدود الفاصلة، بين المكونات المذكورة ومكونات ثقافة العولمة التي تنتمي إلى مصدر واحد، وإلى فئة مركزية واحدة، وبنية ثقافية مشتركة. وقد نجح الإعلام فعلا بتجسيد الوظيفة المذكورة، وجعلها أكثر فاعلية وتمثلا لمنطق العولمة ومضمونها، بفعل التقنية الرقمية والأقمار الصناعية التي تمتلك قدرة البث و الوصول المباشر، من دون وسيط، إلى الجمهور المعني في أي بقعة جغرافية على كوكب الارض.
- تنمية مولدات التماثل بين الجماعات و المجتمعات و المؤسسات، وقد تمكن الإعلام إلى حد ما من بناء مكونات التماثل الأولية في مجالات عدة كالإندماج و الإنتاج والتوحيد، بصورة لافتة للنظر، على مستوى البرنامج الترفيهي، والتقني، والعلمي، ونماذج النشر، والبث الرقمي وبناء مفاهيم مشتركة حول العولمة ومظاهرها تلك المتمثلة بشبكات المعلومات، وشبكات الإتصالات، والتغطية الإعلامية للأحداث العالمية مباشرة من حيث: المضمون، والمكان، والزمان.
- إستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكرة العولمة وأيدولوجيتها.
- الترويج للسلع والخدمات التي تقدمها السوق العالمية من خلال الإعلانات والمضامين الإعلامية التي تتضمن قيما وأنماطا للسلوك الإستهلاكي.
- توظيف وسائل الإعلام الدولية والمحلية كأحزمة ناقلة لقيمتها مما يؤدي إلى حدوث بلبلة وإضطرابات شديدة في منظومة القيم المميزة للثقافات المحلية.
- إختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام وتقديم النموذج الأمريكي كنموذج يحتذى به.<sup>1</sup>

ويهدف إعلام العولمة من خلال الوظائف التي يقوم بها إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وإن كانت ذات طبيعة سياسية واقتصادية في مظهرها الخارجي، إلا أن جوهرها يرمي إلى نشر ثقافة جديدة تجعل مسألة قبول الأفكار السياسية والاقتصادية للعولمة مسألة مقبولة وممكنة، وهذا لن يتأتى إلا إذا عمل الإعلام على تغيير ما يعتقد أنه عقبات تعترض الطريق نحو تحقيق أهدافه المتمثلة في النقاط التالية:

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص208.

- تحرير إرادة الشعوب من القيود الإجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية التي يعتقد منظرو العولمة بأنها تعيق تقبلها للثقافات الجديدة عن طريق الإستخدام الموجه للكلمات والصور، وفي ذلك يرى "هربرت شيللر" أن السيطرة على البشر وعلى المجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر وقبل كل شيء الإستخدام الموجه للإعلام، فمهما كان جبروت القوة التي يمكن إستخدامها ضد شعب ما، فإنها لا تفيد على المدى البعيد، إلا إذا تمكن المجتمع المسيطر من جعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل، وإن لم تكن جذابة، بالنسبة لهؤلاء الذين يسعى لإخضاعهم، فالحالة الشعورية لسكان بلد ما لها دورها الملموس في تحديد سلوكهم الإجتماعي ونهجهم الثقافي.
- تعويد العقول على مشاهدة ومعايشة الأنماط المغرية للثقافة الجديدة بإحكام السيطرة على المعلومات وتوظيفها وتعميمها وفقا لمواصفات محددة وبمقومات تم إختبارها عمليا لتعتاد الشعوب عليها وعلى مشاهدتها عن طريق التكرار غير الممل. هذا التعويد يمكن في ظل ظروف معينة أن يلحق الضرر بالصحة العقلية للإنسان فيصبح أسيرا لعاداته.
- إعادة تشكيل الحياة الإجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية وحثها على المشاركة فيها على نحو نشط يحقق على المدى قولبة الإنسان بحسب النموذج الإجتماعي الغربي، بزرع مفاهيم الإختيار الشخصي، والنزعة الفردية، وتغييب الصراع الإجتماعي، والتركيز على أسطورة التعددية الإعلامية.
- تعزيز فكرة الإنخراط النشط في الثقافة الجديدة عن طريق إبراز مظهرها الخارجي والثناء على كل من يتبناها ويعمل بموجبها، وبما يشجع الإنتماء إليها، على إعتبار أنها أسلوب للحياة العصرية المهمة بآخر تعليقات العصر، وبالأشكال الجديدة للمأكولات و الملابس و المتعة والترفيه والإنفاق في إطار يتجاوب مع حاجة الرأسمالية إلى زيادة الإستهلاك من جهة، والتأكيد على قيم المجتمع الرأسمالي من جهة أخرى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> هربرت شيللر، المتلاعبون بالعقل، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، ط2، الكويت، 1999، صص 207-208.

## المطلب الثاني : تقنيات إعلام العولمة الثقافية

الإنترنت والفضائيات والهاتف المحمول تعتبر أكثر إغراء وجذبا كونها تعتمد على ثقافة الصورة لذلك فهي أشد تعبيراً وأكثر رسوخاً و التصاقاً بالعقل، لأنها لغة عالمية تفهمها جميع الشعوب فهي قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي، لتذوب بذلك الهويات و تزول الخصوصيات الثقافية الوطنية والقومية والإثنية للشعوب.

ومن جهة أخرى، وجدت التقنيات المختلفة لخدمة البشرية كافة، وتكون وسيلة للتطور والرقى، وللمحافظة على الهوية الثقافية الوطنية والقومية ولكن تم استغلال تلك التقنيات لأغراض أخرى تضر البشرية ونظامها ثقافي والقيمي في سبيل تحقيق أكبر قدر من الأرباح، لذلك ما هو الدور الذي تقوم به تقنيات الإنترنت، الفضائيات، الهاتف المحمول في ظل العولمة الثقافية (الأمركة) وما هي النوعية الثقافية التي تنتشرها وتروج لها تلك التقنيات؟<sup>1</sup>

## أولاً: الإنترنت

شبكة الإنترنت هي إختصار لكلمتين هما: International وتعني العالمية، و Network وتعني الشبكة وبمزج الكلمتين بكلمة تصبح Internet أي الشبكة العالمية. ويطلق عليها النت، وللإنترنت خدمات كثيرة تقدمها مثل: الشبكة العنكبوتية، الفيس بوك، البريد الإلكتروني، تقنيات التخاطب بروتوكولات نقل الملفات وغيرها. ولإستخداماتها الكثيرة والمتنوعة أصبحت شبكة الإنترنت ظاهرة ذات تأثير إجتماعي وثقافي في جميع بقاع الأرض، وهذه الظاهرة أدت إلى تغيير المفاهيم التقليدية لمجالات العمل والتعليم والتجارة و بروز شكل آخر لمجتمع المعلومات.

وتعتبر الإنترنت من أكثر وسائل الإتصال الجماهيري إستخداماً، حيث بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم أكثر من 2 مليار مستخدم مع مطلع العام 2011 م أي ما يصل الى 32,7 % من سكان العالم والذي يبلغ حوالي 7 مليار ، وعدد مستخدمي " الفيس بوك " في العالم حوالي 800 مليون، وتأتي قارة آسيا في المرتبة الأولى من حيث عدد المستخدمين، وقارة أوروبا ثانياً، وأميركا الشمالية ثالثاً، ثم أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي، تليها إفريقيا وأخيراً أستراليا.

<sup>1</sup> يوسف أويجا ، " الخصوصيات الثقافية في مهب العولمة الثقافية: الأمازيغية نموذجاً "، في : الحوار المتمدن، العدد 3170، 2010/10 /30، على الرابط الإلكتروني:



ومن خلال هذه الأرقام نلاحظ أهمية شبكة الإنترنت كوسيلة إتصال فعالة، تربط الأفراد بعضهم ببعض في مختلف بقاع الأرض، فهي تتجاوز الحواجز والحدود الجغرافية بين الدول وتجعل العالم قرية صغيرة، وبذلك تحقق حلم العولمة.

ومن الجدير ذكره أن المذيع إستغرق 38 عاما ليصل عدد مستمعيه 50 مليون مستمع، والتلفاز إستغرق 13 عاما ليصل إلى ذات العدد، بينما إستغرق الإنترنت 4 سنوات ليصل عدد مستخدميه 50 مليون مستخدم.<sup>1</sup> وبذلك نلاحظ مدى سرعة إنتشار الإنترنت كوسيلة إتصالية بين الأفراد في كافة دول العالم، ويعود السبب في ذلك لعدد من الخصائص التي تتمتع بها شبكة الإنترنت وهي كالآتي:

- **الإندماج:** فقد أحدثت شبكة الإنترنت نوعا من الإندماج والشمول بين خصائص الوسائل الإعلامية الأخرى من كتب، إذاعة، تلفاز، صحف ومجلات وفيديو، فهي تجمع بين الكلمة المكتوبة والصوت والصورة والفيديو في وسيلة واحدة هي الإنترنت، وتجمع كذلك بين الترفيه والتعليم والتنقيف والترفيه.
- **الإنتشار:** فقد بلغ عدد المشتركين بالإنترنت في العالم في مطلع عام (2011) حوالي 2 مليار، ووصل إلى كل بيت في العالم حتى إلى أكثر الدول انغلاقا مثل إيران حيث بلغ عدد المشتركين حوالي 36.5 مليون مستخدم من أصل 77 مليون نسمة.
- **التفاعلية:** أحدثت شبكة الإنترنت نوعا من التفاعل بين المشاهد ومصدر المعلومات، ففي التلفاز كان المشاهد مجرد مستقبل لا يستطيع أن يسهم بالمشاركة، وكذلك الراديو بينما شبكة الإنترنت تتيح للمشاهد أو المستخدم أن يشارك في هذه المعلومات عن طريق قنوات الدردشة والإستطلاعات والإدلاء بالرأي في القضايا المختلفة في أي وقت نشاء وبأي لغة نشاء.
- **سهولة الإتصال والنقل والتخزين:** أصبح البريد الإلكتروني من أسرع وأرخص وسائل الإتصال في العالم وتستطيع من خلاله نقل ملفات نصوص تحتوي على عشرات الصفحات في أقل من دقيقة لأي شخص في العالم، وتخزين المعلومات والصور والوثائق بكل يسر وسهولة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بسام مسلماني، " هل هناك سر وراء موجة الثورات العربية ؟"، في لها أون لاين، 2 / 4 / 2011 على الرابط الإلكتروني: [http://www.lahaonline.com/Index2.php?option=content & task = view & id =38081 & section id =1&fbrunt =](http://www.lahaonline.com/Index2.php?option=content&task=view&id=38081&sectionid=1&fbrunt=)

<sup>2</sup> شبكة الوعي، " دور شبكة الإنترنت في نشر الدعوة الإسلامية"، العدد، 532، 3 / 9 / 2010، على الرابط الإلكتروني: [http://alwaei.com/topics/view/article\\_new.php?sdd=331&issue=454](http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=331&issue=454)

وبالرغم من كل الخصائص والإمكانات التي أتاحتها شبكة الإنترنت في الحصول على المعلومات والتعرف على الثقافات الأخرى والسرعة في تداول البيانات وغيرها، على مستوى الأفراد والمؤسسات والمنظمات العالمية والمنظمات غير الحكومية المنتشرة في جميع دول العالم، إلا أنه تم استخدامها كوسيلة لمحو الثقافات المتعددة والقضاء على هويتها الوطنية من أجل سيطرة ثقافة نمط حضاري معين وهو ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عمدت إلى نشر ثقافة الجنس والعنف والقيم الإستهلاكية وغيرها من خلال شبكة الإنترنت لضمان انتشارها ووصولها لعدد كبير من الأفراد، مستغلة مناطق الضعف في ثقافة الشعوب الأخرى، حيث يوجد ثقافات منغلقة وأخرى دينية لا تسمح بتداول تلك الأفكار بين أفرادها، لذلك يمكن اعتبار شبكة الإنترنت أداة من أدوات العولمة و معلم من معالمها، فهي ثمرة العولمة الثقافية ودعامتها الرئيسية، ويعود ذلك لعدة أسباب:

- 1- شبكة الإنترنت نشأت في أحضان داعية العولمة وهي الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت البدايات تهدف للتجسس على نظام الإتحاد السوفييتي بهدف تدميره.
- 2- السيطرة الإقتصادية والتقنية والتكنولوجية للولايات المتحدة الأمريكية على شبكة الإنترنت، فهي بلا منازع الدولة الوحيدة المسيطرة على الجانب الإقتصادي للإنترنت من حيث حجم النشاط والتقدم التقني.
- 3- لغة الإنترنت هي اللغة الإنجليزية وهي بالطبع لغة الولايات المتحدة الأمريكية، ويتجه صانعو العولمة إلى جعل الإنجليزية لغة العالم.
- 4- محتوى الإنترنت - بالاعتماد على النقاط السابقة - لا شك أن الثقافة التي تملأ شبكة الإنترنت هي ثقافة العولمة وخاصة ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية وتعظيمها وتجميل صورة الحياة الأمريكية من حرية ولهو ورفاهية، بالإضافة إلى امتلاء شبكة الإنترنت بصفحات العري، كما أنها تعد مسرحاً لطرح الأفكار الأمريكية مثل: الدعوة إلى عبادة الشياطين، وعبادة الفروج، وعبادة اللذات، والدعوة إلى شرب الخمر والمخدرات والجنس والعنف وغيرها، مما ساهم في غسل أدمغة الشعوب وأفسدوا الفطرة البشرية التي نشأ عليها الفرد، حيث ساهمت تلك الثقافة التي تبثها شبكة الإنترنت في ظهور العديد من المشاكل مثل: الشذوذ الجنسي، ازدياد حالات الزنى والاعتصاب، والتحرش الجنسي، انتشار بيوت الدعارة، والأهم تغييب وعي الشعوب وكأنهم دمية في يد الولايات المتحدة الأمريكية تحركهم كيفما تشاء، وفي أي وقت تشاء.

بالإضافة إلى إمتهان كرامة المرأة وجعلها سلعة تُباع وتُشتري تحت دعوى حرية المرأة ومساواتها مع الرجل.<sup>1</sup>

### ثانيا: الفضائيات

وبعيدا عن الإحصاءات والأرقام، فإن دخول البث الفضائي معظم البيوت إن لم يكن كلها، ساهم في إحداث تغييرا ملموسا للمجتمع في بنائه ووظائفه ومعتقداته وقيمه وأفكاره، فمنه ما زاد من تطور وتقدم المجتمع، والآخر قد زاد من إعاقة وهدم المجتمع وتمزيق وتغريب قيمه وثقافته، وذلك مناطا بالطريقة أو الآلية التي تم التعامل بها في استقبال الخطاب الفضائي، وهل كان في جانب الفائدة أو الضرر منه. إن بعض المحطات أصبحت أدوات نافذة لجهات معادية تسعى إلى تحقيق أهدافها المؤذية من خلال "دس السم في العسل"، حيث أن ما يتضمنه بث بعض الفضائيات سواء بهدف تعظيم الربحية أو التدمير المخطط هو بمثابة سم .

ومن جهة أخرى، ليس كل ما تبثه الفضائيات من مواد إعلامية كلها ضارة، حيث أن فوائدها متمثلة في التعرف إلى الأحداث الجارية والاطلاع على الثقافات الأخرى ومتابعة التطورات العلمية وتحفيز القنوات المحلية على تطوير أدائها وتوسيع دائرة الاختيار بين ما تعرضه وتخطي القيود غير العادلة، إلا أنها في الوقت ذاته تسبب العديد من الأضرار وتفرز سلبيات كثيرة منها طمس الهوية الوطنية وخلخلة منظومة القيم المجتمعية وإضعاف التماسك الإجتماعي وتبديد الوقت وإذكاء الروح الإستهلاكية المفرطة، وإضعاف روح الولاء للمجتمع وتأجيج العدوانية وتأسيس العنف لدى الأطفال، وإثارة الغرائز الجنسية، وخدش الحياء العام.<sup>2</sup>

كما أن القنوات الفضائية تستهدف عدة عناصر مهمة وهي:

- **العقائد:** حيث تقوم تلك الفضائيات بتقديم السحر في برامج الأطفال وكأنه قوة خارقة محمودة عبر تحويل البشر إلى ضفادع أو فئران، وعرض التأثير الحارق للصليب على الشياطين والمتحولين من البشر، والتحبيب بالكنايس ودورها الإيجابي في الحياة كما أنها تعج بالتعقيدات

<sup>1</sup> محمد غنيم، "الإنترنت والعولمة"، مركز الدعوة العلمي، على الرابط الإلكتروني:

<http://dawacenter.net/download/0010.doc>

<sup>2</sup> شبكة الأخبار العالمية (ANN)، 2011/4/16، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.annntv.tv/new/showsubject.aspx?id=22485>

- وتسعى إلى انعزال الفرد عن مجريات الحياة وتدعو إلى التطرف والتشدد وإحداث بلبله فكرية من خلال بث الخرافات والضلالة والبدع.
- **الأخلاق والسلوك:** تحتوي الأفلام والمسلسلات في بعض هذه القنوات على مشاهد عنف عالية وبعض المشاهد الجنسية واحتوائها كذلك على اللواط، وتشجيع البحث عن علاقات غير شرعية للرجال والنساء وممارسة العادة السرية، وجعل ملابس الفتيات العاريات وكأنها عادية عند الفتيات اللواتي يمارسن الرياضة.
- **الفكر:** حيث تستهدف فكر وثقافة الأفراد من خلال نقل وقائع الحياة الأمريكية بكل سلبياتها عبر التلفاز، وبيان قدرة وكالة (FBI) على حل القضايا الأمنية من خلال التسلسل المعلوماتي وتمجيد عناصر القوة الأمنية الأمريكية في مكافحة الجرائم، ومن ثم إظهار القوة العسكرية الأمريكية التقليدية وغير التقليدية بطريقة تجعل من عملية خلق الرموز القوية والقوى الخارقة. سياسية إعلامية أمريكية مستمرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.<sup>1</sup>

### ثالثاً: الهاتف المحمول

ذكر تقرير للإتحاد الدولي للاتصالات أن عدد مستخدمي الهاتف المحمول في العالم سيصل بنهاية العام 2011 إلى 5.3 مليار مشترك. وأن شبكات الهاتف المحمول أصبحت متاحة الآن لحوالي 90 % من سكان العالم وأن نسبة انتشار الهاتف المحمول في الدول المتقدمة وصلت إلى 68 % من إجمالي عدد السكان وهي نسبة تشبع لم تحدث مع أي تقنية سابقة، كما نجد مثلاً أنه 2 إلى 3 هاتف لكل شخص في دولة الإمارات وهذه النسبة تدل على انتشار ثقافة الإستهلاك بين أوساط الشباب العربي، بدعوى اللحاق بالركب العلمي والتطور التقني، وملاحقة الموضة وآخر الصرعات التقنية الحديثة، مما يؤدي إلى إنفاق مبالغ مالية كبيرة هم في غنا عنها.

وفي دراسة أعدت حديثاً وجد أن تواصل الأمهات الأمريكيات الشابات حالياً مع أولادهن إلكترونياً عبر الرسائل الهاتفية والإلكترونية والمواقع الإلكترونية الإجتماعية أكثر من التواصل معهم وجها لوجه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> قفندش على بنهوي هنا، " مطر الفضائيات الأسود بعصف بالقيم"، في مجلة عكاظ، العدد 3676، 11/ 07/ 2011 على الرابط الإلكتروني: <http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20110711/PrinCon20110711432903.htm>

<sup>2</sup> شبكة النبا المعلوماتية، " الإنسان وسمة الدخول للعصر التكنولوجي"، 16/ 04/ 2011. على الرابط الإلكتروني: <http://www.annabaa.org/nbanews/2011/02/195.htm>

وهذا يدل على أن الهاتف المحمول وغيره من وسائل الإتصال الجماهيري ساهم في تفتيت الأسرة الواحدة، عبر فضاء غير مرئي، تختفي فيه العواطف والأحاسيس. ومن الجدير ذكره أن الهاتف المحول حاليا يعتبر من الوسائل التي تدمج بين أكثر من وسيلة إتصال، حيث يحتوي الهاتف المحمول حديثا على تلفاز وإنترنت ولا سيما "الفيديو بوك" وغيرها، بالإضافة إلى الكاميرا و"البلوتوث" والذاكرة وبذلك يكون بإمكان الشخص أن يتواصل مع أي شخص وفي أي مكان كان على سطح الكرة الأرضية، وأن ينشر ثقافة معينة من خلال ملفات الموسيقى والفيديو والأفلام وغيرها عبره وبذلك أصبحت هذه التقنية وسيلة مهمة لنشر ثقافة الرعب والجنس والعاطفة وتعزيز ثقافة الإستهلاك وغيرها من ثقافة وفكر الولايات المتحدة الأمريكية.

### المطلب الثالث: تأثيرات إعلام العولمة على المتلقي

لمحاولة معرفة التأثير الذي يتركه إعلام العولمة على المتلقي يتطلب منا أن نتعرض إلى مجموعة من الأفكار التي ستحدد لنا حقيقة التأثير البالغ لوسائل الإعلام و بالخصوص إعلام العولمة على المتلقي والتي نبينها كالاتي:

#### - فلسفة التأثير في المتلقي

تقوم فلسفة التأثير التي يسير على نهجها الإعلام الغربي الليبرالي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإبان الحرب الباردة وما بعدها، أي منذ أن كان محلي الطابع وصولا إلى عالميته في هذه المرحلة، على ظاهرة قديمة وصفها "مايكل إيزنر"، عملاق صناعة الإعلام ورئيس مجلس إدارة شركة والت ديزني، "على أنها المنافسة بين الشاق والسهل، البطيء والسريع والمعقد والبسيط". كما تقوم فلسفة التأثير كذلك على المنافسة كمحرك أساسي للعولمة، فالمنافسة في السوق العالمية تتطلب التكيف مع ثقافة هذه السوق، ولذلك فإن المجتمعات المنغلقة على ثقافتها لا يمكن أن تنافس في عصر المعلومات. لقد لعبت هذه الفلسفة دورا ليكون لإعلام العولمة هذه القوة وهذه الدرجة من الإنتشار والتأثير، فالأمر في بدايته كان مواجهة وتحديا بين أيديولوجيتين للإعلام:

**الأولى:** تؤمن بحرية الإعلام وحرية إمتلاك وسائله.

**الثانية:** تؤمن بتقييد حريته و ملكية الدولة لوسائله .

وانتهى الصراع إلى سيادة الأيدلوجيا الأولى وتراجع الثانية، عن كثير من مواقعها، وقد عبر مايكل إيزنر عن ذلك بقوله: "لقد أراد ستالين أن يكون القوة العظمى، إلا أن ميكي ماوس قد تفوق عليه".<sup>1</sup>

هذا التفوق أصبح المرتكز الأساسي لفلسفة الإنطلاق والتأثير الحقيقي لإعلام العولمة الذي مكنته تكنولوجيا الإتصال من القفز بعملية التأثير إلى مرحلتين متقدمتين هما:

أ - مرحلة إدخال البشرية إلى عصر حضارة الصورة والتلاعب بالزمان والمكان، حيث صار بإمكان الإنسان أن يشاهد الأحداث لحظة وقوعها ليعيش في مكانين مختلفين في آن واحد، وأن ينتقل منهما إلى مكان ثالث ورابع في هذا العالم الفسيح قبل أن يرتد إليه طرفه، وهكذا أوجدت الصورة علاقة جديدة مع العالم و الزمن لتعيد تشكيلها في صورة محسوسة كما سبقت الإشارة لذلك.

ب - مرحلة إستحداث النظام الرقمي الذي أوجد وسائط متعددة الأغراض، قادرة على تجاوز كل الصعوبات المقترنة بعملية التخزين ونقل ودمج معلومات متباينة الأشكال في قالب واحد، ومحو الحدود الفاصلة بين أشكال تعبيرية كنا نخالها في السابق أشكالا متعارضة هي النص المكتوب والصوت المنطوق و الصورة المرئية.

ج - هذا التفوق وسع دائرة وحجم الخدمات الإتصالية والإعلامية، وبالتالي عمل على زيادة تأثيرها.<sup>2</sup>

**أساليب التأثير في المتلقي:** ولتجسيد هذه الفلسفة على أرض الواقع إعتد إعلام العولمة على عدة اساليب أهمها:

أ - التدفق الحر للمعلومات، كأسلوب يعتمد عليه الإعلام في عصر العولمة بعد أن تزوجت وسائله مع الحاسبات الإلكترونية و الأقمار الصناعية، وبعد أن تحول إنتاج المعلومات إلى صناعة تنتج سلعا تخضع لما تخضع له السلع الأخرى من عرض وطلب، وأصبحت لها سوق كبيرة لا تختلف كثيرا عن أسواق البترول أو الذهب أو غيرها من السلع الإستراتيجية الأخرى.

<sup>1</sup> هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، فح العولمة: الإعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة عدنان عباس علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998، صص 45 - 46.

<sup>2</sup> فرانسيس بال، مدخل إلى وسائل الإعلام، ترجمة عادل بوراوي تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996، ص 28.

ب - تنوع الرسالة الإعلامية بحيث يتلاءم مضمونها مع مختلف الخيارات ليجد كل فرد ما يرغب في مشاهدته أو الإستماع إليه أو قراءته، فيتجسد بذلك مفهوم حرية الإختيار والإنتقاء وفق حاجات ومتطلبات الفرد. وهو من أبرز ما يدعو إليه الإعلام في عصر العولمة. كما أن المساحة الزمنية للإعلام على مدار اليوم بكامله فرضت مراعات الإهتمامات المتعددة للمتلقين الذين سيصبحون بحكم عادات المشاهدة والإستماع أسرى لهذه الوسائل.

ج - البث السريع و المتواصل للرسائل الإعلامية على مدار الساعة وطوال اليوم، وبالتكرار المتصل الذي يستجيب لفروق التوقيت بين شرق و وسط و غرب الكرة الأرضية، وعلى الرغم من إيجابيات هذا البث المتكرر في تمكين الناس من الإلمام بالأحداث لحظة وقوعها أو بعد ذلك بقليل، ومتابعتها بإستمرار، إلا أن لذلك سلبياته، حيث التبسيط في عرض الرسالة و السطحية في معالجتها، و الآنية في التعامل السريع معها، يحول دون التعمق في مجرياتها أو معالجتها بالموضوعية المطلوبة.

د - تجزئة الرسالة الإعلامية بالفواصل الإعلانية التي تقدم بين البرامج أو من خلال قطع المشاهدة أو الإستماع أو تقطيع الأخبار المنشورة على الصحف و المقالات المنشورة على المجالات لتقليب الصفحات الممتلئة بالإعلانات.

إن هذه التجزئة وهذا التقطيع هو في الواقع قطع للسياق النفسي و الإجتماعي للمشاهد أو المستمع أو القارئ عند إنتقاله من سياق إلى آخر أو من حالة إلى أخرى. ولما كان السياق الأول جادا و متوترا يحتاج إلى تنبيه ذهني وحضور عقلي، فإن السياق الثاني ترفيهي إغرائي يبعث على الإسترخاء و يثير الغرائز. وبذلك تتم عملية التأثير عن طريق الإدخال غير المحسوس، فتتضاعف عملية التأثير. حتى برامج الأطفال، والتي يقال إنها توضع لأهداف تربوية، أصبحت تستخدم أسلوب تقطيع الرسالة بالفقرات الإعلانية.<sup>1</sup>

#### - وسائل التأثير في المتلقي:

تتم عملية التأثير بصورة غير مباشرة عن طريق البرامج والأفلام والمسلسلات وغيرها من الأشكال التي تجعل المتلقي يقارن بين حاله و حال الآخرين في المجتمعات الأخرى. أما الصورة المباشرة للتأثير في المتلقي، فتتم بصورة أساسية عن طريق الإعلان.

<sup>1</sup> إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، البث المباشر: الآثار والمواجهة تربويا وإعلاميا، مكة المكرمة، دار القبلة للنشر والتوزيع، 1995، ص137.

لقد عرفت الرسالة الإعلانية المشبعة بالحاجات، و المستفزة للمشاعر طريقها إلى وسائل الإتصال الدولية، ويهدف الترويج والحث على الشراء وخلق الرغبة للإمتلاك عن طرق التركيز على الصور التي تجعل السلعة أو الخدمة المعلن عنها مرغوبا فيها و مقنعة ويمكن الحصول عليها.

ولذلك فإن الإعلان لا يستهدف خلق الإهتمام بالسلعة كما كان الأمر في الماضي، وإنما يستهدف إلى جانب ذلك التركيز على إستخداماتها وفوائدها و تسهيل الحصول عليها، و الإجابة عن كل الأسئلة التي من المحتمل أن يستفسر المشتري عنها .

ومن هنا إرتبط مفهوم الإعلان بالتسويق لمنتجات و خدمات المؤسسات الإقتصادية الكبرى بما يفسر الفاعلية المتزايدة لوسائل الإعلام في دعم النشاط التسويقي من جهة، وتبعية المؤسسات الإعلامية للمؤسسات الإقتصادية الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات من جهة أخرى.

ولا عجب في ذلك، فالإعلان علة الإعلام الحديث، فهو سبب حياته مثلما هو سبب فنائه، لكون الممول الأساسي لمؤسسات الإعلام، وعنصر مهم في إستقرارها الإقتصادي والمالي، ولذلك فإن مؤسساته التي تهدف إلى الربح تضغط على وسائل الإعلام لتقوم بربط المشاهدين والمستمتعين و القراء بالشركات المنتجة، فمتطلبات السوق التي لا تعرف الإكتفاء ظلت تولد الأنشطة الإعلانية لتفتح المزيد من الأسواق، وتتهم وسائل الإعلام في عصر العولمة بأنها تبيع البشر إلى شركات الإعلان التي تبيعهم بدورها إلى المؤسسات الإقتصادية الكبرى.<sup>1</sup>

ولما كانت العولمة في مفهومها الإقتصادي والإعلامي تقوم على الأسواق، كان لابد من إتباع سياسة جديدة في مجال الإعلان، ألا وهي سياسة عولمة الإعلان و توحيده بما يسهل تحويله من سوق إلى أخرى تماشيا مع سياسة الأسواق المفتوحة وعالمية السلع و المنتجات و الخدمات.

إلا أن تنفيذ هذه السياسة بحاجة إلى بيئة ثقافية مشتركة، تحملت و سائل الإعلام عبء تأسيسها، وهي التي تتعامل في صناعة الثقافة التي تروج لبضائع و سلع غير ملموسة، ولكنها معروضة للبيع في الوقت نفسه. ووجد مخطوط و منتج الإعلان وفقا للثقافات مبررات عدة لتوحيد وعولمة الإعلان، أهمها:

أ - أن الإعلان يكلف كثيرا، وأن توحيده يقلل من تكاليف إنتاجه، وإن تطلب الأمر في بعض الأحيان إجراء تعديل طفيف فيه ليتناسب مع خلفية الأوضاع و المعايير الثقافية والمحلية.

<sup>1</sup> السيد أحمد مصطفى عمر، "الإعلام الدولي" محاضرات غير منشورة، جامعة الشارقة، قسم الإتصال، 1999/2000، ص28.



ب - أن الشخص مهما كانت جنسيته (عربية، هندية، روسية، صينية... الخ)، يظل يحتفظ بكثير من خصائص ثقافته، أيا كان المكان أو الدولة التي يعيش فيها.

ج - إن حاجات البشر ورغباتهم و توقعاتهم و طموحاتهم لا تختلف كثيرا، وأيا كانت الثقافات التي ينتمون، فهناك حد أدنى يتفقون عليه.

د - إن سياسة الأسواق المفتوحة و تحرير التجارة وفقا لإتفاقية الغات على الرغم الصعوبات التي تواجهها، تتيح فضاء واسعا لنقل السلع و تحقيق عالميتها و عالمية إستهلاكها، طالما أن المقاييس التي يعتمد عليها الناس في تقويم السلعة تعتمد بالدرجة الأولى على الفوائد التي يتوقعون الحصول عليها من إستهلاكهم إياها.<sup>1</sup>

إن هذه المبررات تسندها ثقافة الإستهلاك التي يتم الترويج لها بذكاء، وهي ثقافة تقوم على قاعدة تقول: "أن البشر في كل مكان، القادرين على الإستهلاك توحد بينهم وتجمعهم سلع وبضائع ومنتجات تخلق فيهم ميولا وأذواقا ورغبات مشتركة، ترفع من مستوى الإتفاق الثقافي فيما بينهم، وتدرجيا تجرد ثقافتهم من هوياتهم و خصوصياتها و تلبسها ثوب الثقافة الإستهلاكية الجديدة".

ففي دراسة سابقة عن الإعلان في قنوات البث الفضائي، تضمنت في جانب منها تحليلا كميًا لمضمون الإعلان لعينة من الإعلانات التي تبث في ثلاث قنوات عربية هي دبي، و السعودية، وأم. بي. سي. (M. B .C) تبين أن 90 بالمئة من الإعلانات المعروضة تروج لمنتجات غير وطنية. وفي جانب آخر من الدراسة نفسها تبين أن الإعلانات التي تروج للمنتجات غير الوطنية تركزت على سلع إستهلاكية وكمالية و سلع معمرة من إنتاج اليابان و الولايات المتحدة و بعض الدول الأوروبية، وأن معظمها من إنتاج شركات متعددة الجنسيات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سمير محمد حسين، الإعلان، ط4، القاهرة، عالم الكنب، 1992، صص 166-167.

<sup>2</sup> علي عبد الرحمن عواض، الثقافة والإستهلاك: التخطيط الثقافي وثقافة الإستهلاك، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، 1994، صص 187.

# الفصل الثالث

تداعيات ظاهرة العولمة على الأمن الثقافي

العربي

## تمهيد:

من البديهي أن لكل شعب من شعوب الأرض ثقافته الخاصة به تتبع من تراثه و قيمه و فلسفته في الحياة وهكذا كانت الحضارات القديمة و الجديدة تتبادل فيما بينها لخدمة الإنسانية ومن بينها الإرث الثقافي و الحضاري، فما من شعب على الأرض لا يعتر بتاريخه وإرثه الحضاري والثقافي الذي يمثل الهوية التاريخية الممتدة عبر سنوات الماضي و الواجب الحفاظ عليها إلى إنتهاء الوجود الكوني، لذلك نجد كافة شعوب الخليقة تتمسك بهويتها الخاصة و تسعى جاهدة للحفاظ عليها و العمل على ديمومتها وتربية أجيالها على الإعتزاز بهويتهم و التمسك والحيلولة دون التفريط بها و مقاومة جميع التحديات الرامية إلى طمسها و دثرها من قبل غزو الثقافات الأخرى.

إن ثقافتنا العربية واحدة من الثقافات العريقة، الغزيرة، بالأدب، الشعر و الفصاحة، والعادات والتقاليد، وواحدة من الثقافات المستهدفة من قبل العولمة الثقافية التي تهدف إلى تذويب الثقافات ووضعها في بوتقة ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية.

لذا كان لزاما علينا أن نبحت في تأثير العولمة و ما تحمله من تأثيرات خطيرة على ثقافتنا العربية، والبحث في الآليات المناسبة للصدوم في وجه التحديات الثقافية سواء الداخلية منها أو الخارجية. وتركيز الدراسة في هذا الفصل يكون حول تأثير ظاهرة العولمة على الأمن الثقافي في المنطقة العربية، وذلك من خلال التطرق إلى واقع الثقافة العربية في مرحلة العولمة، والتركيز بالأساس على الأزمة التي تعيش و تتخبط فيها ثقافتنا العربية.

كذلك نتطرق إلى واقع الهوية في الوطن العربي إضافة إلى إبراز كيفية تأثير التيارات الغربية وخاصة أمريكا على الأحداث والمجريات التي يسير عليها العالم اليوم، وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. ونتناول أيضا ضمن هذا الفصل الآثار التي تخلفها العولمة الثقافية على الوطن العربي من خلال إبراز أهم الوسائل التي تعتمد عليها لتحقيق أهدافها ويكون التركيز على التأثير الذي يتركه إعلام العولمة على إعتبره الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها العولمة الثقافية للتأثير على الثقافة العربية.

و أخيرا نتناول المشروع الثقافي العربي مع إبراز الوسائل التي يجب تفعيلها من أجل حماية الأمن حماية الأمن الثقافي العربي من التحديات التي تواجهه.

## المبحث الأول: الواقع الثقافي العربي

ثقافتنا العربية تحتضر هذه حقيقة لا يشك فيها أحد، نحن نعيش في واقع ثقافي مر تنعكس عليه التجزئة السياسية داخل البلدان العربية بظلالها، وتظهر في صورة محزنة من التباعد و التفكك الثقافي حيث تكون التربة خصبة لنمو ثقافات مختلفة متباينة ومتضاربة داخل الوطن العربي، هذا ما يضعنا أمام حقيقة ذوبان حضارتنا داخل الحضارة التي تسعى لتكريسها العولمة. وعليه سنركز في هذا المبحث على واقع الثقافة العربية مع إبراز سماتها و تحديد الأزمة التي تتخبط فيها في مرحلة جديدة هي مرحلة العولمة.

## المطلب الأول: سمات الواقع الثقافي العربي

إن الواقع الثقافي هو الذي يصنع الإنسان و يقدم له مبررات الحياة الروحية و الموضوعية و التي تمثل بالنسبة له دوافع قوية للبقاء و التطلع و الطموح الفكري و العلمي و العسكري و الإقتصادي، و هذه المبررات يستمدّها الإنسان من رصيده الثقافي و يتزودها من واقع أمته الفكري، فإذا فقد الإنسان مبررات وجوده نتيجة لنفاد رصيده الثقافي أو نتيجة الانحراف به، و لم يستطع مع ذلك إيجاد مبررات تعويضه، تمتلكه أزمة نفسية خطيرة يشعر فيها بالخواء الروحي و النفسي، و تكون النتيجة هي سعيه الدائم لتدمير وجوده بيده، و هذا عين ما يحدث في الغرب اليوم.

و تتعرض الدول الضعيفة ثقافيا في هذا العصر لغز ثقافي مكثف من الدول القوية، مما يجعلها محاطة بواسطة ثقافة قوية تمتلك أدوات عاتية و تقنيات هائلة، و هذا يعرضها للإحتواء الثقافي بسهولة إذا كانت لا تركز إلى تراث أصيل أو ليست لها جذور ثابتة في الأرض.

و إذا كانت الأقطار العربية قد تخلصت من الإستعمار المباشر فإن وضعها لا يختلف عن وضع بلدان العالم الثالث التي تعاني من التبعية عموما، و التبعية الثقافية خصوصا.

والساحة الفكرية العربية لم يهدأ فيها الصراع قط بين الأفكار و القيم العربية و الأفكار و القيم الغربية، وهذا الصراع يشند اليوم ليصبح معركة حقيقة يخوضها العالم العربي تحدد في النهاية إنتماءه، و تبلور توجهه، إنها المعركة الكبرى التي تتضاءل أمامها كل المعارك الأخرى لأنها ستحدد بعد الفصال هوية هذه

الأمة و ترسم مستقبلها. ويعتمد الغرب في هذا الصراع على أسس أرساها في عصر السيطرة و هي تتعامل مع هذه الأسس باستمرار و إن لم يخل الأمر من أسس جديدة تستدعيها طبيعة الظرف التاريخي المتغير، و التغيرات في علاقة العرب بالغرب، و عليه فإن المطرقة الثقافية الغربية ما فتئت تدق بقوة على السندان منذ بداية الهجمة التغريبية على الوطن العربي، و بين المطرقة و السندان وضع العقل العربي ليعاد تشكيله و فق مناظير و مقومات جديدة تباعد بينه و بين أصله الثقافي و انتمائه الديني، تجعل منه مسخا ثقافيا، فلا هو إحتفظ بأصالته و لا هو لحق بالثقافة الغربية، بل هو أشنات موزعة وأشلاء ممزقة تحمل كل مرض ثقافي جرثومة فكرية تنخر في عظام ثقافتنا العربية الأصيلة.

لقد تحقق بتأثير هذا الدق و الضرب بكل قوة للمطرقة الثقافية ما نراه من إستسلام ثقافي عربي نلمسه بجلاء في كل المجالات: الأدب و الفن و الصحافة و الإعلام و النشر و القيم و العادات و السلوك حتى أصبح العالم العربي مهددا بالتحول عن ثقافته تحت تأثير الحملات الثقافية الغربية.<sup>1</sup>

كما أن واقع الثقافة العربية الراهن و الأزمة الكبرى التي تمر بها، ذلك أن العرب في ظل الإمبريالية (العولمة) التي تمعن في مشروعها الكوني يعيشون في حالة تفكك، في حالة قوى لا تخفى خوفا من جبروت سلطة العولمة و تأثيرها الساحق في مصيرهم ماديا و معنويا.

إلا أن الخوف لا يفصح عن حرص شمولي، الخوف على المصير لأمة هي قيد التبعر الكيفي، والتفكيك الكمي و السياسي هو أكثر هؤلاء تجاهلا لحقيقة الوضع المتأزم ذلك أن قسما كبيرا من مجتمعاتنا لا تزال تسيطر عليه نزعات بعيدة عن العلم و التقنية الحديثة في زمن تتحول فيه هذه التقنية إلى إيديولوجيا تجتاح في طريقها كل شيء و توحد العالم في نمط خاص من التفكير الرقمي، و بتعبير آخر المادي الذي يسود الجزء الأكبر من الحياة الإنسانية، فتغدو أكثر تسمرا أما الوسائل الإعلامية المتاحة، لا سيما الفضائيات هذه النزعات المتحكمة في بعض العقل العربي من جزمية فكرية لا تتقبل النقد و المناقشة وتتجه إلى حسم الأمور عنوة، و عاطفية التفكير المرتكزة على الآنية و الإرتجال و تحكيم الرغبات والتمحور حول الذات المفضي إلى التفوق و عدم قبول الآخرين، و التواكل الفكري وسيادة نمط الإمعية

<sup>1</sup> محمود محمود النجيري، مرجع سابق، ص ص، 87-89.

والقاء التبعية على الآخرين و اللامبالاة بالأهم من القضايا و الإستسلام لمجريات الواقع و رد المسؤولية على التفكير التأمري و غياب التفكير الإبداعي من المجالات كافة و انتظار ابداعات الغير<sup>1</sup>

يصح هذا الكلام خاصة مع الحالة الثقافية العربية التي يمكن وصفها بحالة الغياب المتعمد و المشاركة الصامتة، إجمعت العديد من المواصفات داخل الوطن العربي لترسم سمات الثقافة العربية الحالية، و لعل أبرز هذه التداعيات و المواصفات هي:

- التشتت الفكري و المزيج الفكري و الإنتقائية الفكرية و الميوعة و التسطيح الفكريين و سيادة الثوابت التماثلية غير التاريخية.
- تنوع الثقافة العربية و تبعيتها للثقافات المختلفة.
- الهزائم السياسية المتكررة و عجز النظام العربي عن النهوض بالمهمات الوطنية و القومية.
- غياب التخطيط و اختفاء القرار الإيجابي الهادف إلى النهوض بالثقافة الوطنية و القومية.
- غياب المصادقية في العمل و الإبتعاد من الإلتزام و سيادة منطلقات أخلاقية مغايرة لحركة التقدم.
- عدم قيام المؤسسات الجامعية و البحثية بمهامها في صناعة المعرفة و إختلاف نظم الجامعات العربية.
- عدم وضوح المفاهيم الأساسية الإجتماعية و السياسية و الإقتصادية و الثقافية و عدم العمق في التفكير و التشوش في انتقاء النظم و تعدد المصادر الثقافية الخارجية و إختلاف الأنظمة العربية في تبنيتها النظرة إلى الحكم.
- تراجع النشر و عدم تقبله الموضوعات الثقافية الجدية و تهافته على المنشورات المكررة والسريعة البيع و تراجع عدد القراء.
- لقد تحكمت في بعض المؤسسات الثقافية و الدينية عقلية التاجر، كما تحكمت فيه أساليب المراوغة و الإنتهازية، الأمر الذي أظهر تفاهة هذه الثقافة التي تنتجها هذه العقلية في إدارتها. أو تملكها لمؤسسات تربوية و جامعية و مهنية ران عليها أسلوب السريع ضاربة بعرض الحائط كل القيم بما فيها الدينية.
- سيطرت على الإعلام الرسمي و غير الرسمي و توجهات عقيمة في تطلعها إلى مجازاة الواقع، فهبطت مستويات اللغة العربية و استبد بالبرامج عقل تُلْفِيفِي مخدع يضلل النشء و يسمر الناس

<sup>1</sup> سالم المعوش، مخاطر الهيمنة الثقافية: ثقافة القوة أم قوة الثقافة، بيروت، مؤسسة الرحاب للطباعة و النشر و التوزيع، 2003 ص ص67-68.

أمامه ساعات طويلة و لا يقدم لهم إلا سقط المتاع من ثقافة متهافتة متبدلة هوت بالأجيال إلى الحضيض.

- الإمعان في تعزيز القطرية و نشوء التفكير القطري المستقل في بعض وجوهه، الأمر الذي أسهم في هذا التشرذم الثقافي العربي و أعطاه أجواء من الخصوصية المتقزمة، فبات قسم من المثقفين يفكر على مستوى حدود قطره بل منطقتة أو طائفته أو حتى باسم زعيم سياسي معين.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني : الثقافة العربية في إطار العولمة

شكل الإسلام منعطفا أساسيا في تاريخ الثقافة العربية مكنها من بناء حضارة متطورة، فيما ظلت أسس هذا الدين هي المرجعية المعرفية و السلوكية لهذه الثقافة على الأقل طيلة فترة الخلافة الإسلامية مع التفاوت في التطبيق بين مرحلة و أخرى و مع اتساع الدولة الإسلامية و تعدد الأعراق فيها كذلك مع بروز مستجدات جديدة كان يجب التصدي لها فكريا وثقافيا و ازدهار حركة الترجمة في مرحلة من المراحل اقتضت الحاجة لبروز علوم جديدة كان لها الأثر في اغناء الثقافة العربية. يذكر أن هذه الثقافة قد تمظهرت قبل الإسلام بجملة من المعتقدات و السلوكيات ذات العلاقة بديانات قديمة، اختلطت بإفرازات الحياة البدوية من حكم و أشعار و مأثورات شعبية توارثتها الأجيال عبر الزمن.

تكون اختلاف حول المصدر الأساسي للثقافة العربية، إذ يرى البعض أن الإسلام هو المصدر الأساسي في تكوين الثقافة العربية المشتركة، في حين يرى آخرون أن العائلة و علاقات القرى الحميمة هي المصدر الأهم على اعتبار هذه العلاقات و الأدوار و القيم هي ذاتها في البلاد العربية بغض النظر عن الديانة، في حين يرى آخرون أن أنماط المعيشة و البنى الاقتصادية و الإجتماعية و البيئية بشكل عام هي المصدر الأهم للثقافة العربية هذا ما أنتج تنوع في الثقافات من ذلك ثقافة رعوية، و ثقافة ريفية زراعية، و ثقافة حضرية و تجارية و أسهم هذا التفاعل الداخلي بين هذه الثقافات في تكوين ثقافة مشتركة و هي جميعا عوامل أساسية في تكوين الثقافة العربية، فالديانة هي مصدر أساسي قيمي لاسيما و أن

الدولة الإسلامية أقيمت على أساسه و بالتالي أصبحت التعاليم الإسلامية هي المرجعية القيمية السائدة في المجتمع و على أساسها تتحدد النظرة للذات و الآخر، و يتحدد ما ينبغي أن يقوم به الفرد العربي.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص85-89.

وفي هذا السياق يرى عبد الإله بلقزيز أن الثقافة الوطنية ظلت تنهل أسباب سيادتها و تجددها من مصدرين رئيسيين تقليديين (أي مصدر إجتماعي ومصدر دولاتي)، و استمرت الوسائط الوظيفية التي أنجزت عملية إعادة إنتاج الثقافة الوطنية و سيادتها، هي ذاتها في سائر الظروف التربوية و التكوينية معبرا عنهما في الممارسة من خلال مؤسستين الأسرة و المدرسة، و عليه فقد إعتري النظام التعليمي العربي إخفاق شديد، فيما تعاني بنية الأسرة من مخاطر التفكك. و عليه فالضغوط الثقافية و القيمية الوافدة من الخارج تضافرت مع الإخفاق الذاتي لمؤسسات إنتاج القيم و الرموز التي لم تستوعب التحولات الثقافية الكونية، و لم تتكيف معها إيجابيا الأمر الذي أفرز تمزقا في النسيج الثقافي الوطني و شكل أرضية لتآكل وسائل مقاومة العولمة الثقافية.<sup>2</sup>

زيادة على هذا نجد أن العقل العربي اليوم يستقبل العولمة الثقافية بالهروب للأمام أو الخلف، بمعنى الرفض المطلق و سلاحه الإنغلاق أو القبول المطلق و شعاره الإنفتاح.

ومن خلال الوقوف على حقيقة الموقفين يظهر أنهما يحملان ذات الخطر على الهوية الثقافية، فلا الإنغلاق ممكن في عالم اليوم و لا الذوبان في الآخر يبقى من الخصوصية شيء دون أن يعني أن هذه الطريقة تؤدي إلى تحديد التنمية المنشودة، إذ أنه في الغالب يؤدي الإنبهار بالآخر إلى تقليده و تكريس التبعية، و يمكن رصد هذه المظاهر في الوطن العربي سواء من حيث الملابس أو المأكولات أو قصات الشعر إلى غيرها من المظاهر التي تكرر التبعية بامتياز.

يذكر أنه حين يسود التقليد نجد أن المجتمعات الضعيفة و المتخلفة كثيرا ما تميل إلى إستيراد أسوأ ما في الحضارات المتقدمة، و ليس ما هو في صلب تفوقها تأخذ منها مظاهر التحضر لا جوهره. و تصبح أمة تابعة و عرضة للتقلبات التاريخية.

و أمام مظاهر التقليد و رواج ثقافة الإستهلاك من ناحية، وانفلات الفكر الديني و المذهبي و الطائفي في الوطن العربي تحولت أعداد واسعة من المثقفين لوكلاء محليين لتسويق البرامج الأمريكية و العولمة النيوليبرالية، فإن هذا يضع الثقافة العربية في مواجهة مخاطر حقيقة تنذر بتمزق المجتمع عبر إستنهاض

<sup>1</sup> حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 109-110.

<sup>2</sup> عبد الله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مرجع سابق، ص 312.



الأطر الضيقة مثل القبيلة و العشيرة و الطائفة، و بالتالي إضمحلال الهوية، و يستند ذلك في الأساس إلى نظام تدفق معلوماتي أحادي الإتجاه.

فالثقافة العربية في عصر العولمة دخلت في معركة ثقافية لم تستعد لها أتم الإستعداد خاصة مع غياب و فشل دريع على الأصعدة الاقتصادية و السياسية و بقية المجالات الأخرى على إمتداد الوطن العربي، خاصة في ظل وجود تعارض تيارات الإصلاح داخل العالم العربي بين الأصولية الراضة للإنتفاخ الكلي على العولمة و الدخول في المنظومة الغربية، و بين التيار الليبرالي للإندماج في الغرب، و لهذا أصبحت إعادة بناء الثقافة العربية مسألة ملحة أكثر من أي وقت مضى.<sup>1</sup>

ومن خلال كل ذلك فالثقافة العربية في عصر العولمة إذن دخلت في صراع مع الثقافة الغربية التي أخذت تغزو العالم و الذي يعتمد على أسلوب غير عنيف أي الغزو الثقافي لهذا الأخير تطور بشكل كبير، و زادت مخاطره بسبب التقدم الذي شهدته أجهزة الإعلام العالمية و تقنية الإتصال و المعلومات.

إن الهجمة الثقافية الغربية على الوطن العربي، أخذت تأخذ شكلا متصاعدا خاصة مع انتصار الرأسمالية الأمريكية و إنهيار الإتحاد السوفيتي في أوائل التسعينيات عن طريق عاملين أساسيين هما الإعلام الغربي، و ظاهرة العولمة الثقافية و ما صاحبها من عمليات تسويق البرامج الثقافية، و الحماية الفكرية على منتجات الغرب الثقافية، هذا ما من شأنه أن يغير القيم و السلوكيات الإستهلاكية، من خلال التركيز على العلامات التجارية العالمية، و إنتشار السلوكيات الإستهلاكية الغربية الشيء الذي بإمكانه حقيقة أن يهدد الموروث الثقافي العربي في جملته بالاندثار.

وفي نفس السياق أصبحت الثقافة العربية في عصر العولمة غير قادرة على التجديد المتوازن لذاتها، فتختلف الآليات و المعايير المنتهجة في هذا السياق، أضحي يهدد حتى مستقبل الإنتاج الأدبي للبلدان العربية. مع وجود إنكماش في وسائل الإعلام العربية أمام الإكتساح الهائل للإعلام الغربي، و قصورها عن حماية و تجديد الثقافة العربية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> خلاف خلف الشادلي، "المجتمع العربي بين مخاطر العولمة وتحديات ثقافة العولمة"، مجلة شؤون عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 107، 2001، صص 102-103.

<sup>2</sup> محمد الشيبيني، مرجع سابق، صص 86.

## المطلب الثالث: أزمة الثقافة العربية

يتفق العديد من المثقفين العرب حول نقطة جوهرية تتمحور حول كون الثقافة العربية تعيش وضعاً متأزماً حالها حال الواقع السياسي الذي يتسم بالتجزئة، هذا الأخير ألقى بظلاله على الواقع الثقافي الذي تعيشه حالياً، حيث تظهر صورة محزنة من التباعد و التفكك الثقافي حيث تكون التربة خصبة لنمو الثقافات المختلفة المتباينة المتضاربة و المتناقضة داخل الأقطار الناطقة بالعربية، و بذلك تتباعد أكثر مطامحها و مصالحها و تنتشتت في مواجهة الأخطار المشتركة، و بالتباعد الثقافي تتباعد الصلات وإمكانات إغناء التجارب، و المعرفة و فنون الإبداع، و تنحصر الثقافات الضيقة و تزداد عزلة بعيدا عن الإنصهار و التفاعل مع ما هو إيجابي، و يمكن أن يظهر تبعاً لذلك الحديث عن ثقافة مصرية مستقلة وأخرى عراقية أو سورية أو جزائرية، و هذا ما نرى له بعض المؤشرات في بلادنا العربية.

تبرز هذه الأزمة بشكل واضح حقيقة من خلال وجود أسباب عديدة تشكلت فيما بينها لتنتج لنا أزمة ثقافية عربية شديدة الإنحطاط و الرداءة أبرزها الآتي:

- إنهيار الأسس العقلية و الوطنية التي قامت عليها ثقافتنا الحديثة.
- عدم قيام المؤسسات الثقافية في الوطن العربي بدورها الحقيقي كإحدى المؤسسات المسؤولة عن إنتاج القيم و الرموز و إعادة إنتاج الثقافة الوطنية داخل الوطن العربي و الحفاظ على هذه الثقافة، بل أصبحت عبارة عن قلاع الفوضى و البطالة و تبديد المال العام.
- ضعف الإنتاج الثقافي العربي و عدم وجود إستمرارية في هذا الإنتاج الذي يمكن القول بأنه إنتاج يظهر في المناسبات فقط.
- إتحادات الأدباء و الفنانين و نقاباتهم إقطاعيات و أبعديات تستثمرها القلة و تقاطعها الكثرة و الثقافة في واد و الصحافة في واد و التعليم في واد و الإعلام في واد آخر.<sup>1</sup>

كذلك يمكن أن تنشأ الأزمة الثقافية عندما تفرض قيود شديدة على حرية التعبير بوجه عام، أو على حرية أصحاب إتجاهات فكرية معينة في التعبير عن أنفسهم، أو أن توكل أمور الثقافة إلى أشخاص جهلاء يعتمدون تخريبها أو نشر التفاهة أو إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، كما يرى أن أزمة الثقافة العربية في النهاية أزمة نظم سياسية مع أزمة حرية لأن كثيراً من النظم العربية تضطهد المبدعين و تريد تحويل

<sup>1</sup> محمود محمود النجيري، مرجع سابق، ص ص91-93.

الإبداع إلى مادة للدعاية و لذلك فإن معظم المبدعين الكبار في العالم العربي يعيشون أزمات مع أنظمة حكمهم.

كذلك يمكن إعتبار أن هذه الأزمة نابعة أساسا من أزمة الديمقراطية التي تفرض على الثقافة وضعا متأزما و لا تسمح بأن تتطور إنطلاقا من كونها أسئلة تطرح على الواقع، و أزمة الديمقراطية ترتبط بأزمة أكثر عمقا هي غياب المبنى النقدي في الثقافة العربية فتقاقتنا الحديثة لم تحسم العديد من المشكلات التي طرحتها لا مسألة الشرعية حسمت نظريا، و لا مسألة إخضاع النص للبحث العلمي المجرد، فكل الأمور بقيت معلقة تقوم بعبادة الماضي و تصاب بالدهشة أمام الفكر الغربي.<sup>1</sup>

في مقابل هذا يرجع إدوارد سعيد هذه الأزمة الثقافية التي تعيشها الأمة العربية إلى ضعف البنية الثقافية الأساسية و الإعتماد على الزاد الثقافي الغربي، فما من باحث عربي يستطيع المخاطرة بتجاهل ما يحدث في المجالات البحثية و المعاهد و الجامعات في الولايات المتحدة و أوروبا، غير أن العكس ليس بصحيح.

كما أرجع هذه الأزمة إلى قلة الدراسات العربية التي تصدر في العالم العربي المتخصصة في دراسة الأمن الثقافي العربي، بالضبط كما أنه ليس ثمة مؤسسة تعليمية عربية واحدة قادرة على مضاهاة أماكن مثل: أكسفورد، و هارفارد، و جامعة كاليفورنيا في دراسة العالم العربي، و النتيجة المتوقعة لهذا هي أن طلاب العالم العربي لا يزالون يريدون الحضور إلى الدول الغربية و الجلوس عند أقدام المستشرقين الغربيين ثم العودة فيما بعد لتكرار ما تعلموه على جمهورهم المحلي، و نظام إعادة إنتاج كهذا يجعل من الحتمي أن يستخدم الباحث العربي تدريبه الغربي ليشعر بالفوقية على أبناء وطنه، لأنه قادر على تدبر النظام الإستشراقي و فهمه و إستخدامه حيث يرى أن ذلك يتم لأن العالم العربي يبقى قوة من الدرجة الثانية على صعيد إنتاج الثقافة و المعرفة و البحث.<sup>2</sup>

و يمكن أن نضيف بعض الأمور الأخرى التي ساهمت في خلق هذه الأزمة الثقافية في الوطن العربي منها: ضعف الإتصال و التواصل الثقافي داخل الوطن العربي من خلال أدوات الإتصال المختلفة حتى أن نسبة المطبوعات المتداولة في أرجاء الوطن العربي ضئيلة جدا بالمقارنة بنسبة المطبوعات المتداولة في البلدان الغربية، إلى جانب قلة عناوين الكتب الصادرة في الوطن العربي و ضآلة الدور الذي يلعبه

<sup>1</sup>المرجع السابق، ص96.

<sup>2</sup> إدوارد سعيد، الإستشراق، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984، ص320.

الكتاب في حياتنا الحديثة كأداة لتوفير المعلومات والخبرات ونشر الثقافة، و يمكن أن نجتمع إلى ذلك ضعف محتوى الكتاب العربي، و عرضه لقضايا هامشية و إشكالات مصنوعة يفرغ فيها الطاقة و تكون فيها دائرة البحث ضيقة جدا تركز على الإهتمامات السطحية أو الأحاديث المعادة، كذلك ما زاد من شدة هذه الأزمة الثقافية ضعف المؤسسات الثقافية العربية و تدني السياسات الثقافية المرسومة بالعشوائية.

### المبحث الثاني: ثنائية العولمة و الهوية في الوطن العربي

عادة ما تقدم العولمة باعتبارها مصطلحا قلقا، مرتبط بالتوجس و التحفظ بالنظر لتعدد حضوره في مختلف الخطابات السياسية و الإقتصادية و الثقافية المعاصرة، ولئن كان كذلك فإن أثره على الهوية و الثقافة للمنطقة العربية أثر بالغ و ظاهر و لا يمكن إنكاره، لذلك سنتناول في هذه المبحث آثار العولمة والتغيرات الحالية التي يشهدها العالم، على المنطقة العربية، وعلى هوية و أمنه خاصة .

### المطلب الأول: واقع الهوية في الوطن العربي

تعتبر الهوية أساسا لشخصية الأمة، حيث أن كل أمة لها هويتها الخاصة، القائمة على مقومات و ثوابت تجعلها مميزة عن باقي هويات الأمم الأخرى، إذ تكمن أهمية الهوية في الحفاظ على كيان الأمم و حمايتها من الذوبان، و من كل الضربات الموجهة لها من الخارج كالحملات الإستعمارية التي تعمل من خلالها الدول الحاكمة على تذويب و تهديم الأمم المحكومة، مع إحلال هويتها الأجنبية في محلها.

و قد إزدادت حدة الإهتمام بموضوع الهوية منذ العقد الأخير من القرن الماضي، بطريقة غير مسبوقة، حيث أن هذا الموضوع أصبح يفرض نفسه على واقع العديد من المجتمعات، فمع الإنفتاح الكبير للشركات الغربية على وجه الخصوص في كل أنحاء المعمورة، دخل العالم مرحلة جديدة تزامن الإهتمام فيها بموضوع الهوية، ألا و هي مرحلة العولمة، تلك الظاهرة التي لا تزال في طريق التبلور، إن اتضحت بعض الجوانب منها، إلا أنها لم تأخذ مداها الكامل بعد.

حيث تعرف الهوية على "أنها حصيلة لمجموعة من العلاقات و الدلالات التي يستقي منها الفرد معناه لقيمته، و يصنع لنفسه في ضوءها نظاما في إطار هويته، بحيث تتوافر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته، داخل الوسط السوسيوثقافي، باعتباره مرجعا على المستوى السلوكي".<sup>1</sup>

إن موضوع الهوية في الوطن العربي اليوم يطرح من باب الإشكال أو الأزمة و إن تزين بزبي التحول الديمقراطي، و هو إشكال مزدوج، فهناك التهديد الخارجي الذي يواجه الهوية العربية من طرف العولمة الثقافية، و هناك تهديد داخلي ناتج عن التعارض و التصادم ما بين الهويات و بعضها البعض، حتى داخل الدولة القطرية (الوطنية) ، و إن كانت العولمة الثقافية تشكل تهديدا حديثا، لا يقتصر على الهوية العربية بل كل الهويات و الثقافات الوطنية عبر العالم، فإن التعدد الهوياتي سواء أخذ طابع التعايش السلمي أو الإكراهي، أو أخذ طابع التصادم قديما في العالم العربي و يمكن القول بأن إتفاقية سايكس بيكو لعام 1916 هيأت الجغرافيا السياسية التي أفسحت المجال لظهور الدول العربية القطرية أو ما يعرف بالدولة الوطنية.<sup>2</sup>

و قد كانت مسألة الهوية و طوال أكثر من خمسة عقود كامنة وراء الكثير من الإشكاليات التي شغلت الفكر السياسي العربي، تجلت مسألة الهوية خلال هذه المرحلة في التنازع بين مكونات: الهوية القومية، والهوية الأممية و الشيوعية، الهوية الإسلامية و الهوية الوطنية، مع إختلاف الأهمية و الأولوية لكل منهم من بلد لآخر و من فترة زمنية لأخرى.

إن عجز العرب عن إقامة دولة الوحدة لا يلغي هذه الهوية، ولكن من المؤكد أن قيام الوحدة كان سيصعب على الهوية عمقا و متانة شرعية، و هو ما لا تتمتع به الهوية العربية بالوضوح ذاته في ظل التجزئة الراهنة، بل تتداخل معها هويات، بعضها قطري و أحيانا ولاءات ما دون القطرية و تتخللها أحيانا ولاءات تتجاوز أطر الأمة.

<sup>1</sup> ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة ، الأردن ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ،2004، ص22.

<sup>2</sup> إبراهيم أبراش، سؤال الهوية في العالم العربي- تناقض الهويات أم تصادمها؟، على الرابط الإلكتروني:

كما أن النزاع العربي حول هذه الهويات هو ما عمق من الأزمة، و هناك أمثلة شاخصة على ذلك : النزاع الإسلامي المسيحي، والعربي الأمازيغي و الكردي العربي، و حتى الشيعي العلماني و الشيعي الأصولي و هذا ما جعل القومية العربية في خطر حقيقي يعرضها إلى ما يسمى بالإنكشاف القومي.<sup>1</sup>

وفي الوقت الحالي نلاحظ أن خطر الهيمنة الغربية بدأ يزحف في كيان الهوية العربية، في تراثها وعقائدها و قيمها السلوكية و الإجتماعية الذي ورثته منذ أجيال بعيدة، حيث لا تعتمد الثقافة الغربية على أسلوب المواجهة المسلحة أو استخدام القوة، فالوسائل التي يتميز بها هذا الأسلوب أي الغزو الثقافي تكون ناعمة خادعة و محفوفة بوسائل الترغيب معتمدا في ذلك على عاملين أساسيين هما: الإعلام الغربي والأمريكي الذي جند ما يزيد عن 500 قمر صناعي تدور حول الأرض مرسلّة ثقافة أورو-أمريكية للدول النامية، والعامل الثاني هو إعتمادها على ما يعرف بهيمنة الثقافة الغربية على الدول النامية من خلال العولمة و ما صاحبها من حرية التجارة و تنقل رؤوس الأموال و تسويق البرامج الثقافية.<sup>2</sup>

وبذلك فإن الهوية العربية تواجه ضروبا من المتغيرات و التحديات التي لا تتوقف، بسبب كون الواقع الموضوعي يحملها على التكيف مع تلك المتغيرات، و نحن نعيش اليوم هذا الواقع المتطور الذي ينقل العلاقات الإنسانية و الإجتماعية من البساطة إلى التعقيد، و من الوحدة إلى التنوع، و من التقليد إلى التجديد، و من يقين المعرفة إلى ثورة العلم و تسارع التطور و تغيير المفاهيم، و هذا ما حملته الثقافة الغربية إلى عالمنا الإسلامي فأتاحت للأجيال الجديدة الأخذ بهذه الثقافة بكل الوسائل التي أتاحتها الحضارة الغربية نفسها. فكان ذلك اللقاء الحضاري منطويا على صدام و صراع عميق، صراع بعث فينا من جهة النقد الذاتي و الرغبة في تصحيح الأوضاع، كما بعث فينا من جهة أخرى روح المقاومة و رفع التحدي لإثبات هويتنا و استرجاع سيادتنا الوطنية العربية في المشرق و المغرب على السواء.

و لن تتأتى محاولة الشعوب العربية اليوم حماية هويتها، إلا إذا استطاعت أن تحصن تلك الهوية بتعميقها و اصطناع كل تقدم تكنولوجي و إعلامي في حمايتها و نشر إشاعتها. بل إنه يتحتم علينا أن ننقل في الحفاظ على هويتنا الثقافية، من موقع الدفاع إلى موقع المجابهة و المواجهة، و لا نعني بالمواجهة سوى العمل على نشر إشعاع ثقافتنا، و تعميق قيمنا الروحية و الدينية، وسط الفراغ الذي تعانيه الأجيال و ذلك بوضع سياسات ثقافية شاملة توازي سياسات التنمية و تحتوبها، مع دعم الفكر الحر الملتزم بتلك الروح

<sup>1</sup> جمال عمر نظمي "المتقف العربي بين السلطة والجمهير-إشكالية العلاقة الصعبة" بيروت، مجلة المستقبل العربي، (بدون عدد)، 1994، ص 65-66.

<sup>2</sup> ثامر كامل الخزرجي وياسر علي المشهداني، العولمة وفجوة الأمن في الوطن العربي، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004، ص 114.

العليا وسط التيارات المتطرفة التي تريد وأد قيمة الحرية الإنسانية نفسها لأنه بقدر ما يتسع الفراغ الروحي و تهتز القيم الروحية و يشيع التطرف في أي إتجاه و يسوده النظام الإستبدادي، بقدر ما يكون المجتمع أكثر تطلعا إلى من يخرج من متاهاته و يدلله على فطرته.

و بهذا المنهج قد تتحول تحديات العولمة إلى إستنهاض الإرادات نحو النضال من أجل إستعادة حرية الإنسان في أن يتماهى مع هويته، و يحقق فيها ذاته عن طريق الإبداع و التميز و الإختلاف.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني : تحديات العولمة للهوية العربية

لا يكاد يقدم بحث أو دراسة أو يعقد مؤتمر عن العولمة، إلا و يكون موضوع الهوية هو الطرف الآخر في هذا البحث أو الدراسة، سواء على مستوى الأعمال الفكرية العربية أو حتى على مستوى الأعمال الفكرية العالمية.

و الحقيقة أن موضوع الهوية لم يكن بهذا الحضور النشط في الأدبيات العالمية أو على مستوى العلاقات الدولية، و لكن بعد بروز ظاهرة العولمة وإنتشارها و إستفحالها، أخذ موضوع الهوية يبرز هو الآخر على الساحة الفكرية، و كأنه الطرف المقابل أو المنافس للعولمة أو لمفهومها.

و ما العولمة إلا شكل من أشكال الهيمنة الغربية التي تعبر عن المركزية الدفينة في الوعي الغربي الأوربي باعتبار الغرب الآن هو أكبر مؤثر على العالم، و أنه يسيطر على أهم العوامل تأثيرا كالمؤسسات الإعلامية السمعية و البصرية، و وسائل الإتصال و المعلومات، و أسرار العلوم التقنية المتقدمة، فضلا عن التحكم بالإقتصاد العالمي، و السياسات الدولية، و أنه يملك القوة العسكرية الأعظم في العالم، كل هذه الإمكانيات الكمية و النوعية للقوى الغربية مكنتها من التأثير على الهويات الأخرى للشعوب و بالخصوص دول الجنوب على غرار الهوية العربية التي وجدت نفسها أمام مخاطر و تحديات فرضت عليها من قبل ظاهرة العولمة، فشننا أم أبينا هنالك مخاطر كثيرة لظاهرة العولمة على الهوية العربية فهنالك إختراق و غزو ثقافي واسع النطاق، هناك إختراق إعلامي على مستوى الصورة و العولمة، و على مستوى السينما و التلفزيون، إختراق للأعراف و التقاليد و العادات و الأزياء و الدوق العام.

<sup>1</sup> محمد الكتاني "أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة"، (ورقة بحث قدمت في الملتقى الدولي حول:العولمة والهوية، المغرب، 7-5 ماي)، 1997، صص 86-87.

صحيح أن هذا الإختراق و الغزو الثقافي الذي نتحدث عنه ليس بجديد على فكر و واقع أمتنا العربية، فمفكرو و علماء الوطن العربي ما انفكوا يتحدثون في الخمسين عاما الماضية عن إستعمار و غزو جديد يطال الأمة العربية، ليس هو الإستعمار العسكري، و إنما هو الإستعمار و الغزو الفكري و الثقافي.

و بما أن الهوية العربية هي المستهدف الأول من قبل العولمة و دعاة العولمة كونها العائق الذي يقف أمام إنتشار العولمة و تبنيها في العالم العربي الذي بات مدركا الآن، سواء على مستوى النخبة أو حتى على مستوى الجماهير أنه بتخليه عن هويته الإسلامية فإنه يجرد نفسه من أمضى و أقوى سلاح يملكه، و هذا رأي دعاة و مؤيدو الأمركة و منظرو السياسة الخارجية الأمريكية.

و من أمثلة ذلك ما يشهده العالم العربي و خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من إستهداف لمناجه التعليمية و بالأخص المواد التي تدرس الدين الإسلامي و في كافة المراحل الدراسية، حيث توصف هذه المناهج التعليمية بأنها أساس و منبع أصيل للفكر الإرهابي و تخريج الإرهابيين، و لهذا شنت الولايات المتحدة الأمريكية حملة شعواء للضغط على الحكومات العربية، لتغيير مناهجها التعليمية تحت دعاوى الإصلاح و التطوير، و بما يتناسب و المصالح و الرؤى الغربية، و تحت هذه الضغوط المتزايدة، استجابت أغلب الدول العربية لهذه الدعوى، و بدأت حملة لحذف و إلغاء كل المواد و الأفكار التي تشير إلى مواضيع لا يرتضيها الغرب مثل الجهاد.<sup>1</sup>

فالهوية العربية باتت على رأس المطلوب من ظاهرة العولمة الغربية، و لا نستغرب بعدها عندما نعلم أن مذكرة وقع عليها 30 عضوا في الكونغرس الأمريكي، تقترح -أو بالأصح تفرض- على الدول العربية والإسلامية، شطب البسملة من المراسلات العامة، و افتتاح الأعمال الرسمية و المؤتمرات و الندوات، وذلك باسم الحرية و الديمقراطية و الإخاء و الإنسانية و نبذ التعصب و التطرف و التعنصر.

وتذكر إحصائيات منظمة اليونسكو، أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في(مصر و سوريا) و نصف هذا الإجمالي كما في (تونس و الجزائر)، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على ذلك، حيث تصل إلى نسبة 58% من إجمالي البث و 96% من مجموع البرامج الثقافية، و لا شك أن هذه الأوضاع تثير مخاوف الكثير من منطقتنا العربية، باعتبارها تهدد الهوية الثقافية العربية.

<sup>1</sup> خليل نوري مسيهر العاني، مرجع سابق، صص 161-162.



ومن التأثيرات الخطيرة لظاهرة العولمة على الهوية العربية و الإسلامية ما يتعلق بموضوع الأسرة، والمقصود بها تلك المؤسسة الاجتماعية الصغيرة بأبسط حالاتها و المؤلفة من الأب و الأم و الأولاد، وأيضا قضية المرأة، و قضية الطفل، و موضوع حقوق الإنسان.

تعد الأسرة الإسلامية العربية تلك المؤسسة الاجتماعية الرصينة و الميزة البارزة و العلامة المضيئة للمجتمعات العربية، كونها المجتمعات الوحيدة التي مازالت لحد الآن محافظة على تمسك الأسرة و تآلفها و ثباتها، و لهذا السبب يعمل الغرب من أجل أن يقنع الأمة العربية المسلمة حتى يقدموا التنازلات ويفسحوا المجال لإختراق نظام الأسرة العربية و مكوناتها و مبادئها بداعي التقدم و التطور، و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أهمية موضوع الأسرة التي تعد رمزا عظيما للهوية العربية.

لكن لم يعد الإقناع كافيا في عصر العولمة ليلجأ الغرب إلى أساليب الإكراه عبر الطرق القانونية الرسمية، أو عن طريق وسائل الإعلام من أجل تدمير الأسرة العربية من خلال نشر فلسفة غربية تقوم حق للإنسان الحق في تغيير دينه و هويته الجنسية، حيث يريد العالم الغربي تعميم هذه الأفكار في العالم العربي من خلال الضغط القانوني لتطبيق مقررات العديد من المؤتمرات، مؤتمر السكان في القاهرة عام 1994، و مؤتمر المرأة في بكين عام 1995.<sup>1</sup>

وعليه يمكن إجمال العديد من التحديات التي تواجه الهوية العربية من جراء الثقافة الغربية (ثقافة العولمة) يمكن بلورتها في العديد من النقاط الرئيسية هي:

- عمل الثقافة الغربية على تغريب الثقافة العربية، و إحلال الحضارة العربية مكان الثقافة العربية بحجة أن الثقافة العربية تقليدية متخلفة فاتها قطار التجديد و التحديث منذ قرون عديدة.
- قيام الغرب بوضع نظام ثقافي جديد يشمل صياغة ثقافة عالمية واحدة، يقوم بفرضها على الدول النامية، و منها الدول العربية بدلا من التعددية الثقافية و بذلك تواجه شعوب العالم الثالث بأحادية ثقافية تزول على إثرها هويات تلك الشعوب، و تذوب خصوصيتها العقديّة و التراثية و الفكرية.
- توحيد ثقافات العالم في بوتقة الثقافة الغربية، و من ثم تحطيم حدود الثقافة العربية، و إلغاء سيادتها القومية، و القضاء على مقوماتها التاريخية الفكرية، و من ثم تتحقق السيادة الثقافية للغرب و تحل مكان السيادة الثقافية العربية.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص163-164.

- توظيف العلم و التكنولوجيا الحديثة للإختراق الثقافي و الهيمنة على الثقافات التقليدية في الدول العربية، بهدف تهميشها و طمس ثقافتها و هويتها، بحجة أنها ثقافات متخلفة عن ركب الحضارة الحديثة.
- فرض لديكتاتورية الثقافة الغربية، و غزوها لمكونات الفكر العربي و إختراق حصون ثقافته، وذلك عن طريق الثورة العلمية و التكنولوجيا الحديثة، و المعلوماتية الإتصالية و شبكات الإنترنت للهيمنة على دول العالم الثالث و خاصة الوطن العربي.
- خضوع الثقافة العربية لقوى سوق البرامج الإعلامية و السينمائية و التلفزيونية المنحازة لثقافة الغرب و عقائده و تراثه، و ما لها من تأثير ضار على سلوكيات الشباب العربي و قيمه الأصلية.<sup>1</sup>

كما حدد شعبان علوان أبرز تحديات ظاهرة العولمة على الهوية العربية الإسلامية في النقاط التالية:

- تعمل العولمة جاهدة على تفكيك وحدة الأسرة داخل المجتمع العربي، على إعتبار الأسرة أول وأهم المصانع الإجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني بواسطة القيم التي توزعها من خلال التربية على سائر أفرادها.
- العمل على تهميش اللغة العربية باستخدام وسائل الإعلام التي تسير في إتجاه تفرغ العالم العربي من الهوية الوطنية و القومية و الدينية، على اعتبار اللغة من أهم أسس الحفاظ على الهوية القومية، حيث تجري محاولات جادة من الدول الغربية لإزاحة اللغة العربية تدريجاً من مكانها في الحياة اليومية، لحساب اللغات الأوروبية، سواء في المراسلات أو وسائل الإعلام، بل و حتى كلغة للتدريس في المدارس و الجامعات.
- تعميق الفجوة بين قمة الهرم الإجتماعي و قاعدته من خلال سعي ظاهرة العولمة على خلق مجتمع عربي لا تحكمه سوى المادة و الربح والسوق، هذا ما سيزيد من الفجوة و يهدد الهوية العربية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> علي أحمد الطراح و غسان منير حمزة سنو، الهويات الوطنية و المجتمع الإعلامي العالمي: دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية العالمية، بيروت، دار النهضة العربية، 2002، ص ص، 142-144.

<sup>2</sup> محمد شعبان علوان، مرجع سابق، ص ص 877-879.

## المطلب الثالث: الهوية العربية و التطورات الدولية الراهنة

سعت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، تحت شعار مكافحة الإرهاب لدمج كافة الهويات في هويتها السياسية و الثقافية، و بالتالي فإن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت من أحداث 11 سبتمبر 2001 ذريعة لمحاولتها ليس لإستعادة هويتها السياسية و الثقافية، بل في محاولة فرض نموذجها السياسي و الفكري، و بالنتيجة فرض نموذجها الثقافي الهوليدي الذي دخل إلى حقل الصراع الثقافي العالمي منذ بداية السبعينيات، حيث أن الثقافة الهوليدوية إلى جانب الصناعة الثقافية الإستهلاكية الأمريكية أصبحتا من العوامل المهددة لهويات ثقافات الشعوب الأخرى بما فيها الثقافة الأوروبية، و من هنا نلاحظ ردة فعل الشعوب و الدول الأخرى في التمسك بهويتها كرد فعل لذلك، و هو ما يفسر تنامي تيار الهوية الإسلامية الذي بدأ يأخذ شكلا أكثر قوة و تصلب في التعبير عن ذاته ووجوده. أي أن أحداث 11 سبتمبر 2001 قد خلقت حالة من الحساسية الزائدة على الهوية، و هي في حالتنا العربية ردة فعل سلبية اتجاه الخارج، لم تخرج في تعبيرها عن نفسها عن دائرة الضعف و العجز الحاصلين في الواقع و النظام العربيين.<sup>1</sup>

وفي ضوء هذا تتمثل الهوية بمجموعة العادات والقيم التي تمثل الإطار الفكري للأفعال السياسية للأفراد في دول معينة، و في هذا الجانب تؤدي النظم السياسية دورا أساسيا في بناء هوية مجتمعاتهم، معتمدين على العديد من الوسائل المتاحة لهم.

غير أن الدول الغربية و عن طريق استخدام ظاهرة العولمة تحاول نشر و فرض نموذجها الثقافي على بلدان العالم الثالث، و لهذا النموذج أبعاد سياسية تحاول إستغلالها و إعتماها كأسباب للتدخل في شؤون هذه الدول، و ذلك في مجالات الحريات العامة و حقوق الإنسان، و الديمقراطية موظفة في ذلك آليات فعالة و مؤثرة، بفضل التطور التقني و ما تتمتع به من سيطرة إعلامية و معلوماتية على مستوى العالم.

فالصادرات الثقافية تأتي في المرتبة الثانية بعد الصادرات الإقتصادية بالنسبة للصادرات الأمريكية، و هذا راجع لهيمنة الشركات الأمريكية على وسائل الإتصال العالمية و التحكم بمضمون و توجهات هذه الوسائل التي تهدف إلى القضاء على الهوية العربية و تشتيتها في مقابل ترسيخ ثقافة و هوية عالمية ذات قيم و أفكار و تقاليد نابعة من الواقع الرأسمالي الغربي، و توصف هذه الثقافة بالكونية، و ربط

<sup>1</sup> أحمد حيدر قادري، "تحديا للهيمنة الأمريكية، الطريق إلى عولمة بديلة ديمقراطية"، مجلة قضايا فكرية، القاهرة، مكتبة مدلوبى، العدد 243، 2004، ص 395.

المكونات الثقافية القومية بهذا المكون الكوني من الموقع التابع و الخاضع بعد إفراغها من خصوصيتها الذاتية و تفكيك أنماط هويتها القومية أو الوطنية، و هذا يعني على صعيد البلدان العربية إلغاء الثقافة والهوية العربية.<sup>1</sup>

و الجدير بالذكر أن الدول الغربية و بخاصة الولايات المتحدة الأمريكية تعمل في إطار سعيها لنشر ثقافتها على البلدان العربية إلى توظيف آليتين رئيسيتين في هذا المجال هما: الغزو الثقافي و الإختراق الثقافي.

فالأسلوب الأول يستند إلى نقل نموذج ثقافي إلى بلد آخر بطريقة شاملة و كلية، و هذا هو حقيقة ما تمارسه الدول الغربية اتجاه البلدان العربية المؤيدة و المنجرفة مع تيار العولمة و قدرتها على التلاعب بالعقول عبر وسائل الإعلام، كالأقمار الصناعية و شبكة الإتصالات، و التي بواسطتها يتمكن من يمتلك مثل هذه الوسائل أن يبيث و يرسل الأخبار و التقارير و المعلومات التي يرغب بها لأي مكان في العالم و هي تعبر عن قيم و أفكار و عادات و معتقدات كامنة وراء ما يتم إرساله.

لذلك فوفق هذا الأسلوب يتأثر ولاء أفراد المجتمع للوطن أو للأمة و تسعى العولمة في جانبها الثقافي إلى إفراغ الهوية الوطنية و المواطنة من محتوياتها، لكي يصبح الفرد مرتبط و مدين بالولاء لأطراف خارجية أو للنموذج الغربي، و يبدأ بالمطالبة بإرساء هذا النموذج بكل ما يحتويه و يتضمنه.

و في ظل هذه الأوضاع يبرز التحدي الكبير الذي تواجهه الأنظمة السياسية العربية حول مدى إمكانيةها في بناء هوية وطنية قادرة على جذب المجتمع بكل فئاته إليها بالشكل الذي يحافظ على خصوصيتها النابعة من واقعنا الثقافي السياسي و عليه نستطيع القول، أن الهوية العربية عموماً قد أصبحت اليوم تعاني من ثنائية أو ازدواجية، فأحد طرفي هذه الثقافة هم الفئات التي تحمل قيماً و عادات و تقاليد وأفكار الغرب، بعد أن تعرضت هذه الفئات إلى مختلف وسائل التأثير السمعية و البصرية و المرئية و اللا مرئية و غالباً ما تكون هذه الفئة ما يسمى بالنخبة في المجتمعات العربية، التي لها إرتباطات ومصالح مع قوى الغرب بطريقة أو بأخرى.

أما الأسلوب الثاني و هو الإختراق الثقافي توظفه الدول الغربية ضد بلدان العالم الثالث، حيث يتضمن أنشطة إعلامية و فكرية توجهها جهة معينة نحو مجتمع ما بهدف خلق قيم و أفكار و تقاليد و سلوكيات

<sup>1</sup> ثامر كامل الخزرجي وياسر علي المشهداني، مرجع السابق، ص117.

أخرى في ذلك المجتمع، بما يخدم أهداف و مصالح الجهة التي تبث تلك الأفكار، فالعولمة حقيقة تسعى إلى إختراق الهوية العربية للأفراد و الجماعات لتحل محلها قيم و أفكار معبرة عن الذوق الإستهلاكي، والرأي العام السياسي الذي يتفق معها.<sup>1</sup>

ومن أجل تجسيد هذا الإختراق تعمل الولايات المتحدة على دعم الأقليات في الوطن العربي، خاصة مع تنامي هذه الأقليات و اتجاهها نحو النزعة الإنفصالية من أجل سعيها لتفكيك المجتمع السياسي العربي.

كذلك تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على نشر القيم المادية في إطار حملتها لإختراق الهوية العربية خاصة بعد أن أصبح الاقتصاد الحر هو المسيطر على النشاط الإقتصادي، أما المصلحة العامة فأصبحت مسألة هامشية في اقتصاد السوق لأن المجتمعات العربية تربي أفرادها على الألفة و على مبدأ التعاون، و لكن في ظل العولمة سوف تتحطم هذه العلاقات و الأواصر كلها و يصبح الفرد ذاتيا أنانيا لا يفكر إلا في كم المكاسب التي ستعود عليه هو فقط و لا يعنيه باقي أفراد مجتمعه، و هذه كلها تساهم في عملية التفكك الأسري و التفكك القومي.

كما تعمل الولايات المتحدة الأمريكية إختراق الهوية العربية خاصة مع التطورات الدولية على تدمير الصناعات الوطنية في الوطن العربي و التي تعد من أبرز مقومات المحافظة على الهوية القومية و التي تقوم على تشجيع السلع و الخدمات المحلية و الحد من السلع الأجنبية. و هذه الثقافة بالتأكيد تضر مبدأ إقتصاد السوق و فتح الأسواق العالمية التي تدعو إليها العولمة.

و لما كانت الهوية القومية تعمل على مقاومة السلع الأجنبية و تشجيع السلع الوطنية، فإن من مهمات منظمة التجارة العالمية القضاء على هذه الظاهرة، خاصة في الدول العربية التي لا تستطيع تنمية صناعتها الوطنية طالما أن المواطن العربي يفضل البضاعة الأجنبية لسهولة الحصول عليها و جودتها، و هذا ما يؤثر في ذوق المواطن العربي و بالتالي في الهوية القومية.<sup>2</sup>

و عليه فإن العربية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أصبحت تواجه العديد من القيود المفروضة عليها من الدول الغربية التي تسعى لنشر ثقافة غربية داخل الدول العربية و الإسلامية خاصة بعد ربط الإسلام بالإرهاب الدولي.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص 120-121.

<sup>2</sup> سهيل حسين الفتلاوي، مرجع سابق، ص ص 241-242.

و لذلك فالسبل التي يتعين على العالم العربي أن يسلكها من أجل الحفاظ على هويته و ثقافته العربية الإسلامية، خاصة كما ذكرنا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 و التي وضعت العالم العربي و الإسلامي كمنطقة لتكوين ما يعرف بالإرهاب، و محاولة الولايات المتحدة الأمريكية إستهداف الهوية الإسلامية العربية، و لهذا يستوجب على العالم العربي و الإسلامي القيام بالنقاط التالية للحفاظ على هويته و ثقافته و هي كالآتي :

- إيلاء أقصى الإهتمام بتطوير التعليم و النهوض به، و تحديث مناهجه و برامجها مع التركيز على التعليم النافع الذي يفيد الفرد و المجتمع و الذي يربي الأجيال على ثقافة العصور و يفتح أمامها آفاق المعرفة.
- تقوية التعاون بين دول العالم العربي و تعميق التضامن العربي و الإسلامي لتحقيق التكامل فيما بينهما، مع تعزيز العمل العربي المشترك في إطار تنفيذ الإستراتيجيات التي وضعتها المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة و صادق عليها مؤتمر القمة الإسلامي في دورته المتعاقبة.
- تسوية الخلافات بين الدول العربية، و الإحتكام إلى مبادئ الإسلام الخالدة لفض النزاعات، لإقامة علاقات أخوية متينة، تحقيقا للمصالح المشتركة، و جلبا للمنافع، و درءا للأخطار التي تهدد الأمة العربية و الإسلامية قاطبة.

فبانتهاج هذه السبل المستقيمة، تتقوى الذاتية الثقافية، و تصان الهوية الحضارية، و تحفظ الحقوق أمام غزو العولمة، و يتعزز حضور الأمة العربية و الإسلامية في الساحة الدولية فاعلة و مؤثرة و مساهمة في الحضارة الإنسانية الجديدة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عيد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، مطابع الشروق، 2004 ص60.

## المبحث الثالث: آثار العولمة الثقافية في الوطن العربي

بات من المسلم به أن العولمة هي وضعية كونية جديدة تخترق مجالات الحياة كلها، و تترك بصماتها على مختلف جوانب العيش، وقد فرضت العولمة الحالية تحديثها على مختلف الدول شمالا وجنوبا، ولم يكن الوطن العربي إستثناء من هذه القاعدة، بل إن التحديات العولمة على الدول العربية كانت باللغة الجسامة و على مختلف الجوانب و الأصعدة خاصة الصعيد الثقافي ، حيث أصبح العالم العربي يواجه العديد من التحديات من قبل العولمة الثقافية التي تعتمد بالأساس على وسيلة الإعلام للتأثير على الثقافة العربية .

وعليه سنتطرق في هذا المبحث إلى تلك الآثار التي خلفتها ظاهرة العولمة الثقافية في الوطن العربي مع إبراز الوسائل الرئيسية التي تعتمد عليه لتحقيق مبتغاها .

## المطلب الأول: الوسائل المؤثرة على الثقافة العربية.

من الواضح أن العولمة لا يمكنها أن تؤثر في الثقافة العربية إلا من خلال وسائل معينة، تعتمد عليها لتكريس منطقتها و تحقيق أهدافها، و من أهم هذه الوسائل الأكثر تأثيرا في الثقافة العربية تتمثل فيما يأتي:

## 1 السلع الثقافية

يتم تفعيل دور العولمة بطرق متعددة من خلال التأثير في عدة جوانب، و من تلك الطرق التسويق الهائل و العالمي بصورة تماثل سرعة الضوء للسلع التي أطلق عليها إسم السلع الثقافية، التي تتمثل في أجهزة التلفزيون و الصور و الدمى و كل ما يرتبط بالفنون السمعية و البصرية، و بالتأكيد إن هذه السلع لها تأثيرها المباشر و غير المباشر في المجتمعات المتلقية لها، حيث تشد الناس نحوها و تجعلهم يتمحورون حولها، و هي بدورها تعبر بصورة كلية عن الثقافة الغربية و عن محتواها، و ليس ذلك فحسب بل إن هذه السلع ترتبط بشرائح معينة في المجتمع الغربي الذي تتحكم فيه قوانين السوق، و لو على حساب المبادئ و القيم، حتى القيم التي يتبناها الغرب نفسه أي الثقافة النفعية بأحلى صورها.

حيث إصطبغ العالم بصبغة إقتصادية غربية، ليكون إقتصادا إستهلاكيا، و في الإجتماع ليكون ذا سلوك شاذ، و في الثقافة ليكون نفعية مصلحية، و في السياسة ليكون تابعا غير مؤثر، و في الدين ليكون صورة جامدة لا تحل الحياة يرتبط بالمراسيم و الطقوس، و هذا الإستنتاج إنما نبع من المقاصد المبيت التي تتبناها المنظومة الغربية.<sup>1</sup>

و يمكن وصف العنصر الثقافي بالإستهلاكية و الفردية المتوحشة. و ترويج الثقافة الإستهلاكية بأنه يمكن تحقيق رفاهية البشر و سلامتهم النفسية و الفكرية و راحتهم في الحياة من خلال الاستحواذ على السلع، وتبرر التنافسية الفردية الصراع من أجل البقاء و الوسائل المطلوبة لتحقيق ذلك، بالادعاء أنها قيم أعلى من رفاهية الجماعة، و يتم من خلالها حقن الضمير الجمعي على مستوى العالم بقيم الإستهلاكية والفردية، كما يتم تحويل التطلعات الجماهيرية إلى رغبات إستهلاكية فردية، حتى لو لم يتم الإستجابة للإحتياجات الضرورية للأغلبية العظمى من البشر.

و تعمل ثقافة العولمة الرأسمالية على تجريد السلوك الإجتماعي من أي طابع سياسي، و كبح جماح أي عمل جماعي يستهدف تحقيق تغيير اجتماعي، بتحويل مسار الأنشطة الإجتماعية إلى عادات البحث عن البقاء و الإستهلاك الشخصي.<sup>2</sup>

و تروج السلع الإستهلاكية نتيجة نقص و ضعف الإنتاج في البلدان و المجتمعات المستهدفة، كما هو الحال للأمة العربية التي تنتشر فيها حقيقة هذه السلع الثقافية و نجدها في متناول الجميع و سهل الحصول عليها، خاصة في ظل غياب ثقافة عربية إسلامية صحيحة و شاملة، و مع غياب إستراتيجيات واضحة داخل الوطن العربي لمواجهة خطر هذه السلع، هذا ما جعل الكثير من مواطني الوطن العربي يتجهون للبحث عن البدائل التي يرونها مناسبة في الثقافات و الأنظمة الأخرى، و إن كانت ضارة و تقصد هنا التوجه نحو الحضارة الغربية هذه الأخيرة تسعى جاهدة لنشر هذه السلع داخل الوطن العربي بأي شكل من الأشكال، فمثلا بعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية باحتلال العراق عام 2003، و على الرغم من حاجة الأسواق العراقية للمواد الطبية و الغذائية لمواجهة آثار الحرب، لكن أكثر ما أغرق الأسواق

<sup>1</sup> أنور عز الدين، العولمة جدلية المقاومة وبرامج المهام، مركز باحث للدراسات، على الرابط الإلكتروني:



العراقية بعد الحرب مباشرة هو بيع أجهزة البث التلفزيوني الدولي و الإنترنت و أجهزة البث الفضائي، والإعلانات الخاصة بالمشروبات الغازية، و غيرها من السلع الثقافية التي يروج لها الغرب.

## 2- الشركات المتعددة الجنسيات

ذهب الكثيرون إلى أن جوهر و لب العولمة، هو التوحيد النمطي للثقافة العالمية و إخراج الصور المحلية و إستبعادها لتفسح الطريق للتلفزيون الأمريكي و الموسيقى و الأطعمة و الملابس و الأفلام الأمريكية، غير أن أول ما أطل هذا الإصطلاح على الساحة العالمية كان بلباس إقتصادي محض، إذ يهدف إلى عملية تشغيل رأس المال عالميا، حيث يصبح كل العالم سوقا واحدا لمنتجين معينين مشتركين في الشركات الغربية الكبرى. يتم فيه تبادل المال و التجارة، و ذلك عبر إلغاء الحدود و الحواجز التشريعية والجمركية.

و يجري هذا جنبا إلى جنب مع زيادة في الإندماجات، حيث تملك العولمة شركات صناعية و تجارية ومالية ضخمة لها كما يقضي إلى زيادة في الدور العالمي لهذه الشركات الضخمة المتعددة الجنسيات التي تعمل إضعاف و تقليل دور الشعوب في عملية التطور، بهدف جعل العالم سوقا واحدة للمنتوجات الغربية و زيادة الفجوة بين العالم المتقدم و العالم المتخلف، ليصبح الغرب أشد غنى و الدول النامية المتخلفة أقل فقرا، خلافا للعدل و تساوي الفرص بين كافة البشر خاصة إذا علمنا ثلاثة أرباع العالم هي الدول النامية يحصلون على 16% فقط من دخل العالم، و يحصل بالمقابل 30% من سكان العالم وهي الدول الغربية على 85% من الدخل العالمي.<sup>1</sup>

حيث تعمل الشركات المتعددة الجنسيات على التغلغل داخل الدول مستعينة في ذلك بحقها بأخذ جنسية تلك الدول، إذ تعمل هذه الشركات داخل الدول المسجلة فيها كأنها شركات وطنية تتمتع بالحقوق والامتيازات التي تتمتع بها الشركات الوطنية في الوقت ان هذه الشركات تعود لمالكين أجانب و يعمل أصحابها لمصلحة الدول التي يحملون جنسيتها، و بالتالي فإن هذه الشركات من الناحية النظرية شركات وطنية غير أنها من الناحية العلمية تعد شركات أجنبية تعمل لمصلحة الدولة المسجلة فيها لأول مرة وهي الدول الكبرى.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أنور عز الدين، مرجع سابق.

<sup>2</sup> حسين الفتلاوي، مرجع سابق، ص271.

و من هذا المنطلق فإن هذه الشركات تنقل الثقافات الخاصة بالدول الكبرى للدول الأخرى المسجلة، على غرار ما يحدث في البلاد العربية التي يوجد بها عدد كبير من الشركات المتعددة الجنسيات في جميع الدول العربية، حيث تسعى هذه الشركات للتأثير على الهوية العربية و الثقافة العربية من خلال نشر القيم و المبادئ الغربية على كافة مجالات الحياة السياسية، الإجتماعية، الإقتصادية، الثقافية داخل الأقطار العربية.

### 3-عوامل الجذب النفسي(ثقافة العولمة)

يقصد بعوامل الجذب النفسي تلك القيم و المبادئ الغربية التي تسعى الدول الغربية لنشرها، أو ما يمكن أن نطلق عليها ثقافة العولمة أي الثقافة الغربية التي تريد أن تجعلها ثقافة عالمية و التي حقيقة كثيرا ما تستهوي العديد من أبناء الأمة العربية ،و يمكن أن نوجز هذه العوامل في ما يلي:

- ثقافة الديمقراطية و تعدد أفضل طريقة للحكم عند الغرب ،بما في ذلك ثقافة المشاركة في صنع القرارات السياسية بصفة خاصة، و القرارات الأخرى بصفة عامة، فالعالم الغربي لا يهمله أن تطبق الديمقراطية في الوطن العربي بقدر ما يهمله أن تكون الديمقراطية وسيلة للجذب النفسي، فإن كان المجتمع الغربي بها يملكه من وسائل قوة يسمح لمواطنيه المشاركة في إختيار ممثليهم في السلطة، و انتقاد هذه السلطة و التظاهر أمامها، ففي الوقت نفسه يحرم المواطن العربي من ممارسة هذه الحقوق، و يجد نفسه و كأنه في سجن محكم الجدران، هذا ما يجعل عيونه شاخصة نحو الغرب، و من المؤكد أن سلاح الديمقراطية الذي تحمله العولمة هو سلاح وهمي ليس الغرض منه تطبيق الديمقراطية بقدر ما هو زعزعة النظام القائم و إضعافه ،و السعي نحو نشر هذه الثقافة الغربية داخل البلاد العربية بالخصوص.

- عولمة التجارة و الإقتصاد القائمين على الفائدة، التي هي مصطلح النظام للتعبير عن الربا، على والقمار الذي إتخذ أشكالا متعددة و أبعاد خطيرة داخل الوطن العربي.
  - ثقافة عدم الفصل و التفريق بين جنس الرجل و جنس المرأة، حتى في الظهور الجسدي، خاصة و أن المجتمع العربي يحافظ على النسب، و تسعى هذه الثقافة للإطاحة بالمبادئ و القيم الأسرية داخل الأسرة العربية المسلمة.
  - ثقافة فن الرقص و الغناء و الموسيقى، واعتماد المفاتن البشرية، و توظيفها لخدمة ثقافة النظام العالمي الجديد و أهدافه و السعي وراء إدخال نمط جديد من الثقافة داخل البلاد العربية تقوم على هذه المبادئ أو القيم الغربية.
  - الإبهار العلمي و التقني، و العمل على التطور في هذين المجالين دليل على صحة التوجه في مجال العلاقات السياسية و الإنسانية و الاقتصادية و الإدارية و غيرها.
  - الفصل بين الدين و أنظمة الحياة المختلفة، لكي لا يشكل الدين عائقا أمام التغيير و التطوير للأنظمة و الأعراف في المجتمعات.<sup>1</sup>
- إن تعمل هذه الطرق و العوامل على جذب المواطن العربي لتقبل الثقافة الغربية، لا سيما بالنسبة للشباب الذين لم يتفهموا تاريخ أمتهم و دورهم الحضاري في التاريخ الإنساني، و يحاولون إتباع قيم الثقافة الغربية.

### المطلب الثاني: تأثير الإعلام في الثقافة العربية

إن منظومة العولمة لم تتحول إلى ظاهرة كونية إلا بفضل الثورة الإتصالية الشاملة، و في ظل تأثيرات العولمة الثقافية على إعلامنا العربي، أخذ المعنيون من رجال الإعلام تقديم صيغ و تصورات لبناء إستراتيجيات بديلة للعولمة الإعلامية الراهنة في عالمنا العربي تكون حلا لمعضلتنا الإعلامية.

و مع كثرة الحديث عن الإعلام و العولمة الذي إتسم بالاستقطاب الحاد بين تيارين:

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص280-281.

- الأول يؤيد بحماس و دون تحفظ عولمة الإعلام يبرز إيجابياتها باعتبارها التدفق الحر للمعلومات و حق الإتصال، و توفر للجمهور فرصا غير محددة لحرية الإختيار بين وسائل الإعلام والمعلومات.

- أما التيار الثاني فيعارض بشدة عولمة الإعلام و يرفض ما يقال عن إيجابياتها، و ينظر إليها باعتبارها نغيا للتعددية الثقافية و تسيد القيم الربح و الخسارة، علاوة على الإعتداء على حرية الإعلام و تفويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات و في سياق الجدل و النقاش حول العولمة فإن المتخوفين من مخاطر عولمة الإعلام على الثقافة العربية و التعددية الثقافية، و احتمال ظهور التتميط أو التوحيد الثقافي، ينطلقون من مسلمة نظرية هي التأثير الطاعي لوسائل التقليدية و الحدث كالوسائل المتعددة على حياة الفرد و المجتمع، أما غير المتخوفون من عولمة الإعلام فإنهم ينطلقون من مسلمة مضادة ترى أن تأثير الإعلام محدود.

و الغريب أن بمقدور كل فريق الاستناد إلى أطر نظرية و دراسات إعلامية تؤيد وجهة نظره و موقفه و الملاحظ أن حقل الإعلام و الإتصال لم يبلور نموذجا أساسا أو حتى نظرية شاملة تقدم فهما كاملا لعمليات التأثير الإعلامي، و يدور نقاش حول حقيقة التأثير و مدى هذا التأثير الذي تحدثه وسائل الإعلام. فهناك من يركز على القيم و الاتجاهات و أنماط السلوك لدى الفرد، فيما تركز نظريات أخرى على تأثير الإعلام و الإتصال في المجتمع و الثقافة و المنظمات الإجتماعية من الصعب، بل ربما من غير المنطقي القول إن إحدى هذه النظريات صحيحة و بقية النظريات خاطئة.

لكن هناك إقرار غالبية الكتاب العرب حول العديد منى الجوانب الشديدة الناتجة لانتشار العولمة الثقافية جراء عولمة الإعلام، كإنهيال السيادة القومية للإعلام العربي في ظل انهيار المفاهيم التقليدية حول القومية الحديثة، مثل السيادة على الفضاء و صنع السياسات الإعلامية و ظهور تقسيمات جديدة للعالم قائمة على أساس الجغرافيا الفضائية و تفكيك منظومة العلاقات و القيم الإجتماعية، إذ أصبحت العلاقة أحادية بين المرسل و الرسالة الإعلامية و مستقبلها.

فالحدود التي هي إطار وعاء الدولة و سيادتها تبدو عاجزة فعلا عن الوقوف في وجه الأنترنت و أطباق البث و الالتقاط.

و السلطة سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم غير ذلك حيث تفقد قدرتها التقليدية على الإمساك بخيوط الحركة في المجتمع و الدولة، مع تعدد مصادر التأثير و المعلومات و سهولة الحصول عليها.

و عليه تقوم وسائل الإعلام من خلال البث الواسع، بدور مركزي في اختراق منظومة القيم الثقافية العربية، من خلال ما تقوم به هذه الوسائل الإعلامية باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكرة العولمة وأيديولوجيتها، عبر الحوارات و نشر نتائج المؤتمرات و الندوات، حيث يتم تكثيف جهودهم من أجل إعادة تشكيل الرأي العالم العربي و العالمي.

لكننا على المستوى المحلي العربي، و بفعل الإختراق الثقافي و بالنسبة لنوعية السوق فإن هناك تكالبا لتقديم ما يرغب فيه الجمهور، و تعميم الإعلام و الإتصال المحلي أو المعلوم لثقافة الإستهلاك و المتعة و تقديم مضمون كالذي نراه سيئا و محبطا و يقتل فينا ملكة الإبداع و التفكير.<sup>1</sup>

بل إننا لو اتجهنا إلى الشباب العربي باعتباره أهم أهداف العولمة المعلوم، لوجدناه يبدو مهددا أكثر من غيره بمخاطر هذا الإختراق على النحو الذي يبرزه محمد عابد الجابري، حيث يؤكد خصوصية العلاقة بين العولمة و الهوية الثقافية عندما يتعلق الأمر بالوطن العربي فالإختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة لا يقف عند حدود تكريس الإستتباع الحضاري بوجه عام، بل إنه سلاح خطير يكرس الثنائية و الإنشطار في الهوية الوطنية و القومية، ليس فقط الآن، بل و على مدى الأجيال الصاعدة و القادمة، وذلك أن الوسائل السمعية و البصرية، المرئية و الا مرئية التي تحمل هذا الإختراق و تكرسه إنما تملكها و تستفيد منها فئة معينة هي النخبة العصرية و حواشيها، هي التي تستطيع امتلاكها و التعامل مع لغتها الأجنبية بحكم التعليم العصري الذي تتلقاه.

كما أن المتأمل فيما يتلقاه الشباب العربي اليوم من خلال وسائل الإعلام الوطنية، يتبين أن هذه الوسائل نفسها ترسخ هذا التناقض الخطير داخل الثقافة الوطنية، فهي من جهة تكثر من بث العنف و الإنحراف و الجريمة المحملة بالقيم السلبية و تشغل كل فترات الإرسال بالممنوعات و المواد الإشهارية المثيرة التي تعزف على أوتار الغرائز و الشهوات، و هي من ناحية أخرى تعرض برامج دينية تلقى إقبالا ملحوظا من قبل الشباب كالحصص التي يقدمها الدعاة للشباب، و بعض الفقهاء و المتخصصون في شؤون الدين،

<sup>1</sup> سامية جفال، "التحديات الإعلامية العربية في عصر العولمة الثقافية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 6، جانفي 2010، بسكرة، جامعة محمد خيضر، ص 2-4.

التي باتت تستقطب جيل المستقبل فهي ظاهرة لافتة للانتباه على إعتبار استقطابها أعداد كبيرة من الشباب العربي المسلم داخل البلاد العربية و خارجها.

إننا حقيقة أمام برمجة متناقضة يتقاذف فيها الشباب العربي الأغاني الماجنة و أفلام العنف و الإثارة والإعلانات الحاملة، و برمجة روحانية و عقائدية تتحدث عن مثل سامية و قيم عليا، إنه تأسيس لتناقض داخل الثقافة القومية حيث يبث الجهاز ذاته المسلسلات و الإعلانات التي تمجد السلوكيات المنحرفة، وفي الوقت ذاته يعرض للبعض المادة الدينية التي تبشر بقيم النقاء و الطهارة، الأمر الذي خلق لدى المشاهد العربي حالة من الحيرة و الارتباك أو حالة تتساوى فيها كل القيم، منحرفة كانت أو سوية.<sup>1</sup>

و يستخلص الملتقى العربي بعد ذلك و بدقة الإشكالات و المخاطر و التحديات الأخلاقية و الإجتماعية الناتجة عن الإنجازات في مجال الإعلام العالمي، و لعل ما يأتي على رأس تلك المخاطر و التحديات هو ما تتعرض له المكونات الأساسية للثقافة العربية ممثلة في الدين و اللغة العربية و الوعي التاريخي بالذات للآخر و يقابل ذلك على مستوى المنطقة العربية المعوقات التي تحول دون قيام وسائل الإعلام العربية بأدوارها المفترضة، و التي يكمن بعضها في طبيعة العمل الإعلامي ذاته، كما يرجع بعضها إلى سطوة المصالح التي تجسدها الحكومات و الجهات الخارجية.

و في ظل هذا النموذج من تأثيرات العولمة الثقافية على إعلامنا العربي و ما خلفته من تناقضات عميقة على مستوى التفكير الجاد النافع، القومي الوطني، أخذ المعنيون من رجال الإعلام و الباحثون من تقديم صيغ و تصورات لبناء استراتيجية بديلة للعولمة الإعلامية الراهنة في عالمنا العربي.

حيث تكون نقطة البدء في نظر الإعلاميين العرب لهذه الإستراتيجية هي المشاركة النقدية في الجدل العالمي حول إشكاليات العولمة و القضايا و التحديات التي تطرحها على شعوب العالم.

حيث أن طرح هذه الإشكالات يساعد في فهم و تحليل إتجاهات و أنماط التفاعل بين عولمة الإعلام بثقافته الأحادية و الهوية الثقافية العربية، و من ثم تحديد الفرص و المخاطر و الخيارات المتاحة أمام الثقافة العربية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المنجي الزبيدي، "ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام"، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد1، سبتمبر 2006، صص 222-223.  
<sup>2</sup> عيد المجيد البدوي، "العولمة والثقافة ووسائل الإعلام الجماهيري"، مجلة الإذاعات العربية، تونس، العدد3، 2001، صص 11.

## المطلب الثالث: إكراهات العولمة الثقافية على الأمن الثقافي العربي

يواجه الأمن العربي الثقافي جملة من الإكراهات أو التحديات و يمكن إجمال هذه التحديات فيما

يلي :

أول إكراهات للأمن الثقافي العربي هو أمواج العولمة الثقافية التي باتت تجتاح كافة وحدات المجتمع الدولي بدون إستثناء، تحت زخم القدرات الهائلة التي أتاحتها الثورة الجارية في شبكة الإتصالات العالمية و هياكلها القائمة في المجتمع الدولي التي مكنت القوى المتحكمة في الثورة من الترويج لثقافة العولمة، ولعل ما ذهب إليه "جون هيرز" عن حال هذه الخطورة قبل ثورة الإتصالات كانت الدولة الوطنية إلى حد كبيرة قادرة على توجيه قيمها و أفكارها طبقا لرؤيتها على منع تسلل القيم و الأفكار و الإيديولوجيات الأخرى إلى داخلها، غير أن الثورة مع التكنولوجيا في وسائل الإتصال و الإعلام، جعلت حماية الإقليم والسيادة و القيم الوطنية أمر صعب المنال، بكيفية أصبحت معها هذه المسلمة معطى شبه شكلي له قوة رمزية أكثر منها فعلية.<sup>1</sup>

وثاني إكراهات الأمن الثقافي العربي، هو ضعف بنيته الداخلية التي باتت تعاني حالة التخلف الثقافي العربي الذي سهلت من عملية الإستيلاء الثقافي، و تزداد الأوضاع خطورة مثلما حذر منه تقرير "المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم" مع بعض المحاولات الجارية داخل بعض الدول العربية لخلق ثقافات محلية أو كيانات ثقافية متناحرة ، أو مناهج عامية في التعبير، أو ذات أغراض مشبوهة.<sup>2</sup>

وثالث هذه الإكراهات يتمثل في تبعيته الخارجية للثقافة الغربية الأقوى، الأمر الذي إنجر عنه ضعف تماسك الثقافة العربية، و مما زاد في مضاعفة خطر هذه التبعية هو إرتباط النخبة المثقفة بالمجتمعات الغربية التي عادة ما توظف هذه النخبة كمدخل لتحقيق الإخترق الثقافي للمجتمعات العربية، فقد كان عدم التجانس بين هذه النخبة مع سياقها الإجتماعي بل و أخطر من ذلك نظرتها إلى قضايا مجتمعاتها بعيون غربية، و خاصة مع التهميش التي تعانيها و أيضا التحفيزات و الإمتيازات المادية و العينية التي تتيحها هذه القوى لهذه النخبة في حالة تشغيلها لديها، و بهذا تعمل هذه الفئة النخبوية بوعي أو بلاوعي على تعميق التبعية الثقافية للغرب.

<sup>1</sup> أحمد ثابت وآخرون ، مرجع سابق، ص164.

<sup>2</sup> المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، الخطة الشاملة للثقافة العربية، ط2، تونس : إدارة الثقافة، 1996، ص24.

و أما رابع الإكراهات، هو الفجوة التي تريد القوى المعادية لمصالح المنطقة اصطناعها بين العروبة والإسلام التي ظلت لقرون مضت الإسمت المسلح و الحصن المنيع للأمن الثقافي العربي في أبعاده العربية و الإسلامية، و لكن الذي نراه هو محاولات بعض الأطراف إدخال المنطقة في صراع ثقافي عقيم، هدفه حسب ما قال "محمد المليبي" الأمين العام الأسبق للمنظمة العربية للتربية و الثقافة: "هو بذر القطيعة بين الإسلام و العروبة لحرمان الأمة من درعها، بما يسهل عملية إختراقها، الأمر الذي ينعكس بالسلب على تماسك الثقافة العربية بما يهدد أمنها و عطاءها العالمي.

أما خامس الإكراهات يتمثل في تحديات العولمة الثقافية التي يتفق أغلب الباحثين على أنها عملية تعميم للثقافة الأمريكية على الصعيد العالمي بلا إستثناء، و من ثمة فإن الأمن الثقافي العربي مشمول بهذا التتميط الثقافي الأمريكي، و آثار هذه الأخطار الداهمة للثقافة العربية من خلال عدم التكافؤ في القوى بين الثقافة الغربية و الثقافة العربية، بكيفية وحيدة الإتجاه، باتت معها ثقافة القوى هي التي تصدر المؤثرات و لا تستقبلها، فكان أن شاعت القيم الغربية المقدمة بأساليب ذكية فيها الكثير من الإغراءات التي تستهوي شرائح عريضة من أجيال الشباب.<sup>1</sup>

وسادس هذه الإكراهات، هو الانفجار المعرفي الذي جاء للعالم بكتل هائلة من المعارف المختلفة في الكم و النوع، الأمر الذي ترتب عنه صعوبة التكيف معها، بفعل التزايد المستمر و التنوع الهائل المعقد لإفرازاتها التي باتت ليس من السهولة بحال إستيعابها و ملاحقة كافة أبعادها، فكان المشهد العالمي بفضل هذه الثورة المعرفية، هو سعة المعلومات و تشابكها مع إنهيار الأبعاد بين وحدات المجتمع الدولي و ترابطها.

أما بالنسبة لسابع الإكراهات هو تحدياته العلمية التي تتجلى قدراته المتواضعة من خلال عطاءات البحث العلمي العربي و أبحاثه التطويرية المتواضعة بفعل ضآلة الميزانية المخصصة له بما يعادل 0.2 في المائة، من ناتجها الإجمالي، أي سبع المتوسط العالمي الذي يفترض أن يعادل 1.4 في المائة، وهذا الإنفاق المتواضع نتج عنه تقدم دول المنطقة في هذا المجال بشكل عفوي بالنهوض العام للمجتمعات العربية، الملاحظ عليها تباطؤ في النهوض العلمي في هذا المجال، و معظم المقاربات المعاينة للواقع الذي يعيشه البحث العلمي في الوطن العربي تجمع على تواجد المعوقات التالية:

<sup>1</sup> محمد المليبي وآخرون، الأمن العربي التحديات الراهنة والتطلعات المستقبلية، باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، 1996، ص 118-119.



- 1- ضعف البنية المؤسساتية العلمية على الصعيد الوطني و القومي.
- 2- غياب إستراتيجية عربية شاملة لمعالجة أزمة الأمن العلمي العربي.
- 3- قلة عدد الباحثين مقارنة بالمعدل الوسطي العالمي و الدول المتقدمة.
- 4- غياب سياسة علمية عربية واضحة المعالم متناسقة الأهداف على الصعيد العربي.
- 5- نزيف الأدمغة العربية إلى الدول المتقدمة.
- 6- نقص مردودية الباحثين العرب، بحكم الافتقار للمنظومة التحفيزية في العالم العربي.<sup>1</sup>

و تلك هي في مجملها أهم الإكراهات التي تواجه الأمن الثقافي العربي، الذي تتطلب حمايته إستكمال المقومات الأساسية للثقافة العربية، الأخيرة التي تعرضت للإهتزاز من خلال تجديد قدراتها الذاتية الخلاقة، ثم تحويل العلاقة الجدلية القائمة بين الثقافة العربية و باقي الثقافات العالمية الأخرى، من علاقة هيمنة و إستلاب إلى علاقة مثاقفة و حوار قائم على الشراكة التي تثبت الخصوصية التي تخصب الآخر بقدر ما تستفيد منه، باعتبار أن الثقافة إنما تأمن على نفسها بالعطاء و الإيداع لا بالإنفاق والتحصين في عصر العولمة الثقافية.

<sup>1</sup>المرجع السابق، ص ص120-121.

## المبحث الرابع: نحو مشروع للأمن الثقافي العربي

رأينا من العرض السابق ما يعانيه الواقع العربي من مخاطر متنوعة تهدد أمنه الثقافي، سواء كانت هذه التهديدات تهديدات داخلية، أو تهديدات خارجية، وعليه يتطلب هذا الواقع ضرورة وضع مشروع حقيقي تتعاون الدول العربية فيما بينها من أجل تجسيده على أرض الواقع من أجل حماية أمنها الثقافي من محاولات الإحتواء و المهيمنة من قبل الثقافة الغربية.

و عليه سنتناول في هذا المبحث الخطوط العريضة للمشروع العربي من أجل حماية الأمن الثقافي الذي حددت معالمه المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.

## المطلب الأول: وسائل المحافظة على الثقافة العربية

من الواضح أن المجتمع الغربي يعمل على المحافظة على مصالحه في أي جزء من العالم، ولما كان الوطن العربي يحتل المرتبة الأولى في إمتلاكه للطاقة و ليس للمجتمع الغربي البديل و التخلي عنها فإنه من الطبيعي أن يعمل على جعل الوطن العربي أمة ضعيفة تابعة غير مستقرة يسودها الجهل والتخلف و غير واعية سواء عن طريق إستخدام القوة العسكرية أم التأثير في الشخصية العربية بمنعها من الوصول لناصرية العلم أو عن طريق الغزو الثقافي.

إن القدرة التي يتمتع بها الغرب في غرس ثقافة منافية لأهداف الأمة العربية و الدين الإسلامي الحنيف لا يعني عدم القدرة على المواجهة، فهناك العديد من الوسائل التي يمكن بها مواجهة الثقافة الغربية والمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية، و من أهم هذه الوسائل والأساليب مايلي :

1 - تشكل العولمة تحديا كبيرا للثقافة العربية و التراث العربي الإسلامي، غير أن مواجهة هذا التحدي تبدأ بالذات عن طريق التركيز على مقومات الثقافة العربية و الإرتقاء بها و بالإنفتاح الثقافي. و هذا لا يعني أن نقف ضد وسائل نشر الثقافة الجديدة كالإنترنت و ثورة المعلومات شبكة الإتصالات و الثورة العلمية و التقنية، بل يجب أن نسعى للمشاركة في هذه المجالات لا متخلفين فنحصر أنفسنا في زاوية التخلف و التحجر، بل لا بد من إستخدام هذه الوسائل لنشر و تكريس الثقافة العربية و التراث العربي الإسلامي بما يتلاءم معها و بأسلوب جديد يجذب الشباب و ينمي فيهم قدرة الإستيعاب.

2 - تثقيف الجيل المعاصر و الأجيال المقبلة بأن ليست هناك ثقافة واحدة بل ثقافات متعددة، فلكل مجتمع ثقافته الخاصة، و أن المجتمع العربي يستمد ثقافته من التراث العربي الإسلامي و التي تصلح لكل لزمان و المكان، و هي ثقافة أصيلة قادرة على مواجهة الثقافات المستتبطة كلها من الفكر المادي الرئيسي، و هذا لا يعني عدم الإفادة من الثقافة الإنسانية العالمية، غير أن الأساس الذي يعتمد عليه هو الثقافة العربية الإسلامية.

3 - يمكن للهوية الثقافية العربية أن تتواءم مع العولمة مع الحفاظ على إستقلالية الذات، و يبقى الفهم للإشكاليات المركزية الملحة هو المدخل للبحث عن منهج فعال لمقاربتها. هنا يكون المثقف قد وضع نفسه في قلب الصراع الثقافي بعيدا عن ترديد شعار الهوية دون أدنى تفاعل مع الواقع. إن الأمر يتعلق بهوية ثقافية جديدة لا تقدر الماضي و لا النماذج المثالية و الأساس في كل هذا هو بناء هوية ثقافية داخلية تهتم كل الشرائح الإجتماعية التوافقية للتحرر و الفعل، و تجاوز إستلابها المركب، مما يعني أن هذه الهوية الثقافية الجديدة ستكون مدخلا لبناء ذات مستقلة في إطار معارك سياسية و إقتصادية لا يمكن خوضها دون إقرار الثقافة العقلانية، و نحن عندما نواجه ثقافة العولمة فإن ذلك لا يعني أننا نمنع غيرنا من الإنحدار بمجرباتها فلكل مجتمع ظروفه الخاصة، فقد لا تملك مثل هذه المجتمعات ثقافات خاصة بها وتكون ثقافة العولمة ملاءمة لها و منسجمة معها، بينما يمتلك المجتمع العربي تراثا ثقافيا عميقا يمتد إلى آلاف السنين، فبدفاع هذا المجتمع عن حضارته فحسب و بترك للآخرين حرية الإختيار.<sup>1</sup>

4- إعتقاد أسس التحصن الذاتي، إذ جعلت العولمة كل شيء مفتوحا أما الفرد يصل إليه بدون وجود أي موانع تذكر حتى مع وجود الردع و القهر و الرقابة بل إن الردع القاهر قد يتحول في بعض الأحيان إلى كبت سلبي يتجه للإنصهار و الذوبان في الثقافة الغازية بعد إرتفاع المانع القاهر أو غيابه المؤقت، و إذا كان منهج الآباء قد قام اليوم على سياسة الكبت و المنع في مواجهة الإنحراف فإن المنهج هذا اليوم قد أصبح بلا أثر، ذلك أن المنهج الثقافي الأكثر فاعلية في مواجهة تداعيات العولمة المفتوحة هو إيجاد أسس التحصن الذاتي المبني على التوعية بصورة سليمة مع تغذية مستمرة و تلقيح معلوماتي قوي للوقاية من الإنحراف مع توفي بدائل متكاملة و قوية في مواجهة أدوات العولمة و قيمها.

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات"، مرجع سابق، ص41-42.

5- يشكل الفضاء الإعلامي و النسيج المعلوماتي أحد أهم أدوات العولمة في انتشارها و سيطرتها الإقتصادية و الثقافية، حيث تحولت هذه الأدوات إلى حتميات لا تفارقنا أبداً و لا يمكن مقاومتها بصورة إرتجالية أو خطابية.

هذه الأدوات لنشر المعلومات السليمة و الإيجابية التي تحافظ على قيمنا الإسلامية و نشر الأخلاقيات الرفيعة و السامية، عبر تأسيس فضائيات هادفة و متكاملة و إنترنت شامل و واسع يحتوي على البدائل كافة التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية.

6- و لعل أبرز ما يدخل ضمن دائرة الممكن أمام تحديات العولمة هو إمكان إصلاحنا و محافظتنا على الأسرة، حيث تعتبر أصغر مكون جماعي للمجتمع مقابل المؤسسات و القرى و المدن و الدول والحضارات، كما أن الأسرة هي اللبنة الأساسية لبناء المجتمع، تؤثر في مساره و تحدد هويته بشكل كبير، و نحن في المجتمعات العربية لدينا بالإضافة إلى أهمية الأسرة و دورها معطيات مهمة نرى بها بصيص الأمل نحو مواجهة تحديات العولمة، هذه المعطيات هي التماسك و الإستقرار في داخل الأسرة الواحدة من جهة، و الترابط فيما بين الأسر المختلفة عن طريق النسب و التزاوج و الجيرة من جهة أخرى، نتيجة توجه الإسلام لمعتنقيه بالمحافظة على الزوجية و التواد و صلة الرحم و حسن الجيرة و غيرها.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: بؤادر حول المشروع العربي للأمن الثقافي العربي.

يعاني الواقع العربي من مخاطر متعددة تهدد أمنه الثقافي، فإلى جانب أن البنية الثقافية تعاني من الضعف و قصور الوسائل و المؤسسات تتوالى الهجمات و محاولات التسلل من التيارات و يتطلب هذا الواقع بذل جهد منظم تتوافر له الإمكانيات و الوسائل لمواجهة محاولات الإحتواء و الهيمنة على الثقافة العربية من قبل الدول المعادية، كما يتطلب التخطيط لإصلاح مؤسسات الثقافة الوطنية و أساليبها و توجهاتها.

و هذا الجهد العلمي يجب أن يتبلور في مشروع ثقافي عربي يضع البرامج للعمل و يحدد الإطار للتنفيذ فيعالج جوانب الضعف في البنية الثقافية عن طريق خطة للتنمية الثقافية الشاملة و يحدد التوصيات التي

<sup>1</sup> سهيل حسين الفتلاوي، مرجع سابق، ص 286-288.

تضمن تأمين الثقافة ضد الأخطار الخارجية و يتجاوز في كل ذلك المعوقات التي يطرحها واقعة التجزئة السياسية.

إن المرتكز الأساسي في بناء المشروع الثقافي العربي هو اعتماد نظرية شاملة للثقافة العربية، ذلك أن هناك كثيرا من التخطيطات و السياسات ترسم دون وضوح لفلسفة الثقافة العربية و دون تحديد للمنطلقات الأساسية للمشروع، و بعض هذه التخطيطات لم تتبع في تصوراتها و مبادئها من نهر الفكر العربي.<sup>1</sup>

و لهذا يستوجب أن يهدف مشروع الأمن الثقافي العربي إلى تحقيق: الوعي بالذات الثقافية، و الوعي بالدور الحضاري، و الوعي بعملية التشويه أو النقص لمقومات الثقافة العربية الإسلامية و البصيرة بالجرائم الفكرية و الروحية التي ترتكب ضد الأمة العربية.

إن الهدف الأول للمشروع هو غرس الوعي (الوعي بالذات، الوعي بالموقف، الوعي بالآخر) و تنميته لتحقيق الحصانة الفكرية لدى جماهير الأمة، و لذلك لابد من تحديد الجوانب التي تشكل بنية الثقافة العربية المتمثلة في: الدين الإسلامي، اللغة العربية و آدابها، التاريخ الحضاري للأمة، التراث العربي.

فيما تتحدد الوسائل الثقافية في: الصحافة و الإعلام، التلفزيون و الإذاعة و السينما و المسرح، و النشر و التعليم و الفنون و الآداب و يأتي بعد ذلك تحديد المشكلات التي تعترض هذه الوسائل الثقافية والمتمثلة في ضعف البنية الثقافية، و محاولات الإحتواء و الإستلاب التي تفرضها الثقافة الغربية.

و الخطوة الأخيرة هي بناء تنظيم ينسق بين المكونات الثقافية العربية، و يعمل على تقدمها في الإتجاه الصحيح و يحفظها من الجمود أو التبعية للغرب.<sup>2</sup>

إن هذا التنظيم الثقافي ينبغي أن يسير في طريقين لتحقيق الأمن الثقافي العربي هما:

1- تحقيق الإستقلال الثقافي في مواجهة محاولات السيطرة الخارجية عبر الشركات عابرة القومية ووكالات الأنباء و الإنتاج التلفزيوني و السينمائي و الصحافة و النشر و شركات الدعاية والإعلان و الأفمار الصناعية و غيرها.

2- تحقيق التنمية الثقافية بإعادة بناء المؤسسات الثقافية في الداخل لتقوم بدورها في خدمة الثقافة الوطنية في إطار خدمة التنمية الشاملة للوطن العربي.

<sup>1</sup> محمود محمود النجيري، مرجع سابق ص 199.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 209.

إن الإستقلال الثقافي يمثل ضرورة للإستقلال السياسي و الإقتصادي، و قد أثبتت الوقائع أن الإستقلال الثقافي يمثل شرطا أساسيا لكل محاولات التغيير و الإصلاح و إنهاء التبعية الشاملة، فبلا إستقلال ثقافي تتعرض جوانب المجتمع كافة للإبهار .

إن أبرز الأمور التي تساعد على تحقيق الإستقلال الثقافي العربي هي إعداد دائرة المعارف العربية، فالعرب اليوم و للأسف يفتقدون دائرة المعارف العربية، فالعرب اليوم و للأسف يفتقدون دائرة معارف تعبر عن ثقافتهم و تجمع جهودهم و فكرهم، و هذا أمر يعوزهم إلى الإعتماد على دوائر المعارف الأجنبية التي وضعها الغرب.<sup>1</sup>

كما ينبغي أن يسير هذا التنظيم وفق رؤى واضحة لتحقيق التنمية الثقافية عن طريق تقوية المؤسسات المسؤولة عن تجديد القيم و الرموز داخل الوطن العربي.

و هذاما يتطلب أيضا تحديد أبعاد هذا المشروع و يمكن تلخيص هذه الأبعاد في النقاط التالية :

- القضاء على عوامل الإنحطاط و التبعية و الضعف و القصور، بعد تشخيصها و تبيينها.  
- تقوية عوامل التقدم و النهوض بالمجتمعات العربية، إنطلاقا من الرؤى و المقومات المكونة للثقافة العربية.

- العمل على إيجاد وسائل المساندة و التشجيع و فتح السبل جميعا للتطبيق العلمي.<sup>2</sup>

و بعد تحديد أبعاد المشروع الثقافي يجب الوقوف عند بعض المؤشرات قبل الإنطلاق في تجسيد هذا المشروع الثقافي، فلا ينبغي أن يغيب عن أعيننا وطأة الواقع و نعني بالذات مشكلة الأمية المتفشية في البلدان العربية، إن الأمي أكثر من غيره إستجابة للموجهات الثقافية الخارجية، و أقل قدرة على مواجهة تأثيراتها نظرا لقلة محصولة الثقافي و ضعف حصانته الفكرية، و هذا يدعو المتقنين و المنظمات والمؤسسات الثقافية إلى إجراء عملية تعليم و تثقيف للجماهير التي تعاني ليس فقط من أمية القراءة والكتابة و لكن تعاني من أمية الفكر أيضا، كما ينبغي في هذا الجانب تحقيق و تعميق الإنتماء للثقافة، إنتماء يهدف إلى خلق إنسان عربي جديد في فكره وسلوكه و في نفس الوقت ملتزم بالأصول و المورثات الثقافية و ملتحم مع العصر و معطيائه.

<sup>1</sup> المرجع السابق، صص 210-211.

<sup>2</sup> عبد العزيز عثمان التوجري، مرجع سابق ص 69.

و لا بد في هذا المشروع من توجيه إهتمام متزايد للشباب العربي لأنه يعاني كثيرا إزاء الواقع الثقافي العربي، باعتباره الفئة الرئيسية التي تتعرض للغزو الثقافي لأنه يميل بطبعه إلى التجديد و الفضول في التعرف على الوافد، و هو لا يملك مع ذلك الحصانة الفكرية التي تعصمه من السقوط في شرك الغزو والإختراق الثقافي الغربي.

و في هذا السياق يجب التأكيد على أهمية الإرتباط و التواصل و الحوار بين الأجيال على الساحة العربية كلها، و بناء جسور من التناصح و التفاهم من خلال إقامة الملتقيات و المنتديات و الحلقات و المؤتمرات للشباب على مستوى الوطن العربي.<sup>1</sup>

إضافة إلى ما سبق نطرح عددا آخر من المؤشرات في المشروع العربي الثقافي هي:

- رسم سياسات ثقافية تتفق في مطلقاتها و غاياتها مع المقومات الثقافية للأمة، وتضع هذه السياسات البرامج المحددة و طرق تنفيذها، و تضع في إعتبارها الواقع و الإمكانيات فلا تهيم في تحديدات خيالية بعيدة عن الواقع و متطلباته، و ينبغي ألا تخضع هذه السياسات في الوقت ذاته للعوائق التي تحد من إنطلاقها في إغناء الأمة ثقافيا.

- يجب أن تتغير القيم و المعايير في نظرتنا للثقافة، و أن يختفي المفهوم التقليدي للثقافة، بل ينبغي أن تتغير الثقافة في حياتنا تماما، فليست الثقافة ترفا أو طلاءا خارجيا، كما أنها ليست مواجهة موسمية لقضايا طارئة تורך النظم السياسية، و ليست الثقافة شيئا يصنع في إدارات الثقافة ليضاف إلى حياة المجتمع، فإن وزارات الثقافة لا تبدع الثقافات.

- التوعية الجماهيرية بمخاطر التعامل مع المنتجات الثقافية الأجنبية و الدعوة إلى الإعتماد على المنتجات الثقافية الوطنية، و هذا بطبيعة الحال يتطلب توفير منتجات ثقافية وطنية تتسم بالجودة.

- ينبغي التقليل قدر الإمكان من الإعتماد على وكالات الأنباء الغربية، فليس من المعقول أن يستمر تدفق الأنباء في إتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب، و ليس من المعقول أيضا أن يكون للأنباء المتصلة بالغرب نصيب كبير في إعلامنا.

<sup>1</sup> محمود محمود النجيري، مرجع سابق، ص 213-214.

- كما يقترح إصدار صحف عربية قومية تتجاوز حدود الإقليمية و الإختلافات السياسية لتكون المنبر المعبر عن كل العرب، و تكون في قوة الصحف العالمية، و لا يحكمها الولاء إلا لمصلحة الأمة.

- لا بد من تدارك ضعف إنتاجنا التلفزيوني وذلك بإنتاج أفلام و مسلسلات و برامج تكون على درجة عالية من الجودة و الجاذبية و معبرة، و إذا كانت الأفلام و المسلسلات قد أصبحت تجارة هدفها جمع الأموال الطائلة دون مراعاة للدور الثقافي الخطير الذي تمثله داخل البيوت و دور العرض، فالواجب أن تقوم الحكومات بدورها بتشديد الرقابة على نحو أشد على الأفلام التي تغير المفاهيم الصحيحة و تبذل الأخلاق الكريمة و تكرس للصراع الأسري.

- العمل على تنظيم قطاع النشر بما يحميه من تيارات معادية داخلية و خارجية و يحقق له العمل بكفاءة في خدمة حركة المجتمع العربي.<sup>1</sup>

و يطرح السؤال هنا حول المسؤول عن تنفيذ التوصيات و المقترحات التي يضعها المشروع العربي للأمن الثقافية، فهل الحكومات العربية هي المسؤولة عن تجسيد هذه التوصيات لوحدها؟ أما هناك أطراف أخرى تتقاسم معها المسؤولية في تجسيد هذا المشروع؟ إن المسؤول بطبيعة الحال عن تجسيد المشروع هي حكومات الدول العربية بما في يدها من إمكانيات و بما عليها من موانع مغلظة إتجاه الأمة، فلا ينبغي أن تعمل النظم السياسية الحاكمة على نشر ثقافة تخالف المجتمع أو تضعفها، بل ينبغي أن تحمل الأمانة في تصحيح مسار الثقافة العربية حين يصيبه الإحراف، و تصحيح توجهاتها حين ينالها التشويه، و هذا هو دورها المفروض.

لكن هذا لا يعني بطبيعة الحال المثقفين العرب من القيام بدورهم، فهم أصحاب الرأي و الفهم و الوعي، وعليهم أن يمارسوا دورهم الطبيعي في حماية الثقافة و تقويم مؤسساتها و وسائلها، كما أن عليهم أن يتسلحوا بالإيجابية في توجيه الحركة الثقافية للمجتمع و ألا يركنوا إلى الإنعزال و أن يقوموا بالتعاون على إنشاء المزيد من المؤسسات الخاصة بالثقافة التي تعبر عن توجيه نحو الثقافة الأصيلة و تمهد الطريق للوحدة الثقافية العربية.

و مع ذلك فإن الواجب الأكبر نحو الثقافة يقع على الحكومات العربية لأنها تملك السلطة التي يمكن أن تمنح الثقافة و الإزدهار.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ص222-223.



## المطلب الثالث: الخطة الشاملة للثقافة العربية.

لا يزال الواقع الثقافي العربي في حاجة ملحة لوضع خطة ثقافية عربية شاملة تتخطى الإيديولوجية المطروحة، التي مزقت الوحدة الثقافية العربية الإسلامية التي تعتمد على التراث بوحي و لا تتمرد عليه، و تمد أقدامها في الواقع و لا تتخلف عنه أو تتصهر فيه، لتصنع مستقبلا أفضل للثقافة العربية.

إن تعدد الاتجاهات و التوجهات داخل الوطن العربي، بين ثقافة العلمانيين المؤيدين لفكرة الإنصهار في العولمة، و بين التوجه الأصولي الرافض للعولمة الثقافية و مضامينها، يعد التحدي الأول أمام أية خطة ثقافية عربية شاملة موحدة، لأن الواقع الثقافي العربي تتوزعه دعوات مختلفة و متصارعة، و هذا يحول دون التوحد الثقافي داخل الوطن العربي و يجعل محاولة التخطيط لثقافة عربية واحدة أمر من الصعب جدا تجسيده على أمر الواقع، على الرغم من الجهود المبذولة من طرف المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم التي تعمل منذ مدة حول وضع إستراتيجية شاملة للثقافة العربية تتضمن تحديد المنظور المستقبلي العربي و الرؤية الواضحة لنوع الإنسان العربي بثقافة جديدة، و شكل المجتمع العربي المعاصر، و بناء نظرية ثقافية متكاملة على أساس ذلك لتكون الإطار المرجعي للسياسات الثقافية العربية في تنوعاتها القطرية و ضمن تحديات العولمة الثقافية القائمة على الغزو و الإختراق الثقافي داخل الوطن العربي.<sup>2</sup>

و تقوم هذه الخطة على عدد من المبادئ الأساسية يمكن إيجازها في الآتي:

- إن الثقافة هي قوام شخصية الأمة، و المعبر الأصيل عن تطلعاتها و الدعاية الحقيقية لوحدها الشاملة.

- ضرورة وضع سياسة ثقافية عربية واحدة واضحة الأهداف و المعالم و الوسائل.

- ضرورة التكافل الثقافي العربي و دعم مجالات التعاون فيه، و بتنسيق متكامل يعزز الوحدة الثقافية العربية.

- الإيمان بالدور الحضاري الرائد للثقافة العربية.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص224.

<sup>2</sup> المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع سابق ص22.

- القضاء على جميع آثار الغزو الثقافي و الفكري ظاهرا كان أو متسترا.
  - تأكيد اعتبار الثقافة حقا لجميع المواطنين مرادفا لحقهم في التعليم و لحقوقهم السياسية و الإجتماعية.
  - وجوب دعم اللغة العربية و إستخدامها في كل وسائل الإعلام فاللغة القومية أهم دعامة للوحدة.
  - تنظيم التكامل و التنسيق بين أجهزة الثقافة و أجهزة التعليم و الإعلام.
  - توحيد الأنظمة العربية في جميع مجالات النشاط الثقافي أو التقريب بينها.<sup>1</sup>
- كذلك ينبغي العمل على تطبيق إقتراحات أخرى بإمكانها أن تساهم في بناء خطة فعالة و شاملة للثقافة العربية قادرة على حمايتها من تهديدات العولمة الثقافية و تتضمن هذه الإقتراحات في النقاط الآتية :
- إنشاء صندوق للإنماء الثقافي خاص بالدول العربية يمول بالطرق التالية :
  - مساعدات من المؤسسات الراغبة في هذا العمل.
  - مساعدات من أفراد مقتدرين يتم إختيارهم من مختلف دول العالم العربي، و يطلب منهم مساهمتهم في تكوين رأسمال الصندوق المذكور.
  - خصم نسبة مئوية معينة من القروض التي تقدمها البنوك العربية للتنمية للدول العربية، كمساهمة منها في تمويل الصندوق.
  - تخصيص 1% من الناتج الإجمالي في دول العالم العربي للمشاريع الثقافية.
  - تطوير النظم و إجراءات التواصل الثقافي و الفكري بين الدول العربية، و كذلك بين مؤسساتها الثقافية و يكون ذلك بتبادل الخبرات و الأعمال العلمية و الثقافية و المواد الإعلامية، و تشجيع الزيارات العلمية لأساتذة الجامعات و الباحثين و المفكرين و تشجيع الحوار الثقافي بين الشعوب العربية لتحقيق التقارب والتعاون، و تقوية الأواصر ثقافيا و إجتماعيا فيما بينها.

<sup>1</sup> المرجع سابق ص24.

- عقد اللقاءات و تبادل الزيارات و تنظيم المهرجانات و المؤتمرات و الندوات و المعارض فيما بين دول العالم العربي، إذ من المهم جدا إتاحة فرص التعارف و التبادل للفئات الإجتماعية النشطة في مجالات متشابهة، كالأساتذة و الباحثين و الأدباء و الفنانين و الرياضيين في إطار أنشطة علمية و ثقافية و فنية.
- تبني مشاريع ثقافية كبرى في إطار التعاون بين الدول العربية من تأليف الموسوعات و ترجمة أمهات الكتب العالمية، و تحقيق التراث العالمي و إصدار دليل إقتصادي و إجتماعي و ثقافي للعالم العربي، وهو أمر يسهل تحقيقه بالتعاون و الجمع بين الإمكانيات المادية لدى بعض الدول و بين الإمكانيات البشرية المتوفرة لدى بعضها الآخر في الوطن العربي، و يمكن بالتنسيق إستغلال هذه الإمكانيات لإنجاز مشاريع كبرى مشتركة تلبي حاجات تنمية، يتعذر على أي دولة على حدة القيام بها.
- إنشاء جهاز لمتابعة تنفيذ الإستراتيجية الثقافية العربية و توفير المساعدة للتغلب على ما قد يطرأ على التنفيذ من صعوبات، و ضمان التنسيق و العمل على تبادل المعلومات المتعلقة بالجهود المبذولة والنتائج المحققة في هذا المجال.<sup>1</sup>
- أما فيما يخص مضمون الخطة الشاملة للثقافة العربية في الجانب الإعلامي و الشروط و الحلول المقترحة لمعالجة مخاطر إعلام العولمة على الثقافة العربية فنتمثل فيما يلي:
- لا مناص من العمل في عصر العولمة من فتح حوار فعلي تشارك فيه كل فعاليات المجتمع العربي وخاصة قوى المجتمع المدني للإتفاق على أسس و ضوابط ثقافية لعملية التفاعل بين الثقافة العربية وعملية العولمة في الإعلام.
- تعظيم المشاركة الإيجابية للثقافة العربية في إستخدام تكنولوجيا الإتصال و الإعلام و المعلوماتية، و يتطلب ذلك تطوير القدرات الإتصالية و الإعلامية و المعلوماتية العربية.
- تطوير الإعلام العربي وفق سياسة إعلامية عربية موحدة، تشرف عليها هيئات فكرية واعية قادرة على تشخيص الواقع الإيديولوجي للقوى العالمية، مع ضرورة إعادة صياغة دور الإعلام العربي في أقاليمه المختلفة لإذابة الحواجز الفكرية و النفسية بين أبناء الشعب العربي.

<sup>1</sup> عبد العزيز عثمان التويجري، مرجع سابق ص ص71-72.

- إتخاذ قرارات و إجراءات حمائية على غرار ما قام به البرلمان الأوروبي، عندما قرر إلزام صناعة السينما و التلفزيون بتخصيص 51% من برامجها للإتحاد الأوروبي، و كذلك ما قامت به فرنسا بحماية صناعة السينما حيث فرضت ضريبة قدرها 11% على بطاقات الدخول إلى دور العرض تستخدم في دعم السينما الفرنسية.<sup>1</sup>

والأخير يمكن تحديد الخطة الشاملة للثقافة العربية في خمسة ركائز أساسية، يستوجب على المفكرين العرب و بدعم من حكوماتهم و المؤسسات الثقافية العربية الإسراع بوضعها مع العمل على تجسيدها على أرض الواقع من أجل التصدي للتيار الجارف للعولمة الثقافية و الهيمنة الغربية و تتمثل هذه الركائز فيما يأتي:

- تحرير الثقافة العربية من القوالب التقليدية التي ورثتها طوال القرون العشرة الماضية من تاريخها الطويل، التي يغلب عليها التبعية و التكرار.
- إحياء التراث الفكري العربي و تنقيته من الشوائب الدخيلة عليه التي عملت على إضعافه، وإعادة تركيبه بما يتفق مع تطوير العصر و أحداثه، و لا يمكن أن يتحقق كل هذا إلا بإعادة بناء الفكر العربي و ربط ماضيه المجيد بحاضر العصر الذي نعيش فيه إتجاه المستقبل و تحدياته.
- الدعوة إلى ديمقراطية الثقافة العربية، و ممارسة حرية التعبير عن مختلف العلوم و الفنون والآداب، و عدم حجز السلطات السياسية و الدينية على الفكر و المفكرين.
- أنه في عصر ثورة المعلومات و التكنولوجيا الحديثة و الأقمار الصناعية و الإتصالات المعلوماتية لن يكون للثقافة العربية قائمة في القرن القادم، و لن يكون لها مكان في العولمة الثقافية من دون حدوث صحوة ثقافية عربية تنطلق من أجواء العولمة متسلحة بالإبتكار والإبداع، ومستخدمه أدوات العلوم الحديثة و تكنولوجيا الإرسال المتقدمة، و البرامج التي تتميز بالفن والإتقان و الحداثة، و هذا مع مراعاة ما يتماشى و الأصالة العربية، و حفاظا على هوية الشعب العربي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سمية جفال، مرجع سابق، ص12.

<sup>2</sup> محمد الشيبيني، مرجع سابق ص ص 88-89.

# الخطمة

## الخاتمة

في ظل النظام العالمي الجديد، ومع عودة الحديث عن ظاهرة العولمة تعاضد ما تتعرض له الأمم والشعوب من أخطار لا سيما في المجال الثقافي، حيث تشكل العولمة تهديدات خطيرة على الأمن الثقافي والهوياتي للشعوب في الصميم و ترمي إلى نزوع جامح لدى صانعي السياسة الأمريكية لتحويل العالم إلى النموذج الأمريكي وتتميط المجتمعات بتأثير أبعاد هذه الظاهرة (العولمة) متمثلة في العولمة السياسية والعولمة الإقتصادية والعولمة الثقافية.

تتسم هذه الأبعاد بشك كبير من الترابط و الإتساق فيما بينها، وعلى الرغم من أهمية البعد الإقتصادي المتمثل في تحرير التجارة الدولية، إلا أنه لا يمكن إغفال أهمية بقية الأبعاد الأخرى كما هو الحال بالنسبة للعولمة الثقافية التي تهدد بشكل كبير وصارخ ثقافات الشعوب وهوياتها الوطنية وتهدد مصالحها وخصوصياتها في الصميم وتسعى إلى تعميم نموذج من السلوك وأنماط العيش، وفرض منظومات من القيم و طرق التفكير، ومن ثمة فهي تحمل ثقافة تغزو بها ثقافات ومجتمعات أخرى و تؤدي إلى تخريب منظومات قيم وإحلال قيم أخرى محلها.

وتعتمد العولمة الثقافية بشكل كبير على الإعلام من أجل تحقيق هذه الأهداف، هذا الأخير (الإعلام) في هذه الفترة جعل من العولمة الثقافية مصدرا ربما يكون الأقوى في مجال إنتاج القيم والرموز و تشكيل الوعي في سياق التطلع إلى أحادية ثقافية تسعى لطمس الهويات والخصوصيات الثقافية للأمم والشعوب.

وبأتي ذلك، فيما تعاني الثقافة العربية من حالة مأساوية خاصة في ظل غياب مشاريع عربية واضحة وحقيقة قادرة على حماية الأمن الثقافي العربي من تحديات و تهديدات العولمة الثقافية، خاصة في ظل الوضع الكارثي الذي يتخبط فيه الإعلام العربي الأمر الذي يفسر توجه الجمهور العربي نحو الإعلام الغربي المحمل بقيم ومفاهيم تختلف عن منظومة القيم الوطنية للشعوب العربية، ناهيك عن مضمونه الذي تقف خلفه فلسفة لها أجدنتها الخاصة، وعلى الصعيد ذاته تعاني مؤسسات إنتاج القيم و الرموز داخل الأمة العربية والكلام هنا يدور حول كل من الأسرة و المنظومة التعليمية حالة من التفكك والإخفاق في أداء دورهما المنوط بهما على أحسن وجه، هذا مما ضاعف من فرص تأثير إعلام العولمة الغربي على الشعوب العربية.

الأمر الذي يستدعي ضرورة معالجة عوامل الضعف الداخلي للشعوب العربية إذا أريد تمكينها من مواجهة تهديدات العولمة الثقافية و التي تشكل خطرا على هوياتها و أمنها الثقافي بالأساس.

وقد خالصنا من خلال بحثنا في هذا الموضوع إلى جملة من النتائج، لعل أهمها ما يلي:

- ❖ إن العولمة ماهي إلا مظهر من مظاهر ثقافة المنتصر، وماهي إلا واجهة من واجهات النظام العالمي الجديد الذي برز بعد سقوط الإتحاد السوفيتي، وأنها لا تمثل حالة جديدة مبتكرة و إنما هي أشبه بجسم قديم بملابس جديدة.
- ❖ إن العولمة هي صياغة جديدة لإعادة المركزية الرأسمالية في شكل جديد مستحدث، وأنها تجسد الدرجات العليا في علاقات الهيمنة و التبعية و الإمبريالية، أي ما نسميه عولمة هو في حقيقته وواقعه أمركة.
- ❖ لقد ظهرت العولمة أولا بشكلها الإقتصادي الداعي إلى إشاعة نمط إقتصادي واحد يتم تبنيه من قبل شعوب العالم ليصبح النموذج العالمي الأعم الذي يدعو إلى تقليص دور الدولة في قطاعي المال و الإنتاج، بعد ذلك ظهرت أوجه أخرى للعولمة تتمثل في المجال الثقافي والسياسي والإعلامي، فالعولمة هي إحتواء العالم وفعل إرادي يستهدف إختراق الآخر وسلب خصوصيته.
- ❖ تركزت العولمة على ثقافة إتصالية غاية في التطور تنصدها ثورة عارمة في مجال الإعلام والمعلومات مع القدرة على تجاوز الحدود السياسية و الثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة و التكامل والإندماج بين وسائل الإعلام والإتصال و المعلومات.
- ❖ العولمة الثقافية هي عولمة إيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم و أمركته، بهدف تعميم النمط الحضاري والثقافي الأمريكي على بلدان العالم أجمع و بالخصوص داخل الوطن العربي، حيث تسعى لمحو ثقافات و هويات الشعوب الأخرى و بالأخص الهوية الثقافية العربية لصالح هوية وثقافة واحدة هي ثقافة العولمة، بالإعتماد على المؤسسات الإقتصادية الدولية، والمنجزات التقنية ووسائل الإتصالات و الإعلام، بالإضافة إلى دور المنظمات غير الحكومية و الشركات متعددة الجنسيات المنتشرة في كافة الدول، فالعولمة في ظل سعيها لإختراق الهويات والثقافات الأخرى لا تعتمد على الطرق التقليدية القديمة المتمثلة في العنف و القوة المادية و إنما تعتمد على أساليب جديدة تركز على محاولة تنميط ثقافات الشعوب.

- ❖ ساهمت أدوات ووسائل العولمة الثقافية في إحداث تغييرات كثيرة في الوطن العربي، فتغيرت العديد من العادات و التقاليد و القيم وحلت محلها أفكار و قيم الثقافة الغربية، كإنتشار الثقافة الإستهلاكية بين أوساط فئات المجتمع العربي، والتي تهدف بشكل عام إلى وضع المواطن العربي في حالة إنفصال عن تاريخه وواقعه و مصالحه و يتحول في أحسن الأحوال إلى مجرد مستهلك للسلع و المفاهيم الغربية الرأسمالية.
- ❖ أما بشأن العلاقة المحتملة بين الثقافات في ظل العولمة خاصة مع إصرار الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية على تبني فكرة الصراع بين الحضارات و رفضه الحوار مع باقي الثقافات سيقص من فرص قدرة دول الجنوب على الحفاظ على خصوصياتها الثقافية.

و إذا جاز لنا تقديم توصيات في ختام بحثنا هذا ستكون كما يلي:

- يجب بداية الإقرار بأن العولمة أصبحت واقع مفروض على العالم العربي لذلك يجب التعامل معها من هذا المنطلق، من خلال التحليل العميق لجوهر الظاهرة و التعرف على أبعادها ومظاهرها المختلفة والتأكيد على أن العولمة تتضمن فرصا يجب الإستفادة منها و التي تعتبر من أبرزها الثورة التكنولوجية الهائلة و التي يمكن إستغلالها لتقديم المعرفة و إبراز الصورة المشرفة والمشرقة للثقافة العربية.
- ضرورة خلق تزاوج فعال بين الثقافة و التقانة المتطورة و الحديثة داخل الوطن العربي، مما يجعل من الثقافة العربية سلعة ذات جاذبية عالية تصبح من السهل قبولها و التعامل معها.
- يجب على الدول العربية تقليل إعتماها على الخارج عن طريق العمل من أجل تقديم منتج ثقافي يكون الأرقى و الأجود سعيا منها لمواجهة التهديدات الثقافية للعولمة.
- العمل على كسر حدة الإنبهار بالغرب و مقاومة جذبته و ذلك برده الى حدوده الطبيعية والسعي للقضاء على أسطورة الثقافة العالمية.
- العمل على تنمية قيم الحرية و الحوار والعدالة و الإنفتاح داخل الوطن العربي، ذلك أن لهذه القيم الأهمية بمكان والتي تجعل من الثقافة العربية أكثر جاذبية.



➤ ضرورة تفعيل التنوع الثقافي داخل دول الوطن العربي خاصة الدول التي تتكون من مجموعات عرقية بالشكل الذي يساهم في إغناء الثقافة الوطنية و يحول دون إثارة الصراعات والانقسامات الثقافية.

➤ حث الجهات المسؤولة عن الإعلام في دول العالم العربي على تفعيل إتفاقيات التعاون المشترك وذلك من أجل بناء كتل إعلامي عربي قوي له القدرة على إنتاج مضامين إعلامية جادة - ميزانيات ضخمة- لتقديم الوجه المشرق من الثقافة العربية حتى نستطيع مواجهة الإنتاج الأجنبي ذو الإمكانيات الضخمة و الذي يصيب هويتنا الثقافية.

➤ يجب على القنوات الفضائية العربية تقديم البرامج الثقافية التي ترتقي بفكر و ثقافة الأمة العربية، ومحاولة فهم ما يجري في العالم العربي من تحولات جذرية تؤثر على بنیان المجتمع، لكي نتكاتف جميعا في التعامل مع معطيات العالم الجديد في ظل الحفاظ على هويتنا الثقافية، كما يجب الإهتمام بالبرامج التي ترتقي باللغة العربية، والتأكيد على دورها في الحفاظ على الثقافة العربية باعتبارها إحدى المحاور الرئيسية للثقافة العربية.

➤ ضرورة البحث في سبل المواجهة الثقافية، من خلال إعادة النظر في النظم التربوية و التعليمية والعمل على تحصين الأسرة العربية من مخاطر العولمة الثقافية، على إعتبار كل من الأسرة والمدرسة أهم المؤسسات المسؤولة على إنتاج القيم و الرموز داخل الوطن العربي.

➤ ضرورة خروج المثقف العربي من دائرة تقوقعه إلى دائرة الضوء والمشاركة الفعلية في مواجهة تهديدات العولمة الثقافية، عن طريق المساهمة في وضع خطط شاملة و مشاريع حقيقية لإخراج الثقافة العربية من الأزمة التي تتخبط فيها.

## i. الكتب:

## - باللغة العربية

1. أحمد ثابت، العولمة تفاعلات وتناقضات التحولات الدولية، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، 1998.
2. أحمد ثابت وآخرون، العولمة و تداعياتها على الوطن العربي، 24، سلسلة المستقبل العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.
3. أحمد رشتى جيهان، الثورة التكنولوجية ووسائل الإتصال العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990.
4. بال فرانسيس، مدخل إلى وسائل الإعلام، ترجمة عادل بوراوي تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996.
5. البشر بدرية، واقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي: دبي والرياض نموذجان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008 .
6. الشافعي جلال، العولمة الإقتصادية: الأثر على الضرائب في مصر، مصر، كتاب الأهرام الإقتصادي، 2002.
7. بلقزيز عبد الإله، العولمة و الهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟، ط 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
8. بلقزيز عبد الإله وآخرون، إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، 1997.
9. بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، بيروت: دار الفكر، ط2، 1959.
10. التويجري عبد العزيز بن عثمان، العالم الإسلامي في عصر العولمة، القاهرة، مصر، مطابع الشروق، 2004.
11. ثامر كامل الخزرجي وياسر علي المشهداني، العولمة وفجوة الأمن في الوطن العربي، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004.
12. جيتس بيل، المعلوماتية بعد الإنترنت: طريق المستقبل، الكويت، عالم المعرفة، 1998.

13. حداد ريمون، نظرية العلاقات الدولية: أشخاص العلاقات الدولية، نظام أم فوضى في ظل العولمة، بيروت، دار الحقيقة، 2000.
14. حسن عمر أمين وآخرون، النمو الثقافي ومشاكله في العالم الإسلامي، المملكة المغربية، مطبعة أليت، 1998.
15. حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الأحوال والعلاقات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.
16. حنفي حسن وصادق جلال العظم، ما العولمة؟، دمشق، دار الفكر، 1999.
17. خديجة عرفة محمد أمين، الأمن الإنساني: المفهوم والتطبيق في الواقع العربي و الدولي، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2009.
18. خريسان باسم، العولمة والتحدي الثقافي، بيروت، دار الفكر العربي، 2001.
19. خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، العراق، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، 2009.
20. الدعيلح إبراهيم بن عبد العزيز، البث المباشر : الآثار والمواجهة تربويا وإعلاميا، مكة المكرمة، دار القبلة للنشر والتوزيع، 1995.
21. الربيعي تركي و زكي الميلاد، الإسلام والغرب: الحضارة والمستقبل وحوارات لقرن جديد، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1998.
22. رجب مصطفى، العولمة ذلك الخطر القادم أسبابها - تداعياتها الاقتصادية - آثارها التربوية، عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2009.
23. السحمراني أسعد، ويلات العولمة على الدين و اللغة والثقافة، دار النفائس 2002.
24. سعيد إدوارد، الإستشراق، ط2، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1984.
25. سمك، نجوى وآخرون، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة: الخبرتان المصرية واليابانية، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، 2002 .
26. السيد عاطف، العولمة في ميزان الفكر، الإسكندرية، مطبعة الإنتصار، 2001.
27. السيد ياسين، العالمية والعولمة، القاهرة، دار نهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
28. شاكر سعيد محمود وبن عبد العزيز الحرفش خالد، مفاهيم أمنية، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010.

29. الشبيني محمد، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، بيروت، دار العلم للملايين، 2002.
30. شيللر هيريت، المتلاعبون بالعقل، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، ط2، الكويت، 1999.
31. صقر تركي، الإعلام العربي وتحديات العولمة، القاهرة، منشورات دار الثقافة، 1998.
32. عابد الجابري محمد، المسألة الثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
33. عابد الجابري محمد وآخرون، العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009 .
34. عبد الرحمن عبد الله محمد وآخرون، مدخل علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2008 .
35. علوب، عبد الوهاب، ثقافة العولمة: القومية و العولمة والحداثة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
36. علي أحمد الطراح وغسان منير حمزة سنو، الهويات الوطنية والمجتمع الإعلامي العالمي: دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية العالمية، بيروت، دار النهضة العربية، 2002.
37. عوض علي عبد الرحمن، الثقافة والإستهلاك: التخطيط الثقافي وثقافة الإستهلاك، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، 1994 .
38. عوض الهزائمة محمد، حاضر العالم الاسلامي و قضاياها السياسية المعاصرة، عمان، دار عمار للنشر و التوزيع، 1997.
39. غليون برهان، إغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية و التبعية، بيروت، ط2، 1987.
40. غليون برهان، الوعي الذاتي، الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1992.
41. غليون برهان و سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ط 2، بيروت، دار الفكر، 2002.
42. الفتلاوي سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، عمان، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع 2009.

43. محمد الملي وآخرون، الأمن العربي التحديات الراهنة والتطلعات المستقبلية، باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، 1996.
44. محمد حسين سمير، الإعلان، ط4، القاهرة، عالم الكتب، 1992 .
45. المرشدة يوسف، العولمة وأثرها على الوطن العربي: مشروع الشرق الأوسط الكبير، أريد، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2007.
46. مسيهر العاني خليل نوري، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، العراق، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 2009.
47. مصباح عامر، الإتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006.
48. معلوم حسين وآخرون، صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟، 1997 .
49. المعوش سالم، مخاطر الهيمنة الثقافية: ثقافة القوة أم قوة الثقافة، بيروت، مؤسسة الرحاب للطباعة والنشر و التوزيع، 2003.
50. المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية، ط2، تونس، إدارة الثقافة، 1996.
51. نافع إبراهيم، إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002.
52. النجيري محمود محمود، الأمن الثقافي العربي التحديات و آفاق المستقبل، الرياض، دار النشر العربي للدراسات الأمنية و التدريب (بدون سنة نشر).
53. هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، فح العولمة: الإعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة عدنان عباس علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998 .
54. هنتغتون صموئيل، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، مصر 1998.
55. ولد خليفة محمد العربي، المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية، الجزائر، منشورات تالة، 2007.
56. ياسين السيد، العولمة والطريق الثالث، القاهرة، ط2، ميريت للنشر، 2001.

## .ii باللغة الأجنبية:

1. El Wai Taha(eds)," **Meaning And Definition Of Culture**" in, "**Mass Media And Identity**", Cairo: DAR Al Shorouk ,1989

## .iii المجلات:

1. أحمد حيدر قادري، "تحديا للهيمنة الأمريكية، الطريق إلى عولمة بديلة ديمقراطية"، مجلة قضايا فكرية، القاهرة، مكتبة مدلوبى، العدد243، 2004.
2. أسامة أبو رشيد، "الثقافات العالمية الأخرى"، مجلة قضايا دولية، العدد 340، 7 جويلية 1996.
3. بلقزيز عبد الإله، "الثقافة العربية أمام تحدي البقاء"، مجلة شؤون عربية، العدد 79، 1994.
4. بوتخيل معطي، "أهم تحديات الأسر الجزائرية والرهانات المطروحة"، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد التجريبي، 2005.
5. البياني ياسر خضيرة، "الإعلام العربي وتحديات العولمة"، مجلة الشؤون العربية، القاهرة، الأمانة العامة للجامعة العربية، العدد 121، 2005.
6. الجابري محمد عابد، "العولمة و الهوية الثقافية"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية العدد 222، 1998.
7. جمال عمر نظمي "المتقف العربي بين السلطة والجماهير- إشكالية العلاقة الصعبة"، بيروت، مجلة المستقبل العربي، 1994.
8. حامد ربيع، "الثقافة العربية الإسلامية في مواجهة الغزو الاجنبي"، مجلة قضايا دولية، باكستان، مركز الدراسات الإستراتيجية العدد 262، 1995.

9. حسين سوسن "هدف الفرنكوفونية الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 133، 1998.
10. خلاف خلف الشاذلي، "المجتمع العربي بين مخاطر العولمة و تحديات ثقافة العولمة"، الشؤون العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 107، 2001.
11. الزبيدي المنجي، "ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام"، عالم الفكر، الكويت العدد 1، سبتمبر، 2006.
12. زغو محمد، "أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب"، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلی، الشلف، الجزائر، 2010.
13. سامر عكاشة، "لعبة الوجود ومواقع الأشياء: تعقبات على ملف العرب والعولمة"، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، أكتوبر 1998.
14. سامية جفال، "التحديات الإعلامية العربية في عصر العولمة الثقافية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الإجتماعية، العدد 6، جامعة محمد خضير، بسكرة جانفي 2010.
15. سعيد محمد، "إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق والغرب"، مجلة المستقبل العربي، العدد 223، 1998.
16. سليمان عبد الله الحربي، "مفهوم الأمن: مستوياته وصيغه و تهديداته، دراسة نظرية في المفاهيم والأطر"، المجلة العربية للعلوم السياسية، أمن الخليج. (بدون سنة نشر).
17. السيد جاسم عزيز، تأملات في الحضارة و الإغتراب، مجلة آفاق عربية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.
18. شرف ليلي، "التحديات التي تواجه الإعلام العربي في المرحلة المتقدمة"، مجلة الرسالة، دمشق، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد 5، ديسمبر 1997.
19. العبد الله سنو مي، "العرب في مواجهة تطور التكنولوجيا الإعلام والاتصال"، مجلة المستقبل العربي، العدد 230، 1998.
20. عبد الله عبد الدايم، "العرب و العالم بين صدام الثقافات و حوار الثقافات"، مجلة المستقبل العربي، العدد 23، 1996.

21. عبد المجيد البدوي، "العولمة و الثقافة و وسائل الإعلام الجماهيري"، مجلة الإذاعات العربية، العدد 3، تونس، 2001.
22. غليون برهان، "الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين: تحديات كبيرة وهمم صغيرة"، مجلة المستقبل العربي العدد 232، 1998.
23. فرح إلياس، "الهوية والخصوصية والعولمة"، مجلة آفاق عربية، العدد 8، 1998.
24. المنصور عبد العزيز، "العولمة... و الخيارات المستقبلية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية و القانونية، العدد 2، 2009.
25. منى حسن علي، "مفهوم الأمن الإنساني"، مجلة المستقبل العربي، بيروت.
26. نوفل محمد، "رؤى المستقبل-المجتمع والتعليم في القرن الحادي والعشرين"، المجلة العربية للتربية، تونس، العدد 1، 1997.
27. هالة مصطفى، "العولمة دور جديد للدولة"، السياسة الدولية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد ،، 134 أكتوبر 1999.
28. ياسين السيد، "صياغة الهوية و عولمة الخيال في القرن العشرين"، مجلة منتدى، الأردن، العدد 147، ديسمبر 1997.

#### iv. الرسائل الجامعية:

1. حموم فريدة، الأمن الانساني: مدخل جديد في الدراسات الامنية ( مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية) غير منشورة، جامعة الجزائر، 2004 .
2. درغوم أسماء، البعد البيئي في الأمن الإنساني: مقاربة معرفية ( مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصص: الديمقراطية والرشادة ) غير منشورة، جامعة منتوري، 2009.

#### v. الملتقيات والمؤتمرات:

1. أيمن منصور ندى، الإختراق الثقافي عن طريق البث الوافد: دراسة مسحية لأدبيات الإختراق، (أعمال ندوة الإختراق الاعلامي للوطن العربي )، تحرير سعد لبيب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، مطابع سجل العربي، 1996.



2. دي كويلار خافيير، "التنوع الإنساني المبدع"، تقرير اللجنة المعنية بالثقافة العالمية والتنمية"، مركز مطبوعات اليونسكو، 1996.
3. عصام نجيب، "الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة -جامعة فيلادلفيا نموذجا" في: العولمة والهوية (أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون)، تحرير: صالح أبو أصبع، عز الدين المناصرة، محمد عبيد الله، ط2، عمان، دار المجدلوي للنشر والتوزيع، 2002.
4. محمد الكتاني "أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة"، (ورقة بحث قدمت في الملتقى الدولي حول: العولمة والهوية، المغرب، 5-7 ماي، 1997.
5. محمد شعبان علوان، "عولمة الثقافة و ثقافة العولمة ( التحديات و المواجهة )"، الجامعة الإسلامية، غزة، (مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر) ، 16 - 17 أبريل، 2005.

.vi باللغة الأجنبية:

1. Carlo jean, (**les missions de l'armée dans la nouvelle sécurité international**) fonds des nations unis Bour éducation, la science et la culture (Unesco) vers une culture de la paix : quelle Security ? paris atelier de l'Unesco, 1997, p 106.

.vii المواقع الإلكترونية:

1. إبراهيم أبراش، سؤال الهوية في العالم العربي- تتأقف الهويات أم تصادمها ؟ على الرابط الإلكتروني:  
www.grenc.com /show-article-main cfm .
2. أنور عز الدين، العولمة جدلية المقاومة وبرامج المهام، مركز باحث للدراسات، على الرابط الإلكتروني:  
http://www.bahethcenter.org .

3. أوجا يوسف، " الخصوصيات الثقافية في مهب العولمة الثقافية، الأمازيغية نموذجاً " ، في:  
الحوار المتمدن، ع 3170، 30/10/2010، على الرابط الإلكتروني:  
[www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233641](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233641)
4. الرقب، صالح حسين، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، على الرابط الإلكتروني:  
<http://www.drsregeb.com/index.php?action=vb&nid=48>.
5. شبكة الأخبار العالمية ANN، 16 / 4 / 2011 على الرابط الإلكتروني:  
<http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=22485>.
6. شبكة النبا المعلوماتية: " الانسان وسمة الدخول للعصر التكنولوجي " ، 16 / 04 / 2011  
على الرابط الإلكتروني:  
<http://www.annabaa.org/nbanews/2011/02/195.htm> .
7. شبكة الوعي " دور شبكة الإنترنت في نشر الدعوة الإسلامية "، العدد 532، 3 / 9 / 2010  
على الرابط الإلكتروني:  
[http://alwaei.com/topics/view/article\\_new.php?sdd=331&issue=454](http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=331&issue=454).
8. صالح، ثناء محمد، " المضمون الثقافي للعولمة"، مجلة النبا، العدد 79، 2005 على الرابط  
الإلكتروني:  
<http://www.annabaa.org/nbahome/nba79/005.htm>.
9. عادل بالعمري، " الثقافة والمجتمع"، الحوار المتمدن، العدد 2924، 21/02/2010 على  
الرابط الإلكتروني:  
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=204612>
10. عادل زقاغ، إعادة صياغة برنامج البحث في الأمن المجتمعي، ص2. على الرابط  
الإلكتروني:  
<http://www.Geocities.com/adelzeggahgh/recon1.html>

11. عبد الإله بلقزيز ، في مفهوم الأمن الثقافي ، 01 / 06 / 2009 ، على الرابط الإلكتروني:

<http://www.alkhaleej.ae/portal/923c9a31-a626-4799-8ff5-e40d31a41f29.aspx>

12. عبد الغفور سراج الدين، " منظمات المجتمع المدني في ظل العولمة"، منارات إفريقية، 2010/10/24 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.islam4africa.net/index.php/manarate/index/18/47>.

13. عبد الله اللحيان، "أهمية الصناعات الثقافية" صحيفة الرياض اليومية، العدد 15173، 2010 / 01/08 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.alriyadh.com/2010/01/08/article487801.htm>.

14. غنيم محمد، "الإنترنت والعولمة"، مركز الدعوة العلمي على الرابط الإلكتروني:

<http://dawacenter.net/download/0010.doc>.

15. فيصل قرطبي، "اللغة والثقافة و الإنسان" الحوار المتمدن، العدد 1300 ، 28 / 03 / 2005 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=44115>.

16. قفندش على بنهوي هنا، "مطر الفضائيات الأسود يعصف بالقيم"، في عكاظ، العدد 3676، 11 / 07 / 2011 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20110711/PrinCon20110711432903.htm>.

17. كمال المنصوري، "المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي"، المكتب الدولي للجمعيات الإنسانية والخيرية على الرابط الإلكتروني:

<http://www.humanitarianibh.net/reports/mansori.htm> .

18. كوفي عنان "نحن البشر"، 2000، ص 18 على الرابط الإلكتروني:

[www.un - org /millennium / report / full . htm](http://www.un - org /millennium / report / full . htm).

19. مسلماني بسام، " هل هناك سر وراء موجة الثورات العربية ؟ " ، في لها أون لاين، 2 / 4 / 2011 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.laha online . com. Index 2 . php ? option = content & task = view &id =38081 &section id =1&f brunt =1>.

20. منذر خدام، "منظمة التجارة العالمية-المخاض الصعب"، الحوار المتمدن، العدد، 815، 2004/4/25 على الرابط الإلكتروني:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=17379>.

21. المنظمات غير الحكومية وإدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام على الرابط الإلكتروني:

<http://www.un.org/arabic/NGO/brochure.htm>.

22. موقع منظمة التجارة العالمية على الرابط الإلكتروني:

[http://www.wtoarab.org/page.aspx?page\\_key=the\\_organization\\_concise](http://www.wtoarab.org/page.aspx?page_key=the_organization_concise)

ly&lang =

.viii الموسوعات:

1. الجاسور ناظم عبد الواحد، موسوعة علم السياسة، الأردن، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، 2004.

2. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسية، ط 2، بيروت، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.

## الملحق رقم 01:

التدبير	المشكلة	العولمة	الثقافة
الغرب بقيادة الولايات المتحدة يريد فرض ثقافته، وبقية الأمم تقبل حوار الثقافات، وترفض زوال ثقافتها الخاصة.	حوار ثقافات أم صراع ثقافات.	ثقافة واحدة موحدة.	تعدد الثقافات.
يجب الإدماج في ثقافة واحدة هي ثقافة الغرب وأمريكا خاصة والتخلي عن الثقافات المحلية نهائياً.	رفض الآخر، وعدم الاعتراف بخصوصيته الثقافية.	ثقافة واحدة لجميع الأمم	الخصوصيات الثقافية.
لا غنى لجميع الأمم والشعوب عن التقدم العلمي والتكنولوجي الذي أنجزه الغرب، فهو الجانب المشترك بين الثقافات، والمشكلة الحقيقية هي كيفية إستيعاب الثقافات غير الغربية لهذا التقدم دون فقدان خصوصيتها أو هويتها الخاصة ودون الخضوع للهيمنة.	تهديد العولمة لوجود الهوية الثقافية الخاصة للأمم والشعوب.	هناك هوية واحدة هي الهوية الثقافية الغربية و الأمريكية بصفة خاصة.	الهوية الثقافية.
القيم الإنسانية و أنماط السلوك الإنساني مقبولة، ومرغوب فيها لدى جميع الأمم والشعوب، إلا أن الغرب بزعامة أمريكا	كل الأمم توافق على الثقافة الإنسانية، لكن أمريكا تريد هيمنة ثقافتها فقط، أو الثقافة الغربية الخاضعة لها، بحيث	الثقافة الغربية و الأمريكية خاصة وقيمها و أنماط سلوكها، هي الوحيدة المسموح لها بالبقاء.	الثقافة الإنسانية.

<p>يريد هيمنة ثقافية، وفرضها على كل الشعوب و الأمم بكل الوسائل، ومنها القوة.</p>	<p>تكون المرجعية في الثقافة و في غيرها واحدة.</p>		
<p>العالمية هدفها إنساني، أما العولمة فهدفها الهيمنة و السيطرة والقضاء على خصوصيات الآخرين الثقافية وغيرها، وهي تعني في النهاية الأمركة.</p>	<p>العالمية أساسها حوار الثقافات، أما العولمة فنقوم على تصادم الثقافات، بهدف هيمنة ثقافة الغرب عامة وأمريكا خاصة.</p>	<p>هناك مجتمع دولي واحد أساس هويته الثقافة الغربية المنضوية تحت لواء الثقافة الأمريكية.</p>	<p>الثقافة هي أساس الهوية الوطنية للمجتمع.</p>
<p>معالم العولمة لم تحدد بعد بصفة نهائية، لكنها تمثل أداة هدم وتأثير و هيمنة للثقافات و الحضارات والمجتمعات الأخرى ، وغير المجتمعات الغربية والأمريكية منها خاصة، وتستعمل كل الوسائل وأهمها الإعلام لتغيير وتخريب المجتمعات الأخرى من الداخل، بالتركيز على الأسرة و المدرسة خاصة.</p>	<p>وقوف العولمة في وجه أية محاولة للنهضة. والتطور من الخصوصية الإجتماعية والثقافية و الدخول في صراع معها لإجهاضها والقضاء عليها بكل الوسائل.</p>	<p>إختراق ثقافة الآخر، فالعولمة الثقافية هي عبارة عن آلية متطورة تعمل على تكريس منظومة القيم الغربية الأمريكية بعد تفتيت و تمزيق القيم الثقافية المحلية و إحلال القيم الإستهلاكية محلها .</p>	<p>تعدد الثقافات وتلاحقها وتبادل التأثير والتطوير.</p>
<p>يمكن قيام ثقافة عالمية كونية على أساس إنساني سليم هو التعاون</p>	<p>محاولات التغريب و الأمركة عن طريق الهيمنة و القوة الغاشمة</p>	<p>السعي إلى إجبار العالم إلى الإنضمام إلى ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية</p>	<p>ثقافة عالمية أو كونية.</p>

<p>و التبادل و التلاحح وحتى التنافس الشريف و تبادل التأثير الإيجابي. أما الهيمنة و الغطرسة و إحتقار الآخر، وإعلان الحرب على خصوصيتها الثقافية و الإجتماعية فهي طبيعة جديدة من الإستعمار ذات همجية أكبر و أشرس، و مالها الفشل و الإندثار، ولو بعد كوارث رهيبية ودمار لا نظير له في تاريخ البشرية .</p>	<p>مما يؤدي حتما إلى الصراع المدمر بين الغرب و بقية الشعوب و المجتمعات.</p>	<p>والأمريكية بالخصوص، بإستعمال كل الوسائل و منها القهر أحيانا.</p>	
<p>لا شك أن المستقبل لحوار الثقافات و الحضارات، ولو بعد دفع ثمن باهظ. إن صراع الحضارات الذي يرفع نواه الغرب بزعمارة أمريكا، قد فشل في الحروب الصليبية، وبعدها الحروب الإستعمارية وسيفشل هذه المرة في صيغة العولمة المتوحشة لأنه همجي ولا أساس له من الإنسانية .</p>	<p>الصراع بكل الوسائل من أجل تعميم النموذج الثقافي الغربي، الأمريكي و السيطرة التامة في جميع المجالات وخاصة منها السياسية و الإقتصادية، والغاية منها تبرر كل الوسائل.</p>	<p>حتمية الصراع بين الثقافات و الحضارات وخاصة منها الثقافة و الحضارة الغربية المسيحية بزعمارة أمريكا و الحضارة العربية الإسلامية التي تمثل عقبة في سبيل العولمة و الأمركة ومن ثم وجب القضاء عليها.</p>	<p>حتمية التعاون والتحاور بين الثقافات من أجل الرقي و الإزدهار والكرامة لكل البشر في العالم.</p>

<p>يؤمن الغرب بزعامة أمريكا بالصراع الحضاري كحتمية تاريخية لا محيد عنها، وهذا في إطار البقاء للأقوى وإلغاء الآخر وتأتي الأمة العربية في المقدمة لكونها تثير مخاوف الغرب وفي إمكان توحيدها وقيامها بقوة كبرى مناهضة للغرب.</p>	<p>التصادم من وجهة نظر العولمة و الغرب لا مفر منه، بين كل الحضارات التي هي جميعها مستهدفة من الغرب الذي يريد محوها من الوجود وفي المقام الأول الحضارة الإسلامية.</p>	<p>أساس العولمة بل الحضارة غربية هو الصراع بكل أنواعه و أشكاله ومنه الصراع بين الإسلام و الغرب في الثقافة وبصورة شاملة و مصيرية.</p>	<p>الإقرار بالتعدد الثقافي يؤدي حتما إلى الحوار و التعاون و التبادل و الإزدهار العالمي الشامل.</p>
<p>الغرب لا يسمح بالتحديث للأفراد و الشعوب دون تعريبها، بل إنه يسعى إلى العكس، يريد لها أن تكون مغربة في سلوكها و نمط معيشتها حتى تكون مستهلكة لمنتجاته دون ان تكون مكتسبة للحدثاء، أي عاجزة عن منافسته في الإنتاج.</p>	<p>التحديث بناء والتغريب هدام والمشكلة القائمة في إمكانية الفصل بين التحديث و التغريب، أو كيف يمكن الجمع بين التحديث و النجاة من التغريب.</p>	<p>التغريب إتجاه سلبي، يقوم على أسس عدوانية و عنصرية ولا إنسانية، ويهدف إلى القضاء على الثقافات و الحضارات غير الغربية.</p>	<p>التحديث ضروري لجميع الثقافات وإيجابي يضمن التطور و الإستمرارية.</p>

المصدر: موقع الديوان الوطني للتكوين عن بعد على الرابط الإلكتروني:

[http:// www. enefd. edu. dz](http://www.enefd.edu.dz)



## الملحق رقم 02:

عولمة الطلب	عولمة العرض	عولمة المنافسة	عولمة الإستراتيجية
- تجميع الطلب على المستويات المحلية لتشكيل الطلب على المستوى العالمي	- النظام الجديد لتقسيم العمل دولياً.	- التحول من الميزة النسبية إلى الميزة التنافسية.	- التحول من وفورات الحجم إلى وفورات النطاق.
- نفس السلعة لشرائح متباينة جغرافياً	- التخصيص في صناعة المكونات.	- التحول من المنافسة المحلية إلى العالمية.	- تحويل الأنشطة من مكان لآخر طبقاً للتغيرات في الأجور و الخامات.
- تتميط المنتجات على المستوى العالمي.	- السرعة الفائقة لإنتقال عوامل الإنتاج.	- بروز ظاهرة الإرتباط الدولي.	- مساندة الشركات التابعة بعضها لبعض وخاصة في طرح المنتجات و الخدمات الجديدة في التغطية الكاملة للأسواق العالمية.
مثل ملابس الجينز، مطاعم الوجبات السريعة، الإعلانات، قنوات الفضائية.	- إتجاهات التعاقد مع الباطن للسلع النهائية.	- سرعة الإنتشار الجغرافي لظواهر الرواج و الكساد.	- مساندة الشركات التابعة بعضها لبعض وخاصة في طرح المنتجات و الخدمات الجديدة في التغطية الكاملة للأسواق العالمية.
	- التركيز الجغرافي لعمليات البحوث و التطوير.	- إتساع إنتشار التحالفات الإستراتيجية.	
	- التبادل الواسع للتكنولوجيا و خاصة بين أمريكا والإتحاد الأوربي و اليابان.	- استخدام التجارب الأهلية في المنافسة العالمية.	

المصدر: عبد العزيز "الوجه الجديد للشركات العالمية"، مجلة أخبار الإدارة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، العدد 19، 1997، ص 1.